

٨٥٤
٧٤٤
٧٤٤

رسالة ماجستير

بمعنوان

الطبقة في الشعر الأندلسي في عصر الغرابطين

أعـداد

م. هادي محمود ناجي منصور

١٩٨١ / ١٩٨٢ م

بإشراف

الدكتورة عصمة غوشة

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة الأردنية

٧٢٥
٧٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

والإهداء

الى

الروح الطاهرة في روضتها
الروح التي عاشت فيها وقيضت فيه بين أخصان
الطبيعة فداها عن شقاء الأرض ومزارعاً محباً للوصف

الى

روح والدي رحمه الله رحمة واسعة

الى

أصغري الاعزاز الـ ساذجة زهد وعلي ويوسف
الذين أظهروا لي حبهم وطفوئي ثقتهم فأولوني
عنايتهم وشمعوني برعايتهم - فها نوا النفس عن
مادة الناس

! ليهم زفهم غمرة متواضعة لجهود مفضية

البارئ
صدا

يَا أَهْلَ أَدْنَسٍ إِلَيْهِ دَرَكُكُمْ
 مَا "وَيْلٌ وَأَنْهَارٌ وَأَشْبَحَارٌ"
 مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي رِيَارِكُمْ
 وَهَذِهِ كُنْتُ لَوْ خَيْرٌ أَخْتَارُ
 لَا تَتَّقُوا بَعْدَهَا أَنْ تَدْخُلُوا سَفَرًا
 فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ

"ابن خفاجة"

تعود علمتي بالأدب الأندلسي إلى أيام دراستي الجامعية الأولى ، حيث كنت أدرس هذا الأدب على أستاذنا الدكتور عبد الكريم خليفة الذي حببته إلى نفوسنا وولّد فيها الشوق لدراسته وبحثه ، فأخذ مهلي إليه يشتدّ واحساسني بسسه يقوى ، فأنصرفت إلى قراءة شعر الأندلس والاهتمام به ، وكان مهلي إلى شعر الطبيعة أشدّ ، فأخذت في دراسة هذا الضرب من الشعر والعناية به ، إذ وجدت فيه تخليدَ الإنسان لوطنه وتجسيمة لشاعره الصادقة وأحاسيسه الجياشة حيال بلاده ووطنه الذي يمشي فيه وبيئته التي ينتهي إليها .

وعندما التحقت بالدراسات العليا ، أتحت لي الفرصة لكي أُحقّق ما كنت أصبو إليه وأطمح فيه من بحث في هذا الأدب ، فكان أن اخترت شعر الطبيعة في الأندلس في عصر المرابطين ليكون موضوعاً للبحث . إذ لاحظت أن الدارسين للشعر الأندلسي في عصر المرابطين لم يولوا شعر هذا العصر العناية اللازمة ولا سنيماً شعر الطبيعة ، حيث لا نعتبر إلا على دراسة لسليمان العطار تناول فيها شعر الطبيعة في أدب الأندلس عامة ، دون تخصص بمصر أو تقيّد بزمان ، فجاءت الدراسة شاملة غير متخصصة ، وغير ذلك لا نجد إلا مجموعة محاضرات ألقاها الدكتور جودة الركابي على طلبة آداب اللغة العربية بجامعة دمشق سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ م جمعها فيما بعد بعنوان " الطبيعة في الشعر الأندلسي " فجاءت كالأولى شاملة غير متخصصة ، كما أن هذا اللون من الشعر بعيد عن الزيف والنفاق والتلق الذي قد تقتضيه ضروب الشعر الأخرى ، فالشاعر لا يرجو من وصف زهرة أو نعت روضة أو التفّتي بدوخة عطاء أو نوالاً ، فهو صادق فيما يقول لأنه يَصوّر انعكاس الوجود الطبيعي على وجدان نفسه .

وقصرت الدراسة على عصر المرابطين لكي أتمكن من إيضاح صورة شعر الطبيعة في هذا العصر الذي طالما وصف - جوراً - بأنه عصر تقهقر العربية واضمحلال الأدب لمعجزة الحكام ، وإيماناً منّي بأن الشعر العربي واصل سيره في عصر

المرايطيين وان اعترضته بعض الهنات - وبأن لهذا العصر شعراء مبرزين
أمثال : ابن خفاجة وابن الزقاق والأعشى الشطيلي ، الى جانب كبار الوشاحسين
أمثال : ابن بغي والابهي ، وبأن الانتاج الشعري كان وافراً ، وأن دراسة هذا
الفن الشعري تسهم في اإمطة اللثام عن وجه الحقيقة وتنصف العصر بعض الانصاف
وتمهّد الطريق أمام دراسات أكثر شمولية وانصافاً ، هذا كله دفعني لاختيار موضوع
" الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر المرايطيين " .

وقد تنوّعت مصادر هذا البحث ، فمنها الدواوين الشعرية ، ومنها المصنّفات
التي وضعت في العصر نفسه ، أو في العصور التي تليه ، ومن أهم هذه المصادر
بالإضافة الى الدواوين الشعرية كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابن
بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ . إذ تكلم فيه ابن بسام عن تاريخ الأندلس
وملوكتها وشعرائها ، كما أنه يشتمل على مختارات شعرية كثيرة لا نجدها في غيره
بل لا نجد بعضها في الدواوين المتوفرة لدينا ، وذلك أن ابن بسام كان يطلب
الى معاصريه موافاته ببعض شعرهم لتدوينه في تصنيفه هذا .

ومنها أيضاً كتاب " قلائد العقيان في محاسن الأعيان " وكتاب " مطمح
الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس " للفتح بن خاقان المتوفى سنة ٥٢٩ هـ .
حيث ترجم فيهما لطائفة كبيرة من شعراء عصر المرايطيين ودون نماذج من شعرهم
ونثرهم .

ومنها أيضاً كتاب " نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب " للمقرئ المتوفى
سنة ١٠٤١ هـ ، وهو من أبرز مصادر الأندلس والمغرب فهو موسوعة كاملة في تاريخ
الأندلس وحضارته ، حيث أن صاحبه احتفظ فيه بطائفة كبيرة من الشعر نقل بعضها
عن مصادر لم تصلينا .

ومن مصادر البحث كتاب " جيش التوشيح " للسان الدين بن الخطيب
المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ، فهو كنز الموشحات الأندلسية ومن أبرز مصادرها وأضخمها
إن انفرد بموشحات لا وجود لها في غيره من المصادر .

هذا الى جانب مصادر أخرى كثيرة ، كما اتكأت في بحثي على مراجع علمية منها ما اعتنى بالناحية التاريخية للمرابطين ككتاب الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة "المرابطون ، تاريخهم السياسي " وكتاب " النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين " للأستاذ ابراهيم حركات ، ومنها ما اعتنى بالناحية الأدبية في العصر مثل كتاب " الأدب الأندلسي في عهد المرابطين " للدكتور مصطفى عوض الكريم وغيرها من المراجع المدونة في ثبثها في نهاية البحث .

وقد جعلت البحث في تمهيد وثلاثة فصول ، تناولت في التمهيد عصر المرابطين ونشأتهم وجوازهم الأندلسي وسيطرتهم عليه ، موضحا أسباب ذلك ودوافعه الى جانب الحديث عن البيئة الأندلسية ، وتحديد مفهوم شعر الطبيعة وبواعثه في الأندلس وبواكيره فيها .

أما الفصل الأول فخصصته للحديث عن الطبيعة في شعر القصيد وقسمته الى قسمين ، تحدثت في الاول منهما عن الطبيعة الصامتة من روضيات وزهرينات وثمريات وما ثبات وتحدثت في الثاني عن الطبيعة الصائتة من فرس وذئب وكلب وطنير

أما الفصل الثاني فقد قصرته على دراسة الطبيعة في الموشحات وذلك لكي تكتمل صورة الطبيعة في العصر كما تناولها الشاعر والوشاح .

وأما الفصل الثالث فقد أفردته لدراسة الخصائص الفنية لهذا الضرب من الشعر ، من حيث النسيج اللغوي ، والتأثر بالمشاركة وأوجه الابتكار والتجديد عند شعراء العصر .

وختاماً أتوجه بوافر شكرى وعظيم امتناني الى الدكتورة عصمة غوشة ، لفضلها قبول الاشراف على البحث ورعايته وتقويم ما اعوج منه ، حيث منحته من علمها وجهدها ووقتها الكثير فكان أن خرج على هذا الشكل ، فلها ثانية شكرى وعرفاني بالفضل والله أسأل التوفيق وسداد الخطى . . .

نشأة المراهطين وقيام دولتهم :

المراهطون أصلاً هم أولاد لمت ، من قبيلة لَمْتُونَة ، وهي بطن من بطون صَنْهَاجَة ، التي ينتهي إليها إلى جانب لَمْتُونَة عدد كبير من القبائل البربرية مثل مَدَاسَة ، وَمَسْرَاتَة ، وَمَسُوفَة ، وجدالة وغيرها كثير (١) حيث تنقسم - صَنْهَاجَة - على سبعين قبيلة . (٢)

(١) الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، لمؤلف أندلسي مجهول ، تحقيق الدكتور سهيل زكار والاستاذ عبدالقادر زمانة ، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ص ١٧ .

اعمال الاعلام ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق الدكتور احمد مختار العبادي والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ م ، القسم الثالث ص ٢٢٥ .
البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، ابن عذارى المراكشي ، كتب التعليقات الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة - بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٧ م . القسم الرابع ص ١١٢ .

نفح الطيب من فغن الاندلس الرطيب ، تأليف احمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر - بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م . المجلد الرابع ص ٣٥٤ .
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر - بيروت - المجلد السابع ص ١١٣ .

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تأليف الشيخ ابي العباس احمد ابن خالد الناصري ، تعليق وتحقيق ولدي المؤلف الاستاذ جعفر الناصري والاستاذ محمد الناصري ، مطبعة دار الكتاب - الدار البيضاء ١٩٥٤ ، القسم الثاني ص ٣ .

المؤنس في أخبار افريقيا وتونس ، ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم القيرواني المعروف بابن ابي دينار ، تحقيق وتعليق محمد شمام ، الناشر المكتبة العتيقة - تونس - الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ . ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) الأئيس المطرب بروغ القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس تأليف علي بن عبد الله بن ابي زرع الفاسي ، دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط - المغرب ، ص ١٢٠ .

اعمال الاعلام ٢٢٥ : ٣ الاستقصا ٣ : ٢

وعنها حاجة هذه التي ينتمي اليها المرابطون فخذ من ولد عبد شمس بن وائل ابن حمير (١). وفي ذلك يقول ابو فارس عبد العزيز الملزوزي الشاعر في ارجوزته في التاريخ المسماة "نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك"، يقول (٢):

مرابطون أصلهم من حمير قد بعدت أنسابهم عن مضر
وقد رأيت في كتاب النسب قولا به أعجز أهل الأدب
بأن عنهاج في سبيل حمير وهو ابنه لصلبه لا المنصر
ويقول آخر (٣):

قوم لهم درك العلا في حمير وان انتموا عنهاج فهم همو
لما علو أحرار كل قبيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

وأول من ملك من لمتونة تيولتان بن تيكلان حيث ملك الصحراء وأخضع السودان وبقي الأمر بيده الى أن توفي سنة ٢٢٢ هـ. وبعد وفاته تشتت أمم القبيلة (٤). ولم تعد لها زعامة موحدة وبقي الأمر كذلك الى حين ظهور يحيى ابن ابراهيم الجدالي أو الكدالي (٥) حيث ظهر زعيما بارزا لها.

والقوم صحراويون ، بدو متنقلون ، يسكنون الصحراء ما بين جنوبي المغرب والسودان (٦) ، يتنقلون من ماء الى ماء ، وينتجعون من عشب الى عشب كالغرب

- (١) روض القرطاس ١١٩ ، البيان المغرب ٤ : ١٢٨ ، وفيات الأعيان ٧ : ١٢٨
(٢) نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك ، عبد العزيز الملزوزي المتوفى سنة ٦٩٧ هـ . المطبعة الملكية - الرباط ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م ، ص ٤٨
روض القرطاس : ١١٩

- (٣) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، أبو الفلاح عبد الحمي بن العماد الحنبلي مركز الموسوعات العالمية ، بيروت - المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع . القسم الرابع ص ٤١٣
وفيات الأعيان ٧ : ١٣٠ ، الاستقصا ٢ : ٤

- (٤) المؤنس في أخبار افريقيا وتونس ١٤٤ (٥) المصدر السابق ١٠٤
(٦) اعمال الاعلام ٣ : ٢٢٥ ، الاستقصا ٢ : ٣ ، وفيات الأعيان ٧ : ١٢٨
المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ، مكتبة المشني - بغداد - العراق ص ١٦٤

وبيوتهم من الشعر والوبر ، يعيشون حياة البداوة بكل ما فيها من رحيل وانتقال وظمن وانتجاع ، وكانوا " قلما يأكلون خبزاً إلا أن يربلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق " (١) لا يعرفون حرثاً ولا زرعاً ، أموالهم الأنعام وعيشهم من اللحم واللبن . (٢)

وكان شمارهم اللثام ، ولذا دعوا بالملثمين ، وقيل في سبب ذلك أنهم اتخذوه كسائر قبائل الصحراء ، يتقون به حر الهجير ورمال الصحراء ، حيث يلقسون به هلماتهم فلا يظهر منها سوى محاجر العيون ، فالمناخ الصحراوي هو العامل الاساسي في اتخاذ اللثام ، يقول المؤرخ والجغرافي الكبير ، ابو عبيد البكري (٣) " وجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقب ، وهو فوق اللثام ، حتى لا يبدو منه الا محاجر عينيه ، ولا يفارقون ذلك في حال من الاحوال ، ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميمه الا اذا تنقب ، وكذلك في الممارك ، اذا قتل منهم القتل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يصاد عليه القناع ، وصار ذلك الزم من جلودهم " . ويبدو ان هذا السبب مناطي ووجهه . (٤)

- (١) روض القرطاس ٢٧٦ ، البيان المغرب ٤ : ١٢٨ ، الاستقصا ٢ : ٣ تاريخ ابن خلدون ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ١٩٦٨ م . المجلد السادس ص ١٨١ .
- (٢) المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ١٤٤
- (٣) المصدر السابق ص ١٧٠ ، وفيات الاعيان ٧ : ١٢٩
- (٤) هذا سبب من اسباب كثيرة يذكرها المؤرخون . منها ما يرويه صاحب الحلل الموشية من انهم يرتدون اللثام من زمن مبكر جداً ، وذلك بمقد أن هلك أحد ملوكهم ، الذي كان أخيره أحد الأخبار ، بحوادث الايام وأن الله يبعث رسولا هو خاتم الانبياء فأمن به وله من شعرفيه قوله :
شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو صدّ عمرى الى دهره لكنت وزيرا له وابن عم
وعند ما هلك هذا الملك غلب أهل الكفر على أهل الايمان من اتباعه فاتخذوا اللثام وتفرقوا في الاقطار فصار اللثام زيهم الذي أكرمهم الله به ونجاهم لأجله من عدوهم ، فاستحسنوه ولا زموه ، وصار زياً لهم ولا عقابهم لا يفارقونه الى هذا العهد الحلل ١٧ - ١٩ . وهذا أقرب للاسطورة منه للتاريخ ، في حين يرد ابن عذارى المراكشي سبب اتخاذهم اللثام الى الغزو والقتال . أنظر البيان المغرب ٤ : ١٢٨

وهكذا كان المرابطون منقطعين في صحرائهم ما بين جنوب المغرب والسودان الى ماشيتهم وابلهم في نكد عيش وشظف حياة ، الى ان برز يحيى بن عبد الله الجدالي زعيم قبيلة جدالة وهي شقيقة لمتونة حيث استمر على رئاسة صنهاجة وزعامتها فسي حروبها ضد اعدائها من القبائل الاخرى ، الى أن عزم على أداء فريضة الحج ، واستخلف على القوم ولده ابراهيم بن يحيى ، ورحل الى الشرق ، وفي طريق عودته مرّ بالقيروان فالتقى فيها بأبي عمران الفاسي (موسى بن عيسى بن ابي حاج الففجومي ، نسبة الى ففجوم من قبيلة زنانة) (١) حيث اجتمع به ، واستمع الى مجلسه العلمي وتحدث اليه عن سوء الحالة الاجتماعية بالمغرب وما عليه القبائل من جهل بأصول الدين (٢)

ولما لم يكن من طلبة أبي عمران الفاسي من تبرع للذهاب مع يحيى الجدالي الى الصحراء ، أرسله ابو عمران الفاسي الى وجاج بن زلو اللمطي بنقيس في السوس الأقصى . ووجاج هذا من تلاميذ ابي عمران الفاسي ، التقى يحيى بن عبد الله الجدالي بوجاج اللقا الاول سنة ٤٣٠ هـ حيث انتدب وجاج بن زلو تلميذه الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي (٣) للذهاب مع يحيى الى الصحراء ليعلم قومه القرآن والسنة .

وكان عبد الله بن ياسين ، فطنا نبيا ، شديد الورع والفيرة على تعاليم الاسلام ، الى جانب كونه خطيبا موهوبا شديد التأثير . سار عبد الله بن ياسين بصحبة يحيى بن عبد الله الجدالي الى القوم في الصحراء ، وأخذ يبيت بينهم تعاليم الدين الحنيف ، ويبيّنهم بأحكام الاسلام ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، واشتد في مؤاخذتهم ومخالبتهم بالاقلاع والامتناع عن ممارسة تلك التقاليد المنافية للاسلام

(١) النبوغ المغربي في الادب العربي ، عبد الله كنون ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٦١ ص ٥٧ ، الاستقصا ٢ : ٦

(٢) ابن خلدون ٦ : ٣٧٣ وما بعدها ، الاستقصا ٢ : ٦

(٣) روضة القرطاس ١٢٣ ، اعمال الاعلام ٣ : ٢٢٧ ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ١٤٥ ، الاستقصا ٢ : ٦ ، المونس في أخبار افريقيا وتونس ١٠٤

مثل الزواج بأكثر من أربع نسوة ، وكان هذا من الأمور الشائعة بينهم ، إلى كثير من الأمور الخارجة عن الإسلام ، المنافية لتعاليمه كما جاءت في القرآن والسنة ، واشتد عليهم في ذلك كله ، فحصل منهم نفور نحوه (١) وأخذوا يعرضون عن تعاليمه وينصرفون عنه لما رأوا من شدته وصرامته في تطبيق الشريعة ، ولما تكبد هم هذه التعاليم مبین الخيق والشدّة والعنت ، فثاروا عليه ، وتزعّم الثورة فقيه منهم اسمه الجوهر بن سَكَم مع رجلين من كبرائهم (٢) ، فنحّوا عبدالله بن ياسين عن الرأي والمشورة ، وقبضوا منه بيت مالهم وطرّدوه وهدموا داره ونهبوها (٣) .

عندئذ عوّّل الفقيه المطارود عبدالله بن ياسين على أن يتخذ له مكاناً — ومعه تلميذه يحيى بن ابراهيم الجدالي — ينقطع فيه للتبتل والعبادة والزهد فاتخذا لهما مكاناً بعيداً عن القوم ، ولم يلبث أن شهر أمرهما في ذلك الموضع الذي انقلبا فيه للعبادة ، فوجد عليهم كثير من أشرف بمنهاجة ممن آثروا الزهد والعبادة فمكف عبدالله بن ياسين على تثقيفهم ووعظهم وسماهم المرباطين للزومهم رابطته (٤) وابتنى لهم رابطة للصلاة والعبادة ، وأخذ يعلمهم أحكام القرآن والسنة ، والصلاة والزكاة وسائر العبادات ويأمرهم بالمصروف وينهاهم عن المنكر ، ويلهب احساسهم الديني ، ويذكى حماسهم للجهاد في سبيل الله ، ومقاتلة المخالفين لأحكام الإسلام .

(١) روض القرطاس ٧٨ - ٧٩ ، الاستقصا ٢ : ٨

(٢) المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ١٦٥ - ١٦٦

(٣) المصدر السابق ١٦٦

(٤) نظام الجمان ، ابن القحطان ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، منشورات

كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط

بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي وتحت اشراف معهد

مولاي الحسن للبحوث ص ٢١

اعمال الاعلام ٣ : ٢٢٨ ، الحلل الموشية ٢١ ، المغرب في ذكر بلاد

افريقيا والمغرب ١٦٧ ، روض القرطاس ١٢٤ ، المونس في اخبار افريقيا وتونس

وسرعان ما أخذ عدد الوافدين في الزيادة ، فبلغ في مدة يسيرة ثلاثة آلاف رجل ، فخطبهم عبد الله قائلاً (١) : (يا معشر المرابطين انكم جمع كثير ، وأنتم وحموه قبائلكم ، وروءساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم الى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم ، وتأملوا بالمصروف وتنهوا عن المنكر ، وتجاهدوا في الله حق جهاده) وخرج بهم طالبا اليهم دعوة قبائلهم الى الاسلام وترك المفاسد والمنكرات ، فان أبوا فقتلهم (٢) .

وقد بدأ عبد الله بن ياسين غزواته بجدالة ، حيث غزاها في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين وحرزهم سنة ٤٣٤ هـ ، ثم سار الى قبائل لمتونة حتى أخضعهم وبعدها الى مسوفة حتى بايعته على ما بايعته عليه جدالة و لمتونة (٣) ، واستطاع بذلك بسط سلطانه الاول على قبائل الصحراء ، فجبي الاموال والزكاة والمشهور والفقير ، واتخذ الخيل والسلاح ، وعظم شأنه واشتد أمره ، وذاع اسمه في سائر انحاء الصحراء وبلاد المغرب والسودان فكان الزعيم الروحي للمرابطين بحقوق .

ولما توفي الامير يحيى بن ابراهيم الجدالي ، ندب عبد الله بن ياسين مكانه الامير يحيى بن عمر اللمتوني ، واختياره لامير من لمتونة يدل على حماسة وفطانية فلمتونة أقوى القبائل ، وأكثرها عدداً وأشدّها بأساً في الحرب ومراسا في القتال ويحيى هذا كان أميراً ورعاً تقياً ، كثير الولاء والبيعة له ، شديد الوفاء والاخلاص حتى أن عبد الله بن ياسين نمره ذات يوم عشرين سوطاً لأنه باشر القتال بنفسه مع جنده ، والامير في رأيه يجب عليه ألا يباشر القتال بنفسه ، ولا يعرض حياته للمخاطر وأن يقتصر على حث جنده وتقوية نفوسهم والهاب مشاعرهم ، لأن حياة الامير حياة مسكره ، وفي موته فناء جيشه (٤) .

(١) أعمال الاعلام ٣ : ٢٢٨

(٢) روض القرطاس ١٢٦ ، الاستقصا ٢ : ١٠ ، المؤنس في اخبار افريقيا وتونس ١٠

(٣) أعمال الاعلام ٣ : ٢٢٨ ، روض القرطاس ١٢٦ ، الاستقصا ٢ : ٩

(٤) الاستقصا ٢ : ١١

قاد الأمير يحيى بن عمر اللمتوني حملات عدة ، وفتح جهات الصحراء وغزا بلاد السودان وافتتح كثيرا من انحاءها بفضل جيوشه الشديدة البأس والمراس يقول أبو عبيد البكري في شدة بأسهم في القتال (١) : (ولهم في قتالهم شدة وجلد ليس لغيرهم ، وهم يختارون الموت على الانهزام ، ولا يحفظ لهم فرار من زحف ، وهم يقاتلون على الخيل والنُجُب ، وأكثر قتالهم وهم راحلون على اقدامهم صفوا ، بأيدي الصف الاول القنا الطوال للمداعسة والطمان ، وما يليه من الصفوف بأيديهم المزاريق* يحمل الرجل الواحد منهم عدة ، يزرقيها فلا يكاد يخطى ولا يشوى* ، ولهم رجيل قدموه أمام الصف الاول بيده الراية ، فهم يقفون ما وقفت الراية منتصبين ، وأن أمالها الى الارض ، جلسوا جميعا ، فكانوا أثبت من الهضاب) .

وما سهل عمليات الفتح المرابطي بالمغرب ، انه كان يقدم بظروفه واماراته الصغيرة المتفرقة (٢) (فرصة طيبة للطامعين والمتوشرين) كما يقول الدكتور محمد عبدالله عنان ، حيث كانت العناصر الناقمة المضطهدة في تلك البلاد المستبدة تتطالع الى المرابطين الذين ينادون بالاصلاح والتزام القرآن والسنة ويلتهبون حماسة دينية ، فبعث فقهاء درعة وسجلماسة من بلاد المغرب بكتبهم الى عبدالله بن ياسين والامير يحيى بن عمر اللمتوني وأشياخ المرابطين ، يشكون فيها ما يقع في بلادهم من شروب الظلم وألوان العسف ، وقبل المرابطون الدعوة وخرجوا الى درعة واستولوا عليها واقتحموا سجلماسة وانتدبوا عليها عاملا منهم (٣) .

- (١) المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ١٦٦
 (*) المزاريق : جمع مزارق وهو القصير من الرماح ، وقد زرقة بالمزارق اذا طاعنه أو رماه به ، اللسان مادة زرق
 (*) يشوى : يخطى رمية السهم ، اللسان مادة شوا
 (٢) دول اللوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، الدكتور محمد عبدالله عنان دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية

١٦٦٦ م ، ص ٣٠٤

- (٣) اعمال الاعلام ٢٢٩ : ٣ ، ابن خلدون ١٨٣ : ٦ ، الاستقصا ١٣ : ٢

وعندما توفي الأمير يحيى بن عمر اللمتوني سنة ٤٤٧ هـ ، عين عبد الله بن ياسين مكانه في القيادة ، أخاه أبا بكر بن عمر اللمتوني (١) . وفي عهده افتتح المرابطون بلاد السوس وبلاد المصامدة وساروا إلى أغمات ودخلوها سنة ٤٤٩ هـ (٢) وظل عبد الله بن ياسين يواصل جهاده إلى أن استشهد في حروبه مع البرغواطيين سنة ٤٥١ هـ (٣) ودفن (بكريفة) حيث قام بالامر بعده أبو بكر بن عمر اللمتوني واضطلع بالرياسة السياسية والروحية ، فوطد أركان الدولة وأرسى قواعد ما وقضى على خصوصها في المغرب الشمالي ، وواصل القتال إلى أن جاءه رسول من الصحراء من بلاد القبلة ، وأخبره بوقوع خلاف بين لمتونة ومسوفة ، فقرر أبو بكر اللمتوني العودة إلى الصحراء لرأب الصدع وتوحيد الكلمة . فأتاب عنه ابن عمه يوسف بن تاشفين (٤) وأوكل إليه شؤون المغرب ، ووافق على ذلك شيوخ المرابطين لما يعلمونه عن يوسف (من دينه وفعله وشجاعته وحزمه ، ونجدته وعدله ، وورعه وسداد رأييه) (٥) .

رحل الأمير أبو بكر اللمتوني بقسم من الجيش سنة ٤٥٣ هـ (٦) إلى الصحراء فقام بفهم الخلاف والقضاء على أسبابه ولمّ الشمل وتوحيد الصف ، وفي الوقت نفسه كان يوسف بن تاشفين يواصل فتوحات المغرب فحظم أمره واشتد بأسه ، وذاع صيته في أنحاء المغرب وتوج ذلك بأن اختط مدينة مراكش سنة ٤٥٤ هـ (٧) ، يقول

(١) روض القرطاس ١٢٨ ، الاستقصا ١٣ : ٢ ، أعمال الاعلام ٢٣٠ : ٣

(٢) دول الطوائف ٣٠٥

(٣) روض القرطاس ٧٨ - ٧٩ ، أعمال الاعلام ٢٣٠ : ٣ ، ابن خلدون ٣٧٣ : ٦ ، الاستقصا ١٩ : ٢

(٤) أعمال الاعلام ٢٣٢ : ٣ ، الحلل الموشية ٢٣

(٥) ابن خلدون ١٨٤ : ٦

(٦) روض القرطاس ١٣٢ - ١٣٤ ، أعمال الاعلام ٢٣٢ : ٣ ، الاستقصا ٢١ : ٢

(٧) السمادة الأبدية في التصرف بمشاهير الحضرة المراكشية ، الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله بن المبارك المراكشي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مطبع ، سنة ١٣٤١ هـ .

ابن خلدون ٣٧٧ : ٦ ، البيان المشرب ٤ : ٤ ، وفيات الأعيان ٢٤ : ٢ ، الاستقصا ٢٤ : ٢

صاحب روض القرطاس (١) : (ودخلت سنة ٤٤ هـ ، وفيها تقوى أمر يوسف ابن تاشفين بالمغرب وكبر صيته ، وفيها اشترى موضع تأسيس مدينة مراكش ، ممن كان يملكه من المصامدة ، فسكن الموضع بخيام الشعر ، وبني فيه مسجدا للصلاة ، وقمبة صغيرة لا خزان أمواله وسلاحه ، ولم يبن على ذلك سورا ، وكان رحمه الله لما شرع في بناء المسجد يعمل في الطين بيده ، فمع الخدمة تواضعا منه وتورعا ، غفر الله له ونفعه بقصده) .

وقد اتصل بالأمير أبي بكر اللتوني وهو في بلاد القبلة ما تأتي لابن عمه يوسف من الملك ، فبدا له في أمره ، فأقبل من الصحراء لاسترجاع ملكه ، بعد ان انتهى من اصلاح أمور الصحراء وجهاد السودان (٢) .

وسار شمالا ، فلقه يوسف بن تاشفين خارج مراكش (٣) بجيوش عظيمة ومعه الخدم والحشم ، وعند ما سأله أبو بكر عن هذه الجيوش أجابه بقوله (٤) : (انني أستعين بها على من خالفني ، ثم قال له (٤) : اني قد نجحت اليك بكل ما معي من مال وثياب وشي من الطعام والاثم لتستعين به على الصحراء) . فأدرك الأمير أبو بكر غرته يوسف وعلم أنه خالف عليه وطمع في بلاده ، وعزم على الاستبداد بالملك فتنازل له عن ذلك كله (٥) وعاد ثانية الى الصحراء حيث توفي فيها سنة ٤٨ هـ (٦) .

(١) روض القرطاس ١٣٨

(٢) اعمال الاعلام ٣ : ٢٣٢

(٣) الحلل الموشية ٢٦

(٤) ابن خلدون ٦ : ١٨٥ ، الاستقصا ٢ : ٢٣

(٥) الحلل الموشية ٢٦

(٦) روض القرطاس ١٣٥ ، اعمال الاعلام ٣ : ٢٣٢ ، ابن خلدون ٦ : ١٨٤ ،

الاستقصا ٢ : ٢٢ ، المونس في أخبار افريقيا وتونس ١٠٧ .

بعد عودة الأمير أبي بكر اللمتوني إلى الصحراء استقل يوسف بن تاشفين بالأمر تماماً ، فأخذ يواصل فتوحاته في المغرب ، ويوطد أركان دولته ، فجيش الجيوش الوافرة ، وقسمها إلى أربعة أقسام ، جعل على رأس كل قسم منها قائداً من أقدر قواده ، وهم محمد بن تميم الجدالي ، وعمر بن سليمان المسوفي ومزدالي التلكاني وسير بن أبي بكر اللمتوني (١) ، وبعث بهم إلى مختلف أنحاء المغرب فأخذت هذه الجيوش في محاربة القبائل المعادية ، تطوى الأرض وتفتح البلاد وتدن الحصون والمعاقل ، ولم تضي بضعة أشهر حتى كان يوسف بن تاشفين قد غلب على معظم نواحي المغرب الأقصى ، واستولى على تلمسان ووهران والجزائر ، وأعجب سيد المغرب الأقصى والأوسط والصحراء (٢) ، وأصبحت دولته تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى ولاية تونس شرقاً ، فقد ملك جميع بلاد القبلة من سجلماسة إلى جبال الذهب في بلاد السودان والسنغال (٣) ، وبلغت مساحة دولته مسير ثلاثة أشهر مشياً طويلاً ومثلها عرضاً (٤) .

وهكذا قامت الدولة المرابطية الكبرى في بلاد المغرب والصحراء ، أقامها يوسف بن تاشفين وأرسى قواعد ها ووطد أركانها واختار عاصمتها ونظم جيوشها واتخذ الحشم والخدم والأعلام والبنود ، بعد أن وضع أسسها الأولى ورعى روادها

(١) أعمال الاعلام ٣ : ٢٣٤ - ٢٣٥

(٢) في تاريخ المغرب والاندلس. الدكتور أحمد مختار العبادي. دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٨ م ص ٣٠٥ .
دول الطوائف ٣٠٩ وما بعدها .

(٣) روض القرطاس ١٥٧ ، الاستقصا ٦٠ : ٢

(٤) أزهار البساتين في أخبار الاندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين . تأليف جان جيروم طارو . ترجمة وتعليق الاستاذ أحمد بلا فريخ ومحمد الفاسي . المطبعة الوطنية - الرباط - ١٣٤٩ هـ ص ٥٤ ، ٧٦ .

الفقيه الزاهد عبدالله بن ياسين تربية اسلامية تقوم على اقامة شعائر الاسلام وفق ما جاء في القرآن والسنة الشريفة . فقد قامت الدولة المرابطية على أساس " من فقه ودين " (١)

(١) اعمال الاعمال م ١٨٦:٣ .

الوضع في الأندلس قبيل دخول المرابطين :-

كانت الأندلس تحت حكم ملوك الطوائف منذ مطلع القرن الخامس الهجري اثر انهيار الدولة العمارية سنة ٣٩٩ هـ . حيث تفككت الدولة الكبرى، وانقسمت الى وحدات متعددة ، تقوم في كل منها دولة أو مملكة تزعم لنفسها الاستقلال والسيادة المطلقة ، وغالبا ما تقوم العلاقات بينها وبين جاراتها على العداء والصفاضة والخصومة والحرب العدائية الاهليسية (١) .

ومن أهم هذه الدول * : الدولة الزيرية في غرناطة والدولة اليهودية في سراقسة والدولة الجهورية في قرطبة ودولة ذي النون في طليطلة والدولة العبادية

(١) دول الطوائف : المقدمة .

* الدولة الزيرية في غرناطة ، مؤسس هذه الدولة زاوي بن زيري ٤٠٣-٤١٠ هـ استولى عليها المرابطون سنة ٤٨٣ هـ في عهد عبد الله بن بلقين .

دول الطوائف ١١٨ - ١٤٤ .

الدولة اليهودية في سراقسة ، مؤسس الدولة المنذر بن يحيى التجيبي ٤٠٨-٤١٤ هـ وقد احتل المرابطون سراقسة سنة ٥٠٣ هـ . في عهد

عبد الملك بن احمد عماد الدولة . دول الطوائف ٢٤٥-٢٨٥ .

الدولة الجهورية في قرطبة ، مؤسس الدولة الوزير ابو الحزم بن جهـور ، وقد تولى الامر بعد فرار هشام بن محمد الطقب بالمعتمد بالله

سنة ٤٢٢ هـ . وكانت تشمل جيان وابذة والمدور وبياضة وارجوانسة

واندوهر وعرفت بحكومة ابن جهور ، " بحكومة الجماعة " . توفي ابن

جهور سنة ٤٣٥ هـ . سقطت قرطبة بيد بني عباد أصحاب اشبيلية

سنة ٤٦٣ هـ . دول الطوائف ٢٠ - ٣٠ .

الدولة النونية : دولة بني ذي النون بطليطلة ، مؤسسها اسماعيل بن ذي النون

الظافر ٤٢٧-٤٣٥ هـ . وقد سقطت الدولة بيد النصاري - الفونس لساس

سنة ٤٧٨ هـ في عهد يحيى بن اسماعيل بن القادر ، وكان لسقوطها

بيد النصاري وقع رهيب على المسلمين داخل الأندلس وخارجها مما عجل

بجواز المرابطين الى الأندلس في العام التالي لسقوطها ٤٧٩ هـ .

دول الطوائف ٩٣ - ١١٦ .

=

في اشبيلية . و) كانت هذه الدول الاسلامية فيما بينها أشد خصومة وتطاحنا من النصرى ، ولم تكن لتتورع عن التحالف مع الدول النصرانية أو أن تستمد عونها نظير الجزية (١) ، وكثر عدد ملوك الطوائف فبلغ ثلاثة وعشرين ملكا وكلهم يتوجس خيفة من قواده وجيرانه وهم مع ذلك أهل لهو وترف (٢) ، استنفذوا قواهم في منازعات بينهم وحروب دامية (٣) ، واستبدوا في الأمر كثيرا (٤) ، وتمادوا في تمزيق بعضهم بعضا .

وقد بلغت الحال في البلاد درجة كبيرة من الخطورة والضعف ، بات يخشى معها على الاسلام في شبه الجزيرة من الانهيار (٥) ، فقد أخذت الحوادث تجري بسرعة

= الدولة العبادية باشبيلية ، مؤسس الدولة قاضي اشبيلية ابو القاسم بن عباد عام ١٤٤ هـ ، ثم تولى الامر بعده ابنه عباد بن محمد بن المعتضد بالله سنة ٤٣٣ هـ واستولى على لبلة وارکش وامارة ولبة وجزيرة شلطيـش وامارة شنتمرية وباجة ورندة وغيرها . مات المعتضد ٤٦١ هـ وتولى بعده ابنه المعتضد الذي استولى على قرطبة سنة ٤٦٣ هـ وفي عهده سقطت الدولة العبادية بيد المرابطين بزعامه يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٤ هـ .
دول الطوائف (٣١ - ٧٦) .
وغير هذه الدول دويلات كثيرة وأمرأ طوائف صفار .

(١) تاريخ الاندلس في عهد المرابطين الموحدين ، يوسف أشباح ، ترجمة د . محمد عبد الله عنان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٥٨ - القاهرة ص ٤٥ .

(٢) المرابطون ، تاريخهم السياسي . الدكتور محمد عبد الهادي شميرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٩ م . ص ١٠٨ .

(٣) الاسلام في المغرب والاندلس ، ليفي بروفنسال . ترجمة د . السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مراجعة لطفي عبد البديع مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ، سلسلة الألف كتاب رقم ٨٩ ، ص ١٢٤ .

(٤) سلسلة محاضرات عامة في أدب الاندلس وتاريخها ، ألقاها ليفي بروفنسال عام ١٩٤٧-١٩٤٨ م ترجمها محمد عبد الهادي شميرة ، راجعها عبد الحميد العبادي بك ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٥١ م ، مطبوعات كلية الآداب بجامعة فاروق الاول ص ١٦ .

(٥) تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ١١٥ .

مذهلة ، وساء موقف الاسلام والمسلمين ، فبلغوا من الضعف والعجز وعدم القسـدرة على الدفاع عن البلاد وحماية الاسلام مرحلة أصبح النصارى معها يفرضون عليهم الاثـوات ويأخذون الجزية ويميثون في البلاد فسادا ويقتطعون أجزاء من دولـة الاسلام في شبه الجزيرة ، وانقضى الفونس السادس زعيم النصارى على أرض المسلمين كالكلب المسموم (١) ، وطمع في البلاد بعد أن كان طامع في الجزية . جاء في مذكرات الأمير عبدالله بن زيري قوله (٢) : " وكثرا رأينا كلب النصارى على الجزيرة وأخذة طليطلة وقلة رفقـه بعد ما كان يقنع منا بالجزية ، وصار يروم أخذ القواعد وأن أخذة لطليطلة للضعف المتوالي عليها عاما بعد عام ، وكذلك كان من شأنه أخذ البلاد ، إذ كان مذهبه ألا ينزل محقلا ولا يفسد اجناده على مدينة لبعد مراصها ومن فيها من مخالفي ملته ، وانما كان يأخذ منها الجزية عاما بعد عام ، ويعنف عليها بما شاء من أصناف التعدي الى أن تضعف وتلقى بيدهم " .

فالنصارى يضيّقون على المدن الاسلامية ، والملوك في لهو وانصراف الى اللذات ، ليس لهم من همة الملوك شي ، يقول ابن رشيق القيرواني في ذلك (٣) :

ما يزهدني في أرض أندلس تلقب معتصد فيها ومعتصد
القاب مملكة في غير موضعها كالهـر يحكى انتفاخا صولة الأسد

فقد رضي الملوك بالضعف والمذلة والذخعة . وقبلوا بأداء الجزية لملوك النصارى الذي كان لا يعبا بهم ولا يحفل بوجودهم ، يقول المراكشي (٤) : " فأما ملوك

- (١) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ٧٤ .
- (٢) مذكرات الأمير عبدالله بن زيري ، المسماة بكتاب " التبيان " تحقيق المستشرق ليفي بروفنتسال ، دار المعارف بمصر . ذخائر الصرب رقم ١٨ ص ١٠١ ، وكان الفونس السادس قد احتل مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ .
- (٣) نفع الطيب ١ : ٢١٤ .
- (٤) المعجب في تلخيص أخبار المغرب . عبدالواحد المراكشي المتوفى سنة ٦٤٧ هـ . تحقيق الاستاذ محمد سميد الحريان ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة سنة ١٦٦٣ م . ص ١٩٣ .

الاندلس فلم يكن منهم أحد إلا يؤذى اليه — الفونس — الاثاوة ، وهم كانوا أحقر في عينه وأقل من أن يحتفل بهم " لما هم عليه من هوان ومذلة ، فبعثت حالة الضعف هذه القوة والعزيمة عند النصارى ، فقويت أطماعهم ورووا من دماء المسلمين أسنتهم وشغارهم ، و " من أخطاءه القتل منهم — المسلمين — فانما هو بأيديهم سبايا يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، حتى دنوا — النصارى — مما أرادوه من التوثب وأشرفوا على ما أمّلوه من التفلب " (١) .

وبلغ الاستغفاف بالمسلمين لدى الفونس مبلغه ، فلم يعد يقيم للمسلمين فسي شبه الجزيرة وزنا بتاتا ، وتجاوز ذلك الى المسلمين في بر العدو ، فبعث برسالة الى الامير المرابط يوسف بن تاشفين جاء فيها قوله (٢) : " ولم يخف عليك ما عليه روماءكم بالاندلس من التغافل والتواكل ، والاحمال للرعية والاخلاد الى الراحة وأنا أسومهم الخسف فأضرب الديار وأهتك الأستار ، وأقتل الشبان وأسر الولدان " . وكتب اليه رسالة ثانية جاء فيها قوله (٣) : " أما بعد فانك اليوم أمير المسلمين ببلاد المغرب وسلطانهم ، وأهل الاندلس قد ضعفوا عن مقاومتى ومقابلتى ، وقد أدلتهم بأخذ الجزية منهم ، وبالقتل والأسر ، والذل والقهر ، وأنا لا أقنع إلا بأخذ البىلان " .

أمام هذا الوضع المتردى ، وتحت شدة طمع النصارى في البلاد وتكالبهم عليها وجراأتهم على المسلمين ، كان لا بدّ لملوك الطوائف من مضانعة النصارى ، ومحاولة كسب رضاهم ونيل ودّهم للابقاء على ما في أيديهم من حطام ، بعد أن بلغ بهم العجز درجة كبيرة يتمدّد معها اللجوء الى القوة وغزو الممالك ، ومضانعة النصارى كانت عن طريق دفع الجزية وإيتاء الاثاوة ومنحهم الكثير من التسهيلات ، ولكن أتى للنصارى

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . ابن بسام الشنتريني . تحقيق د . احسان

عباس . دار الثقافة — بيروت ١٧٩ م . القسم الثاني المجلد الاول ص ٣٤٩ .

(٢) الحلل الموشية ٤٣ .

(٣) اعمال الاعلام ٣ : ٢٣٩ .

الاكتفاء بذلك أو الرضى به ، وقد اشتد بأسهم في الوقت الذي ضعف فيه عدوهم وخصمهم ، يقول ابن بسام صاحب الذخيرة (١) : " وكانت طوائف الروم ، مدة ملوك الطوائف بأفئتنا قد كلب دأوهم بكل اقليم ، فلاتفوههم — ملوك الطوائف — بالاحتياال ، واستنزلوهم بالاموال ، فلم يزل دأبهم الانعان والانقياد ، ودأب النصارى التسلط والمناد ، حتى استصفوا الطريف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النفاذ ."

والشعر شاهد على ذلك ، يقول حسان بن المصيصي* يمدح المعتمد بن عباد ويهون عليه تلك الاثوات (٢) :

ولم تطو دون المسلمين ذخيرة تهين كرام المنفسات لتكرما
تحيل في فك الاسارى وانما تماقد كفارا لتطلق مسلما
وما كنت ممن شح بالمال والقنا فتكنز دينارا وتركز لهذما
فترسله للصفر أصفر عسجدا وان خالفوا أرسلت أبيض مخدما
فالشاعر صادق في شطر مما يقول ، منافق في الآخر ، فهو ان صدق في كون المعتمد يدفع الاثاة ويؤدى الجزية ، كذب في زعمه أن المعتمد يشن الغارة ويعملن الحرب ان رفخ النصارى الجزية ، ولو كان ذلك بإمكانه ومقدوره لما دفع الجزية أصلا .
وبلغ الأمر غايته من كلب النصارى ، وشدة وطأتهم ، وتضييقهم على ملوك الطوائف ، وتيقن هؤلاء من الخطر الماحق الساحق الذى بات يهدد كياناتهم ودويلاتهم عندما احتل الفونس السادس من مدينة طليطلة سنة ١٠٨٥ هـ (٣) .

(١) الذخيرة ٢: ١: ٢٤٨ .

(٢) المصدر السابق ٢: ١: ٢٤٨-٢٤٩ .

* حسان بن المصيصي : ابو الوليد حسان بن المصيصي من مدينة شلب ، استكتبه المأمون بن المعتمد لما ولأه أبوه مملكة قرطبة ، كان هو وابن عمار وابن المسلح اترابا متمازجين ، يمدح المعتمد بن عباد .

الذخيرة ٢: ١: ٤٣٣ .

(٣) الذخيرة ٢: ١: ٢٤٢ ، النفح ٤: ٣٥٢ ، رومى القرطاس ١٤٤ .

واحتلاله هذه المدينة يعتبر حدثاً حاسماً في تاريخ الاندلس ، يقول ليفي بروفنسال (١) : " كان استيلاء الفونس السادس ملك ليون وقشتالة على مدينة طليطلة في شهر مايو سنة ١٠٨٥ م - ٤٧٨ هـ . من أهم أحداث التاريخ الإسباني في العصور الوسطى ، إذ كان هذا تنويجا للجهود المضنية التي بذلت في حركة الاسترداد المسيحي في القرن الحادي عشر . . . وقد سرى هذا الاستيلاء في جميع أنحاء الاندلس سرى الألم والحسرة " ، وإن كانت قد حصلت مدينة قُوربة (٢) وسرقة قبلها في يد العدو إلى جانب قلاع وحصون أخرى . لكن بسقوط طليطلة المدينة الكبيرة حلت الفاقة وقُضيت القضية وتعجلت البلية لأنها من الجزيرة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة كما يقول ابن بسّام (٣) .

وحقيقة وقع هذا الحادث وقوع الصاعقة على المسلمين في الاندلس وغير الاندلس وكان ايذاناً ببداية الانهيار الإسلامي في شبه الجزيرة ، فبعثت الخوف والرعب في نفوس الأهليين ، فباتوا يخشون على أرواحهم وأنفسهم العاقبة ، يقول ابن العسكالي (٤) :

حُتُّوا مطاياكم عن أرضي أندلس
فما المقام بها إلا من القلـط
فالثوب ينسـل من أطرافه وأرى
ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط

(١) الإسلام في المغرب والاندلس ١٢٠ .

(٢) روض القرطاس ١٤٣ ، أعمال الاعلام ٣ : ٢٣٧ .

(٣) الذخيرة ٢ : ١ : ٢٤٩ - ٢٥٢ .

(٤) المصدر السابق ٢ : ١ : ٢٥٠ .

* ابن العسكالي : أبو محمد عبد الله بن فرج الحيصي ، زاهد طليطلة المشهور بالكرامات ، كان متفنناً فصيحاً لساناً ، يغلب عليه حفظ الحديث ، وكان شاعراً مغلفاً توفي سنة ٤٨٧ هـ . وقد نيف على الثمانين ودفن بمدينة غرناطة . النفح ٤ : ٣٥٢ ، المغرب في حلى المغرب ٢ : ٢١٠ .

ولكن السّمسّر* يتمسك بالبلاد ، يدعو الى الثورة على الملوك وشق عصا الطاعة
يقول (١) :

ناد الملوك وقتل لهم	ما ذا الذي أحدثتم
اسلمتم الا سلام في	أسر هذا وقدمتم
وجب القيام عليكم	ان بالنصارى قمتهم

ولئن كان سقوط مدينة أليطالة سنة ٤٧٨ هـ. في يد العدو أطمعه في
سائر المدن والممالك . فقد نبّه هذا السقوط ملوك الطوائف جميعا الى مدى
خطورة الخطب المحيية بهم وسوء المستقبل الذي ينتظرهم . فكان والحال هذه
لا بدّ من مواجهة العدو ، ولما لم تكن القوة الذاتية متوفرة ، فلا بدّ من الاستعانة
بالمسلمين خارج الاندلس ، فاتجهت الانظار الى المرابطين وزعيمهم يوسف بن
تاشفين ببلاد بر العدوة ، لما شاع عنهم من أنهم (٢) " أهل خير واقبال على طلب
الآخرة ، وانهم يحكمون بالعدل " .

(١) الذخيرة ١ : ٢ : ٨٨٥ .

(٢) مذكرات الامير عبد الله ١١٦ .

* السّمسّر : أبو القاسم بن فرج الألبيري ، من أعلام شعراء البيرة في سدة
ملك الطوائف ، كان شاعر عصره واعجوبة دهره ، مشهور بالهجاء ،
له كتاب سماه " شفاء الامراض في أخذ الاعراض " .
الذخيرة ١ : ٢ : ٨٨٢ . المغرب في حلى المغرب ٢ : ١٠٠ .

جوازهم الاندلس وسط النفوذ :-

وصلت الاوضاع في الاندلس من السوء الدرجة التي أسلفنا ، وخشي الناس على دينهم وبلادهم ، فوفد على يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين سنة ٤٧٤ هـ . جماعة من أهل الاندلس ، وشكوا له ما حل بهم من اعدائهم ، فوعد الأمير بامدادهم واعانتهم (١) . وأخذت وفود الشغور في القدوم عليه مستعطفين مجهشين بالبكساش ناشدينه الله والاسلام . مستنجدين بفقهاء حضرته ، مستعينين بوزراء دولته ، فيسمع الأمير اليهم ويصفى لقلوبهم ويعد لهم خسيرا (٢) ومن هؤلاء ابو الاصبع عبد العزيز ابن علي الطرطوش وفد عليه رسولا من قبل أهل بلده طرطوشة (٣) . يقول الامير عبد الله بن زيري في مذكراته : (٤) " ثم أخرج الله الرعية يأتون أفواجا قاصدين المرابط - يوسف بن تاشفين - شاكين وجعلوا في شكاويهم فقهاءهم وسائط يقصدون نحوهم " () .

فالوفود الشعبية تتوارد على يوسف بن تاشفين تناشده حماية الاسلام ونصرة المسلمين . وطلبوا اليه الجواز الى بلادهم أكثر من مرة ، ولكنه تأبى وتمنع وتعلل وتعذر . جاء في رسالة بعث بها الى الناصر بدين الله تميم بن المعز بن باديس بالمهدية قوله (٥) : " فخرطبنا عن الجواز الى الاندلس من جميع الأحواز ، المرة بعد المرة ، وألوتنا الأعذار ، الى وقت الاقتدار ، ولم نجد للجواز بابا ولا لدخول البحر أسبابا " () .

-
- (١) الروض الممطر في خبر الاقطار ، محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى سنة ٧٢٧ . تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٧٥ م . ص ٢٨٩ ، الحلل الموشية ٣٣ .
- (٢) صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض الممطر في خبر الاقطار للحميري . نشر ليفي بروفنسال مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ م . ص ٨٦ .
- (٣) الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية . الامير شكيب ارسلان . المطبعة الرحمانية بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٥٥ - ١٩٣٦ م ، القسم الثالث ص ٢٨ .
- (٤) مذكرات الامير عبد الله ١١٦ ، ١٥٢ .
- (٥) دول الطوائف ٤٤٦ .

الآ أن يوسف بن تاشفين لم يجر إلى الاندلس ، رغم تتابع تلك الوفود ورغم أن نفسه كانت تحدّثه بغزو الاندلس ، جاء في النفح (١) (لما ملك يوسف بن تاشفين اللمتوني ، وبنى مدينة مراكش وتلمسان ، وأطاعه البربر وتمهدت له الأقطار الطويلة المدينة ، تآقت نفسه إلى العبور إلى جزيرة الاندلس ، فهم في ذلك وأخذ في انشاء السفن والمراكب ليحبر فيها ، فلما علم ملوك الاندلس كرهوا المامه بجزيرتهم) .

لقد همّ يوسف بن تاشفين بالعبور ، ولكنه لم يفعل . وشعر ملوك الطوائف بذلك ، وطلبوا إليه الكف عن العبور ، وكتبوا إليه في ذلك (٢) (أما بعد : فانك ان أعرضت عني نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز . وان أجبن داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى وهم ، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتنا فاختر لنفسك أكرم نسبتك ، فانك بالمحل الذي لا يجب أن تسبق فيه إلى مكرسة ، وان في استبقائك ذوى البيوت ما شئت من دوام الأمر وشبوته . والسلام) .

رفض ملوك الطوائف المامه بجزيرتهم وكرهوا ذلك ، وصعب عليهم مدافعتهم وكرهوا أن يكونوا بين عدوين ، الفرنجة عن شمالهم ، والمرابطون عن جنوبهم ، فقد حصّن الممتمد بن عباد الجزيرة الخضراء وجبل طارق لما علم بزحف المرابطين في شرب (٣) .

ولمّا يوسف بن تاشفين كان يتأمل في أن تكون لدولته جبهة شخرية في الشمال لتكتمل شخصية دولته الإسلامية ، وجبهة الاندلس هي الأقرب ، وهي الجبهة التقليدية التي اتجه إليها من قبل الزناتيون والادارة (٤) . إلا أنه استطاع كبح جماح نفسه

(١) النفح ٣٥٤:٤ .

(٢) البيان المغرب ١١٢:٤ - ١١٣ ، النفح ٣٥٥:٤ .

(٣) النفح ٣٥٤:٤ ، وفيات الأعيان ١١٤:٧ .

(٤) المرابطون ، تاريخهم السياسي ١٠٠ .

ورد على ملوك الطوائف بما يفيد أنه سألهم وآثرهم بالاكرام والسماحسة (١) .

لكن الأوامر في الاندلس سارت الى أسوأ ، وسار موقف الاسلام الى درجة الخطورة (٢) ، وبلغ ذروته بسقوط مدينة طليطلة سنة ١٠٨٥ هـ ، ولم يبق لديه سوى وسيلة واحدة ليقوم بها موقفه وهي الاستنجاد بأفريقيا الشمالية (٣) ، وأمام هذا الوضع وجد ملوك الطوائف أنفسهم مضطرين لاستصراخ يوسف بن تاشفين زعيم الدولة المرابطية بالمغرب ، ولما كانت فكرة الاستنجاد هذه تراود ملوك الطوائف وتجسول في خواطرهم ، فقد أبرزها المعتمد بن عباد وهو كبير ملوكهم ، ووجد المعتمد من يعارض هذه الفكرة ، ولكنه أصر عليها لأنه مدرك تمام الادراك أن البلاد ساقطة لا محالة ، فليكن سقوطها بيد المرابطين المسلمين لا بيد الأعداء النصاري ، فقال كلمته العميقة الدلالة ، المصورة لما وصلت اليه البلاد من انهيار وسقوط مؤكد بين (٤) (رعى الجمال خير من رعى الخنازير) .

ذلك ان المعتمد بن عباد كان مهتداً بالفعل من الفونس السادس الذي طلب منه التخلي عن معاقل وحصون كان الموت عنده أولى من اعطائها (٥) ، حيث كان الفونس السادس زحف لفرزه وطلب منه - ساخرا - مراوح يروح بها عن نفسه - قد طال به المقام ، فكتب اليه المعتمد (٦) (قرأت كتابك وفهمت يلاك واعجابك وسأناظر لك في مراوح من الجلود اللطيفة في أيدي الجيوش المرابطية ، تسروك منك ، لا تروح عليك ان شاء الله) .

-
- (١) البيان المغرب ١١٢: ٤ - ١١٣ ، النفح ٣٥٥: ٤ .
 - (٢) الاسلام في المغرب والاندلس ١٢٠ .
 - (٣) المرجع السابق ١٧٢ .
 - (٤) الحلل الموشية ٣٢ ، البيان المغرب ١٣٢: ٤ ، صفة جزيرة الاندلس ٨٥ ، الاستقصاء ٣٩: ٢ .
 - (٥) مذكرات الامير عبد الله ١٠٢ .
 - (٦) صفة جزيرة الاندلس ٨٥ .

وكان المعتمد بن عباد قد أرسل وفدا رسميا الى يوسف بن تاشفين ، يطلب منه الفوت ويستصرخه باسم الاسلام نصرة المسلمين وحماية البلاد ، وضم هذا الوفد أبا اسحق بن مَقَانَا قاضي بَطْلَيْوسَ للمتوكل عمر بن محمد وقاضي الجماعة بأشبيلية أبا بكر عبدالله بن محمد بن أدهم والقَلْبِي قاضي غرناطة لعبدالله بن حبوس بن ماكسن الصنهاجي والوزير أبا بكر محمد بن الوليد بن زيدون (١) .

قصدت هذه السفارة يوسف بن تاشفين ببر العدو ، وبسطت له الحال وشرحت الوضع ، وطلبت النجدة والعون العسكري ، لدفع خطر النصارى وصدّ تقدمهم السريع ولا سيما بمد سقوط مدينة طليطلة ، فطمأنهم يوسف ، وجمع شيوخ المرابطين وشاورهم في الأمر ، فرّده اليه ، فعقد العزم على الجواز الى الأندلس ونصرة المسلمين فيها وطلب من المعتمد بن عباد اخلاء الجزيرة الخضراء ووضعها تحت تصرف القوات المرابطية وذلك عملا بنصيحة كاتبه الأندلسي ابن أسباط . فأخلى المعتمد الجزيرة ، وجاز يوسف بن تاشفين الى الأندلس أول مرة سنة ٤٧٩ هـ (٢) وعندما شرع في عبور البحر أخذ يتوسل الى الله قائلا : (٣) اللهم ان كنت تعلم أن في جوازي هذا خيرا وصالحا للمسلمين ، فسهّل عليّ عبور هذا البحر ، وان كان غير ذلك ، فصعّبهُ عليّ حتى لا أجوزهُ .

فما كان إلا أن سكن البحر وهدأت أمواجه ، فيسر الله الجواز ، واستقبله كبير ملوك الطوائف المعتمد بن عباد في الأندلس وطلب اليه أن يدخل أشبيلية حاضرة ملكه ليستريح من وعثاء السفر ومشقة الطريق ، قبل أن يلتقي بالمعدو .

- (١) الحلة السيرة ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٦٣ م الجزء الثاني ص ٩٩ .
- أعمال الاعلام ٣ : ٢٣٧ ، مذكرات الأمير عبدالله ١٠٢ ، الروض المصطار ٢٨٨ ، الاستقصا ٣١ : ٢ ، البيان المغرب ٤ : ١٣٢ ، صفة جزيرة الأندلس ٨٦ .
- (٢) الحلل الموشية ٣٨ ، المعجب ١٩١ ، روض القرطاس ١٤٥ ، أعمال الاعلام ٣ : ٢٤٠ ، الاستقصا ٢ : ٣٤ .
- (٣) روض القرطاس ١٤٥ ، الاستقصا ٢ : ٣٥ .

فأبى يوسف بن تاشفين وقال : (١) (إنما جئت ناويا جهاد العدو ، فحيثما كسان
توجهت وجهه) وأرسل الى الفونس رسالة يُخبره فيها بين الاسلام أو الجزية
أو الحرب كما تقتضي بذلك السنة جاء فيها (٢) (وقد بلغنا يا أذفونش انك دعوت
الى الاجتماع بك ، وتمنيت أن تكون لك فلك تمر البحر عليها اليانا ، فقد أجزنااه
اليك ، وجمع الله في هذه الفرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة ادعائك ، وما دعنااه
الكاافرين الا في ضلال) وانتهت المراسلة بينهما برد ابن تاشفين على ظهر كتاب
للأذفونش بقوله (٣) : (من أمير المسلمين يوسف الى أذفونش ، أما بعد فان الجواب
ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأذنك ، والسلام على من اتبع الهدى) .

وأردف الكاتب بيت أبي الطيّب (٤) :
ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخميس المرمر

سار يوسف بن تاشفين قائدا الاذفونش ، وكتب الى رؤساء الأندلس يهضمهم
سى : للحاق به ، فلحق به عبد الله بن بلقين بن هبوس صاحب غرناطة وأخوه تميم
ابن بلقين صاحب مالقة والمتوكل على الله أبو محمد عمر بن الأفطس صاحب بطليوس (٥)
ونزل الجيش الاسلامي في سهل الزلاقة ببطليوس ازاء جيش الفونس ، وتواعد الفريقان
على اللقاء يوم الاثنين من شهر رجب سنة ٤٧٩ هـ ، حيث كتب الفونس الى يوسف
ابن تاشفين (٦) (الجمعة لكم والسبت لليهود وهم وزراءنا وكتابنا وأكثر خدم المسكر
نهم فلا غنى لنا عنهم ، والا احد لنا ، فاذا كان الاثنين ، كان ما نريد من الزحف) .

- (١) المعجب ١٣٠ - ١٣٢ .
- (٢) روض القرطاس ٩٤ ، الروض المصطار ٩٠ ، الاستقصا ٢ : ٤١ ،
وفيات الاعيان ٧ : ١١٦ .
- (٣) أعمال الاعلام ٣ : ٢٤٠ .
- (٤) ديوان المتنبي ، شرح عبدالرحمن البرقوقي ، الناشر دار الكتاب العربي
بيروت ، الجزء الرابع ص ٧٠ .
- (٥) أعمال الاعلام ٣ : ٢٤٠ - ٢٤٢ .
- (٦) روض القرطاس ١٤٩ ، الحلل الموشية ٥٩ ، الروض المصطار ٢٨٨ ،
المونس في أخبار افريقيا وتونس ١٠٨ .

اللامسوية والاختلال الذي سيطر على كل دواليب الدولة بالأندلس التي تفككت إلى مجموعة من امارات متهاذلة متخاذلة ، وعهد وضع الاشياء في محلها (١) .

التقى الجيشان يوم الجمعة المذكور سنة ٤٧٠ هـ . على أكثر الروايات ، فنصر الله المسلمين ودارت الدائرة على الكافرين ، ففجّر الأتفونش بقليل من جنده وقسّند طاحنه في فخذه أحد العبيد والتجأ إلى جبل إلى أن أرخى الليل سدوله ، ففجّر صاريا لا يلوى على شيء .

لم يتابع يوسف بن تاشفين استغلال نصر الزلاقة ، ولو فعل ذلك لقضى على شوكة النصاري نهائيا ولم يبق لهم باقية ، وكان المعتمد بن عباد يرى ضرورة ذلك ولكن يوسف أراد أن يبقى ملوك الطوائف بحاجة إذ استصرخوه لوجود الممدو وتهديد يده لهم ، فلو قضى على الممدو لأصبحوا في غنى عنه ، أو لعله كان (يسر حسوا في ارتقاء) كما يقول المراكشي (٢) .

عاد يوسف بن تاشفين إلى بلاده ببر المدوة بعد نصر الزلاقة لنبا وفياة ولده وولي عهده على المغرب الأمير أبو بكر سير (٣) ، بعد أن جمع — يوسف — ملوك الطوائف وأفهمهم أن الممدو ما طمع بهم إلا لضعفهم وتفرقهم ، يقول الأمير عبد الله ابن زيري في مذكراته : (٤) ولما انقضت غزوته تلك — يعني الزلاقة — جمعنا في مجلسه ، أعني رؤساء الأندلس وأمرنا بالائتلاف والاتفاق وأن تكون الكلمة واحدة وأن نباري لم تفرصنا إلا للذي كان من تشبثنا واستمان البصم بهم على البصم .

-
- (١) مأساة انهيار الوجود الصربي في الأندلس ، الدكتور عبد الكريم التواني ، نشر وتوزيع مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٦٧ ، ص ٣٧٦ .
- (٢) المعجب ١٣٥ . وهذا مثل يضرب لمن يريد أن يمينك وإنما يقصد النفـع لنفسه دونك ، كمن يوتئى بوعاء من لبن ويظهر أنه يريد الرغوة خاصة لا يريد غيرها ، وهو في أثناء ارتفاعه يحسو اللبن جرعة جرعة .
- (٣) الحلة السيرة ٢ : ١٠٠ .
- (٤) مذكرات الأمير عبد الله ١٠٦ .

وكان يوسف بن تاشفين قد عَفَّ عن الفنائم (١) مما زاد في قدره واحترامه عند الأندلسيين فانتشر الشناء عليه وأظهر الناس اعظامه ونشأ له الود في الصدور.

عاد يوسف وقد خلف مجموعة من جنده للمرابطة في الأندلس (٢)، بلغ عددهم ثلاثة آلاف مقاتل (٣) كما ينص على ذلك الدكتور عبد الهادي شميرة، خلفهم تحت امرة القائد الفد سِير بن أبي بكر (٤)، ولا يخفى أن ليوسف من وراء ذلك أهدافه فهم دعاة المرابطين ودولتهم من ناحية وجند للانقضاض على ملوك الطوائف ومدنهم في الوقت المناسب من ناحية ثانية .

فقد علقت نفس الأمير بالاندلس، وزادت أطماعه فيها لما شاهده من خصيب وطيب أرض، فأخذ يفكر في تحصيلها (٥) (كنت أظن أنني قد ملكت شيئاً، فلما رأيت تلك البلاد صغرُت في عيني مملكتي، فكيف الحيلة في تحصيلها) .

ولم يلبث ملوك الطوائف أن استصرخوه ثانية، ووفد عليه جملة من وجهاء البلاد، من أهل مرسية وبلنسية ولورقة وبسطة، كما جاز البحر اليه المعتمد بن عباد فلبى يوسف النداء وجاز ثانية الى الأندلس سنة ٤٨١هـ (٦)، بقصد محاصرة حصن "لبيط" (٧)، وكان هذا الحصن بيد النصارى ويقع وسط بلاد المسلمين (٨) فسار يوسف بن تاشفين اليه وطلب من الرؤساء موافقة بجيوشهم والاجتماع به عند الحصن،

-
- (١) المعجب ١٩٥ .
 - (٢) المصدر السابق ١٩٩ .
 - (٣) المرابطون، تاريخهم السياسي ١٢٢ - ١٢٥ .
 - (٤) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ٨٩ .
 - (٥) المعجب ٨٦-٨٧ .
 - (٦) الحلل الموشية ٦٦، أعمال الاعلام ٢٤٩، الاستقصا ٥٢: ٢ .
 - وعند ابن خلدون ان هذا الجواز كان سنة ٤٨٦هـ أنظر ٣٨٤: ٦ .
 - (٧) روض القرطاس ١٥٢ .
 - (٨) الحلل الموشية ٦٨ .

فسار اليه المحتمد بن عباد وتميم بن بلقين صاحب مالقة وأخوه عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة والمعتصم بن صمادح صاحب العرية ، كل في قواته ، وعند ظاهر الحصن وافاه ابن رشيق صاحب مرسية ، فحاصرت القوات الحصن أربعة أشهر دون أن تغلح في اقتحامه ، وساء يوسف بن تاشفين ما شاهده من أحوال هؤلاء الأمراء المشاركين في الحصار ، فقد كانت الوقعة والبغيضة على أشدها بينهم ، فتميم صاحب مالقة وأخوه عبد الله صاحب غرناطة كل منهما يشكو الآخر ويتهما باغتصاب حلقوقه فسي الميراث ، والمعتصم بن عباد والمعتصم بن صمادح يوقع كل منهما في حق الآخر عند أمير المسلمين . إلى جانب خلاف حاد وبارز بين ابن عباد وابن رشيق ، حيث اتهم المعتصم ابن رشيق بالتواطؤ والتفاهم مع ملك قشتالة سراً . وأنه يماون حامية الحصن في الخفاء ، وعندما استفتى يوسف بن تاشفين الأمراء في شأن ابن رشيق أفوتوا باديته ، فأمر بتسليمه لابن عباد على أن يبقى على حياته ، وتراجع يوسف عن الحصن دون أن يفتحه وقفل راجعا إلى بلاده ببر المدوة .

فقل يوسف بن تاشفين عائدا إلى بلاده وهو أشد ما يكون حنقا على رؤسائه^١ ندلس وكرها لمواقفهم ، ورأى أنهم غير جديرين بالبقاء . يقول الأمير عبد الله ابن زيري في مذكراته (١) : (وأخذ الأمير في الانصراف إلى بلاده وهو قد اطلع عيانا وسمعا من اختلاف كلمتنا ما لم يروجهما لبقائنا في الجزيرة) .

ولم يمض غير قليل حتى جاز يوسف بن تاشفين ثالثة إلى اندلس سنة ٤٨٣ هـ وقد عزم على استئصال ملوك الطوائف ورؤسائهم ، وفل عروشهم لما شاهده في جوازه الثاني ولما نقل إليه من كلام عنهم أحفظه وأوغر صدره عليهم (٢) وأخذت خواصه تزين له احتلال الجزيرة ، ويمظمونها في عينييه ، جاء في شذرات الذهب قوله (٣) : (ان خواص الأمير يوسف بن تاشفين جعلوا يمظمون عنده ببلاد

(١) مذكرات الأمير عبد الله ١٠٧ .

(٢) الحلل الموشية ٧١ ، أعمال الاعلام ٣ : ٢٥١ ، الاستقصا ٢ : ٥٢ .

(٣) شذرات الذهب ٣ : ٣٨٧ .

الاندلس ويوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير عليه وقصده ، فلما انتهى الى سبتة جهز اليه العساكر وقدم عليها القائد سير بن أبي بكر) .

كما أن الجماعة غير الاندلسية ممثلة في فقهاءها وعلمائها ، طلبت من المرابطين عزل الامراء وشمول البلاد بالسيادة ، وذلك لأنها سيادة مظفرة من ناحية ولأنها عادلة وأكثر مطابقة للدين من ناحية ثانية (١) ، وفي هذا يقول الأمير عبد الله فسي مذكراته : (٢) (شاع بالاندلس أنهم أهل خير واقبال على طلب الآخرة وحكمهم بالحق وكان السلاطين لذلك يتوقون انحياس رعيته اليه — يوسف بن تاشفين — ثم أخرج الله الرعية يأتون اليه أفواجا فاصدين المرابط ، شاكين . فالراعي يلتصق الزبيادة والساقط يرجو الانتقام) .

أمام ضعف الملوك واقبال الرعية وأطماع النصارى في البلاد رأى يوسف أن يستنقذ الجزيرة . يقول (٣) : (انما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم لما رأينا استيلاءهم على أكثرها وغفلة ملوكهم وإهمالهم للفساد وتواكلهم وتخاذلهم وإيثارهم الراحة . . . ولئن عشت لأعيدن جميع البلاد التي ملكها الروم في طول هذه الفتنة الى المسلمين ولا ملأناهم عليهم — الروم — خيالا ورجالا لاعهد لهم بالدعة ولا علم عندهم برخاء العيش ، انما هم أحد هم فـرس يرومهم ويستفروهم أو سلاح يستجيده أو صريح يلبي دعوتهم) .

فقد عزم الأمير في هذا الجواز على خلع ملوك الدوائف والقضاة على وجودهم وضم الجزيرة الى مملكته ، فسير الجيوش المرابطية لذلك ، وعين عليها أكثر قسواده قدرة وأشد هم اخلاصا ، فسير بن أبي بكر ووجهته أشبيلية لمحاصرة المعتمد بن عباد

(١) المرابطون ، تاريخهم السياسي ١١٥ .

(٢) مذكرات الأمير عبد الله ١١٦ ، ١٥٢ .

(٣) المعجب ٢٢٦ .

ومحمد بن الحاج ووجهته قرطبة لئلا يزعج المأمون بن المعتد ، ويحیی بن واسين — ووجهته المرية لئلا يزعج المعتصم بن معاذ ج وجورور الحشمي ووجهته ملك بني الأفطس (١) .

أخذت المدن الأندلسية تتهاوى أمام هذه الجيوش الواحدة تلو الأخرى (٢) ولم يزل أصحاب يوسف بن تاشفين يطوون تلك الممالك مملكة مملكة الى أن دانت لهم الجزيرة بأجمعها ، حيث استوسق أمر الأندلس لهم بعد القبض على المعتصم ابن عباد وسقوط اشبيلية سنة ٤٨٤ هـ ان كان المعتد كبش كتيبتها . وتابع المرابطون فتوحاتهم فسقطت معظم ولايات الأندلس مثل غرناطة ومالقة وجيان وقرطبة والمرية في وقت يسير لم يتجاوز ثمانية عشر شهرا (٣) . وسقطت الأندلس الإسلامية كلها ما عدا ولاية سراقسطة في يد المرابطين في حدود سنة ٤٨٧ هـ على أبعد تقدير (٤) .

وأصبح ملوك الأندلس ما بين مقبور ومسجون كما يقول ابو الحسن جعفر بن ابراهيم المصروف باين الحاج * شعرا (٥) :

(١) اعمال الاعلام ٣ : ٢٥٠ - ٢٥١ . النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين . ابراهيم حركات ، منشورات مكتبة الوحدة الغربية - الدار البيضاء المغرب ص ١٦٠ .

(٢) سقطت المرية سنة ٤٨٤ هـ ، وفي ٤٨٥ هـ ملك المرابطون دانية وشاذية وبلنسية سنة ٤٨٦ هـ افتتحوا مدينة افراغة من شرف الأندلس . ٤٨٤ هـ سقطت اشبيلية . أنظر : روني القراطس ١٦٦ ، الحلة السيرة ٢ : ٨٤ . المرابطون ، تاريخهم السياسي ١٣٦ - ١٣٧ ، تاريخ الاسلام ٤ : ١٢٤ . وفي سنة ٤٨٧ هـ سقطت بطاليوس ، الحلة السيرة ٢ : ١٠٢ ، وسقطت قرطبة سنة ٤٨٤ هـ ، المعجب ٢٠١ ، أعمال الاعلام ٣ : ٢٥٠ . (٣) المعجب ٢٢٦ .

(٤) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ١١ ، المرابطون ، تاريخهم السياسي ١٣٨ ، الشفر الأعلى الأندلسي ، دراسة في أحواله السياسية . خليل ابراهيم صالح السامرائي . مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٧٦ م . ص ١٦ .

(٥) الحلة السيرة ٢ : ١٠٢ .

* ابن الحاج : جعفر بن احمد الحافري ابو الحسن المعروف بابن الحاج ، ذو الوزارتين من أهل لورقة عداة في رواساء الادباء ، كان حيا سنة ٤٦٤ هـ . وكان له (اختصاص بالابداع في نظم القوافي ووصف الاسجاع) .

كم بالمغرب من أشلاء مُخترَم
وأبناء مَقْنِي، وعبادٍ ومُسَلِّمَةٍ
وأصحبوا بين مقبورٍ ومسجُونٍ
وأشتر الجَدَّ مصبورٍ على الهونِ

فقد استنقذ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الجزيرة، وقضى على دويلات الطوائف الهشة وكياناتهم المتهاففة، ولما مات سنة ٥٠٠هـ (١)، ترك لابنه وولسي عهده الأمير على دولة مترامية الأطراف، حيث كان ملك جميع بلاد القبلة من سجلماسة إلى جبل الذهب في بلاد السودان، وملك جميع بلاد الأندلس شرقاً وغرباً وملك ميورقة ومنورقة ويااسة، وبموته تكون قد انتهت حياة أكبر ملوك الدنيا في عصره على حد تعبير الذهبي (٢).

اتسعت حدود الدولة في عهد الأمير علي بن يوسف، وخطاب له على ألفى منبر ونيف وثلاثمائة منبر، وملك من البلاد ما لم يملكه والده لأنه وجد البلاد هادئة والأموال وافرة، والملك قد تولى والأمور قد استقامت (٣)، وأصبحت الأندلس لأول مرة ولاية تابعة للمغرب.

وظالت سيطرة المرابطين على الأندلس إلى أن انقرضت دولتهم، وزالت عن الوجود وغابت شمسهم في أواخر سنة ٥٤١هـ وأوائل سنة ٥٤٢هـ على يد الموحدين.

- = المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القناعي المصروف بابن الأبار، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٧ ص ٧٠، رقم ٥٦ وانظر المغرب في حلى المغرب ٢: ٢٧٧.
- (١) روض القرطاس ١٣٧، ١٥٨، ١٧٠، الحلل الموشية ٣٨، أعمال الاعلام ٣: ٢٥٢، الصبر في خبر من غير ٣: ٣٥٦، ٣٥٧، الكامل في التاريخ ١٠: ٤١٧، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ١٠، أزهار البساتين ٥٤، شذرات الذهب ٣: ١٢٠.
- (٢) الصبر في خبر من غير ٣: ٣٥٦-٣٥٧، وانظر أزهار البساتين ٥٤.
- (٣) روض القرطاس ١٣٦، ١٥٧، أعمال الاعلام ٣: ٣٥٣، الشجر الأعلى ١٦.

سقوط الدولة المرابطية :

اثر وفاة علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٣٧ هـ (١) ظهرت بوادر ضعف السلطان المرابطي ، وتولى الامر بعده ولده تاشفين بن علي ت ٥٣٩ هـ (٢) ولم يستطع هذا الحفاظ على الدولة حيث أخذت الثورات تهم المدن الاندلسية و (٣) كانت دولته في ضعف وسفال وزوال) وأخذت في الانقراض والانقراض . فثار أبو جعفر حمدي بن ابن محمد بن محمد بن قاضي قرطبة سنة ٥٣٩ هـ (٤) ، وثار المريدون في غرب الاندلس وهم جماعة تلقوا تعاليمهم على أبي العباس احمد بن محمد الصنهاجي المعروف بابن العريف المتوفي ٥٣٦ هـ ، ثاروا بزعامة ابن قسي أبي القاسم احمد بن الحسين (٥) .

وفي السنة نفسها ٥٣٩ هـ ثارت غرناطة بزعامة أبي الحسن علي بن عمر بن أضحى (٦) ، كما ثار القاضي عبدالرحمن بن جزى بمدينة جيان وأحمد بن محمد الطائي في وادي آش (٧) ، وقامت الثورات في الجنوب في (رندة) و (شريش)

-
- (١) تاريخ الدولتين ، الموحدية والحفصية ، أبو عبدالله محمد بن أبي الزركشي . تحقيق محمد ماضور . المكتبة العتيقة - تونس الطبعة الثانية ١٩٦٦ م ص ٨٠ .
روض القرطاس ١٦٥ ، أعمال الاعلام ٣ : ٢٥٦ ، الحلة السيرة ٢ : ١٩٤ ،
المغرب في خبر من غير ٤ : ١٠٢ ، المؤنس ١١٠ ، البيان المغرب ٤ : ١٢٥٤ ،
المعجب ١٤٥ ، عيون التواريخ وفيه انه هلك سنة ٥٣٥ هـ وهو خطأ واضح ١٢ : ١٠٦ .
 - (٢) روض القرطاس ١٦٦ ، الحلل الموشية ١٣٤ ، أعمال الاعلام ٣ : ٢٦٤ ، البيان المغرب ٤ : ١٢٦ ، المغرب في خبر من غير ٤ : ١٠٧ ، الاستقصا ٢ : ٧١ ،
الحلة السيرة ٢ : ١٩٤ ، البيذق ٥٩ وفيه هلك سنة ٥٤٠ هـ .
 - (٣) المغرب في خبر من غير ٤ : ١٠٧ ، الحلة السيرة ٢ : ٢٥٠ .
 - (٤) روض القرطاس ١٧١ ، الحلة السيرة ٢ : ٢١٨ .
 - (٥) الحلة السيرة ٢ : ١٩٧ - ٢٠٠ .
 - (٦) الحلة السيرة ٢ : ٢١٢ .
 - (٧) الدولة الموحدية في المغرب في عهد عبدالموهن بن علي . د . عبدالله علي
علام . دار المعارف - بمصر - مكتبة الدراسات الادبية ص ١٦٠ .

و (قارس) سنة ٥٤٠ هـ . ومالقة (١) حيث قام أبو الحكم بن حسون ، وثار شاطبية ، ٥٤٠ هـ وقيلها ثارت مرسية ٥٣٩ هـ بزعامة أبي محمد بن الحاج البلورقي الذي دعا في ثورته لابن حمدين صاحب الثورة في قرطبة (٢) ، وثورة أخرى تأججت في شجر المرية (٣) . فاضطربت الأندلس بالثورات على المرابطين من أقصاها الى أقصاها (٤) .

تمددت أسباب هذه الثورات التي شملت جميع نواحي الأندلس ، ولكنها جميعا اتفقت على الهدف والتقت في الغاية ، فكانت تهدف الى ازالة الوجود المرابطي (٥) من البلاد ، كما فعل الموحدون في المغرب حيث سقطت مراكش ع مليسا بيدهم سنة ٥٤١ هـ (٦) .

أما في المغرب فقد خرج عبد المؤمن الموحدى سنة ٥٣٤ هـ في غارة طويلة دامت سبع سنين ، فلم يرجع منها حتى فتح المغيرين الأقصى والأوسط ، وألقت اليه فاس وتلمسان ومراكش بالمقاليد وأخبر سنة ٥٤١ هـ (٧) بمد حصارها أحد عشر شهرا ، فاقتحمها الموحدون خيانة عند ماتوا فأمعهم النصارى من حراس المدينة (٨) .

-
- (١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس . أحمد بن يحيى الضبي ٥٩٩ هـ . دار الكتاب العربي ١٩٦٧ ، ص ٤٢ . الدولة الموحدية ١٦١-١٦٣ .
 - (٢) المعجب ٢٧٨ ، بغية الملتمس ٤٣ ، الدولة الموحدية ١٦٢ .
 - (٣) الدولة الموحدية ١٧٣ .
 - (٤) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ٢٠٦ .
 - (٥) تاريخ = = = = = ١٩٨ .
 - (٦) مسألة انهيار الوجود المغربي بالأندلس ٣٤٧ ، أعمال الاعلام ٣ : ٢٦٥ ، عيون التواريخ ١٠٦ : ١٢ .
 - (٧) المصادر والمراجع السابقة (٢) وانظر النبوغ المغربي ١ : ١٠٥ ، المعجب ٢٧٢ ، الاستقصا ٧٣ : ٢ .
 - (٨) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ٢٠٣ .

وظهرت في الاندلس لأول مرة دعوة الموحدين حيث قام أهل مارتلة بدعوة المهدي في السابع عشر من ربيع الأول سنة ٥٣٩ هـ (١) وفيها دخل الموحدون مدينة شريش صلحا (٢) وفي سنة ٥٤٠ هـ افتتحوا مدينة مالقة واشبيلية (٣) .

وفي أواخر عام ٥٤١ هـ وأوائل عام ٥٤٢ هـ تم انقراض الدولتوانتها أمـ المرابطين وغابت شمسهم عن الوجود نهائيا كما أجمعت على ذلك أغلب المصادر والمراجع (٤) .

الحياة الثقافية في الاندلس — عصر المرابطين — :

بسط المرابطون سلطانهم على الاندلس ، وأصبحت شبه الجزيرة الاندلسية ولاية تابعة للمغرب ، وساد الأمن وعمّ الرخاء ، وتأقلم المرابطون في البيئة الاندلسية وكثرت الخيرات و (٥) كانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ، ورخاء متصل وعافية وأمن . . . وكثرت الخيرات في دولتهم وعمرت البلاد ووقعت النخبة ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع طرق ومن يقوم عليهم وأحبهم الناس) .

(١) البيان المغرب ٤: ١٠٧ .

(٢) روض الفرطاس ١٨٨ .

(٣) روض الفرطاس ١٨٩ .

(٤) لمزيد من الاطلاع على أسباب انقراض الدولة المرابطية وزوالها أنظر المصادر والمراجع التالية بصفحاتها :

البيان المغرب ٤: ١٠٨ ، ١٢٦ ، روض الفرطاس ١٧١ ، المعجب ٢٤١ ، ٢٧٧ ،
الحلل الموشية ١٤٠ ، اعمال الاعلام ٣: ٢٥٥ — ٢٧٢ ، الاستقصا ٢: ٧٣ — ٧٤ .
أزهار البساتين ١١٨ ، مأساة انهيار الوجود المريني بالاندلس ٣٤٧ — ٣٤٨ ،
سقوط دولة الموحدين ٢٩ — ٣١ ، النظام السياسي ١٤٢ ، المغرب المريني
٢٤٠ — ٢٤١ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ١٦٨ ، عيون

الاخبار ١٢: ١٠٦ ، النبوغ المغربي ١: ١٠٥ .

التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية . د . احمد شلبي ، مكتبة النهضة

المصرية — القاهرة — الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م ٤: ١٢٢ .

(٥) روض الفرطاس ١٦٧ .

فالبلاذ تميش في أمن ورخاء تحت سيادة دولة قوية قادرة على الدفاع عن كيانها ، مما ييسر الرحلة في طلب العلم والأنقطاع له ، لأن الاستقرار أمر ضروري وعامل أساسي لازدهار الحياة الثقافية .

والمرابطون أنفسهم كانوا يشاركون في الحياة الثقافية ، والسعي في طلب العلم فقد كان يجتمع الى العالم ابن الحسين بن سراج * (١) (في الأربعين والخمسين من رؤساء المثلثين وصهرة الكتاب) وكان الأمير يوسف بن تاشفين محبا للعلماء مكرما للصلحاء (٢) ، موثرا لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم (٣) . وكانت حضرته تفص بالعلماء والأدباء ، فقد (٤) انقطع الى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحولته ، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم ، واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار . ومن أبرز الأدباء والكتاب الذين اجتمعوا بحضرته * ، أبو بكر بن القصيرة ، وأبو محمد عبد المجيد بن عبدون وأبو القاسم بن الجد المعروف بالأحمد ،

- (١) المعجم ٣٠٦ . (٢) أعمال الاعلام ٣ : ٢٣٤ ، الكامل في التاريخ ١ : ٤١٧ .
(٣) الاستقصا ٢ : ٥٧ (٤) المعجب ٢٢٧ .
* أبو الحسن بن سراج : سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج من أهل قرطبة . من بيئة علم ونباهة وفضل وجلالة ، له عناية كاملة بكتب الأدب واللغات ، أخذ الناس عنه كثيرا . توفي ضحى يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ٥٠٨ هـ ، ومولد سنة ٤٣٩ هـ .
الصلة ١ : ٢٢٧ . المغرب في حلى المغرب ١ : ١١٦ .
* أ - ابن القصيرة : أبو بكر محمد بن سليمان الولي ، رأس أهل البلاغة في وقته . كان من أهل الأدب البار والتفنن في أنواع العلوم ، سفر بسين ابن عباد وابن تاشفين . المغرب ١ : ٣٥٠ .
ب - ابن عبدون : الوزير أبو محمد عبد المجيد بن عبدون توفي سنة ٥٢٠ هـ . وهو صاحب القصيدة المشهورة في رثاء بني الأقطس ، المسماة "البسامة" . المغرب ١ : ٣٧٤ .
ج - ابن الجسد : محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد القهرى المعروف بالأحمد ، شليي الأصل ، أحد كتاب أمير المسلمين ابن تاشفين =

وأبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن القبطرنة، وأبو عبد الله محمد بن أبي الخصمال وأخوه أبو مروان وغيرهم.

ومن مشاهير العلماء الذين اشتهروا في العلوم اللغوية والأدبية، أو محمد عبد الله بن السيد البطاليوسي * ومحمد بن مسعود الخشني * وابن عبد الملك الشنتريني * وعبد الله بن مفيد الطائي * وغيرهم.

= وكان يغتي ببلدة لبلة توفي ٥١٥ هـ. الاعلام: ٣٧٧، الذخيرة ٢: ١: ٢٨٥.

د - ابن القبطرنة: من أسرة أسالة وبيت جلالة، كان هو وشقيقه أخذوا العلم ورووا كابرا عن كابر، وابن القبطرنة هذا أبو بكر كتب للمتوكل بن الألفطس ولا بن تاشفين ت. ٥٢ هـ. المصرب ١: ٣٦٧.

هـ - ابن أبي الخصمال: كان كاتباً بليغاً، عالماً بالأخبار ومعاني الحديث والآثار والسير والأشعار، من أهل الأندلس، استشهد سنة ٥٤٠ هـ. المصرب في حلى المصرب ٢: ٦٦.

* ابن السيد البطاليوس: أحد من تغر بهم جزيرة الأندلس، من علماء العربية، وهو من شلب، لازم بطاليوس فعرف بالبطاليوس، له شرح كتاب الجمل وله كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، كان عالماً باللغات والآداب، تجمع الناس إليه يقرأون عليه توفي ٥٢١ هـ. المصرب ١: ٣٨٥-٣٨٦، الوفيات ١: ٣٧٣.

* الخشني: محمد بن مسعود بن عبد الله الخشني النحوي. من أهل جيان، يكنى أبا بكر، أخذ العربية والأدب عن ابن أبي العافية وابن البرش وغيرهم. تقدم في صناعة العربية وتصدر لأقاربه في جيان، كان من جلة النحويين وأئمتهم. حافظاً للقريب واللغة، قارضا للشعر، توفي بغرناطة ٥٢٤ هـ. تكملة الصلة ٢: ٤٦١ رقم ١٢٩٨.

* الشنتريني: محمد بن عبد الملك الشنتريني، سكن اشبيلية، يعرف بابن سراج، له رحلة إلى المشرق سنة ٥١٥ هـ له تاليف منها تنبيه الألباب على فضائل الأعراب، وآخر في العروض، وله اختصار في كتاب العمدة لابن رشيقة وتنبيه على أغلاطه فيه. توفي ٥٤٥ هـ. تكملة الصلة ٢: ٤٧٢ رقم ١٣٠٣.

* الطائي: عبد الله بن عبد الرحمن بن مفيد الطائي. من أهل قرطبة وأصله من جيان يكنى أبا محمد، روى عن كثير من العلماء، كان فقيهاً أدبياً شاعراً موصوفاً بالزهد، توفي ٥٣٩ هـ. تكملة الصلة ٢: ٨٢٤ رقم ٢٠١٢.

وغير هؤلاء كثير في شتى ضروب المعرفة. أنظر: كتاب الصلة وكتاب تكملة الصلة وكتاب المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، وغيرها من كتب التراجم والأدب مثل القلائد وجذوة المقتبس.

ان اهتمام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بالعلم دفعه الى بناء مدرسة بمدينة فاس تعرف بمدرسة " الصابرين " ويدلق الاستاذ عبدالله كنون على ذلك فسي كتابه النبوغ المغربي في الادب العربي بقوله: (١) (والغريب هو أن يتوافق المغرب والمشرق في انشاء المدارس لأن هذا التاريخ هو الذي أنشأ فيه الوزير نظام الملك مدرسته العلمية ببغداد وهي أول مدرسة في الشرق) .

وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يُجِلُّ العلماء ويُقدِّرهم ويصدر عن آرائهم ويميل اليهم كثيراً (٢) (كان حسن السيرة خيراً عادلاً يميل الى أهل العلم والدين ويكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن رأيهم) وكان ولده علي شديد الايثار لأهل العلم والتمهيط لهم (٣) .

ولم يكن حب المرابطين للعلماء واهتمامهم بالعلم وهم في الاندلس انحصاراً (٤) (كانوا قبل عبورهم الى اسبانيا يجتذبون أهل الادب والشعر من الاندلس الى بلاطهم الناشئ في جنوب مراكش ، ويطلبون التهذيب على أيديهم) ولا يفوتنا أن ابن اسبسط كاتب يوسف بن تاشفين كان أندلسياً .

وفي عصرهم ازدهرت حركة التأليف الادبي . ودونت الموسوعات الأدبية فنجد أبا الحسن علي بن بسام التفليحي الشنتريني ٥٤٢هـ . يصنف كتابه (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) * ، وأبا نصر الفتح بن خاقان الاشبيلي ٥٢٦هـ يضع كتابه (قلائد العقيان في محاسن الاعيان) وغير ذلك من القوافل والتصانيف .

-
- (١) النبوغ المغربي : ٧٥ .
 - (٢) شذرات الذهب ٣ : ٤١٤ .
 - (٣) المبر في خبر من غير ٤ : ١٠٢ .
 - (٤) محاضرات عامة في آداب الاندلس وتاريخها ١٦ .
- * صدرت أخيراً محققة عن دار الثقافة ببيروت بأربعة أقسام في ثمانية مجلدات ، بتحقيق الدكتور احسان عباس .

وغضت المدن بالعلماء والأدباء والشعراء ، وتواصلت الرحلة من المغرب إلى الشرق بقصد طلب العلم أو الحج أو بقصد عما مِمَّا .

ومما شجع على ذلك كله ، أن المرابطين اكتفوا بتعيين الولاة بدل الملوك السابقين ، وقد اقتبس هؤلاء كثيراً من النظم التي وجدوها . وأصبحت بلاطاتهم شبيهة ببلاطات سلفهم من ملوك الطوائف ، وكانت نفوس هؤلاء الولاة والحكام قد مالت إلى الأدب والشعر ، وتأثروا بالبيئة الأندلسية لطول المقام بها ، فأحاطوا أنفسهم بالأدباء والشعراء مثل أمير قرطبة الزبير بن عمر ، وإبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي وضع الفتح بن إاقان كتابه الفوائد له (١) . وينص الدكتور محمود علي مكي على أن اقبال المرابطين على العلم والأدب كان اقبالا رائعا لا يقل عن اقبال ملوك الطوائف وذلك بقصد الاستفادة وتحصيل المصرفة ، يقول (٢) : (والواقع أن عناية المرابطين بالثقافة والأدب ، نشره وشعره لم تكن دون عناية ملوك الطوائف بهما ، وقد أقبل المرابطون ، أمراءهم وعملهم على الثقافة الأندلسية ينهلون من موارد ما في تواضع المستفيدين لا في كبرياء الملوك الحاكمين) .

لم يقتصر اهتمام المرابطين على الأدب والشعر ، بل تجاوز ذلك إلى العلوم العلمية كالطب والفلك والفلاحة والرياضيات (٣) ، فمن أبرز النابهين في حقل الطب محمد بن عامر البلوي الطرطوشي ٥٥٩ هـ . وابن زهر ، وفي الرياضيات نبغ علي بن خلف بن غالب الأنصاري (٤) ، واستدعى علي بن يوسف الفيلسوف الزاهد مالك

(١) سجع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وإيامهم في الأندلس. الدكتور حسين مونس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، المجلد الرابع سنة ١٩٥٤ ، ص ٧٢ .

(٢) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين . الدكتور محمود علي مكي ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد . المجلدان السابع والثامن سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠ م . ص ١٢٣ .

(٣) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ٤١٥ .

(٤) ترجمة الأول في تكملة الصلة ٢ : ٤١٥ رقم ١٣٦٨ والثاني في صلة الصلة ٩٩

ابن وهيب من أشبيلية الى حضرة مراكش ، وصيَّره جليسه وأنيسه (١) . ولمع في هذا
المصر الفيلسوف ابوبكر محمد بن باجة التجيبي السرقسطي المعروف بابن المائغ
ت ٥٣٣ هـ .

هذا على أن المرابطين وقفوا من الفلسفة وعلم الكلام ، وكل ما يمكن أن يمس
مذهب مالك موقف حازما ، اتصف بكثير من الشدة والعنت ، وما زاد موقفهم عنقا
وتصلبا سلطان الفقهاء المناهض كليا للفكر الفلسفي ، فكان هذا مدعاة لمحاربة
الفلاسفة والوقوف في وجه الفلسفة وعلم الكلام ، فقد أفتى الفقهاء باحراق كتاب
الأحياء لابن حامد الغزالي * .

وخلاصة القول ان الحركة الادبية والعلمية في عصر المرابطين واصلت
سيرها بخطى مطمئنة ، وواصل الشعراء انتاجهم الادبي ، وكل ما حصل أنهم
كثفوا أنفسهم بما يلائم الظروف الجديدة المحيطة بهم (٢) ، وشعروا أنهم في ظل
دولة قوية وحكومة عادلة ، وكثر المثقفون من أدباء وشعراء ونحاة ولغويين وثقهاء
وعلماء .

ان الازدهار الذي عرفته الاندلس في عصر المرابطين ، ثم الموحدين بعدهم
يكاد يفوق ما كان لها منه في ايام الخفاف وطوك الطوائف وخاصة في ميدان العلوم

(١) . النسخ ٣ : ٤٧٩ .

* لم يحرق علي بن يوسف كتاب الأحياء إلا بعد أن استفتى الفقهاء ، فأفتوا
بتكفير صاحبه واعتباره خارجا على الدين . أنظر : المنجب ٢٣٧ ،
ويرى الدكتور حسن ابزاهيم حسن ان سبب احراق الأحياء يعود الى :
أ — ان الاتجاه الفقهي في الكتاب يسير على مذهب الشافعي ،
والمرابطون مالكيون .

ب — ان كتاب الأحياء ، كتاب صوفي في روحه ، يسير على الفلسفة الكلامية
التي تحرمها المالكية ، تاريخ الاسلام ٤ : ٤٥٦ .

(٢) الشعر الاندلسي ، بحث في تطوره وخصائصه ، اميليو غرسيه غومس ، ترجمة الدكتور
حسن مونس ، مكتبة النهضة المصرية ، سلسلة الألف كتاب رقم ٩٥ ص ٥٧ .

والآداب (١)، فعمير المرابطيين عصر نوز وحضارة (٢) .

أما الحملة القاسية الحاقدة التي شنتها بعض المستشرقين* على المرابطيين حيث حُلِّيَ لهم وصم العصر بالركود الأدبي، والاضمحلال الثقافي، وتصوير المرابطيين بمرابرة أجلافا متوحشين صحراويين، وعلى رأس هؤلاء دوزي الذي درس تاريخ العصر دراسة ناقصة لنقص المراجع (٣). أكتفى في الرد عليه بما قاله مستشرقان لهما وزنهما في الدراسات العربية، أحدهما من الشرق وهو كراتشكوفسكي وثانيهما من الغرب وهو غرسيه غومس، فقد قال كراتشكوفسكي أن دوزي كان متحيزا في تاريخه للمجتمع الكنسي وخصوصا تاريخ آل عباد (٤)، في حين رد غومس تلك الهجمة الشرسة السي الكراهية المتأصلة في نفس دوزي لرجال الدين أيّا كانوا (٥)، وقد كان لهؤلاء دور كبير في دولة المرابطيين، وأضاف إلى ما سبق أن دوزي ما نqm من المرابطيين وزعيمهم يوسف بن تاشفين ألا كونهم أضافوا إلى عمر دولة الاسلام في الاندلس أربعة قرون أخرى .

البيئة الطبيعية الاندلسية:

الاندلس بلاد جميلة، منحها الله من طيب الخيرات ما حرمه الكثير من الاقطار ففيها الاشجار الخضراء والحدائق الفيحاء، والبساتين الفناء، وفيها الانهار الدائمة الجريان، والسماء الصافية الازرق والمناخ الملائم. يقول لسان الدين بن الخطيب (٦):

(١) النبوغ المغربي في الادب العربي ٦٦ .

(٢) دراسات في تاريخ الادب العربي، اغناطيوس كراتشكوفسكي، دار النشر، موسكو

١٦٦٥ م. ص ١٢٧ .

* دوزي في كتابه عن ملوك الغواف ويوسف اشباخ في كتابه تاريخ الاندلس في عهد المرابطيين والموحديين .

(٣) محاضرات عامة في تاريخ الاندلس وآدابها ١٦ .

(٤) دراسات في تاريخ الادب العربي ٥٢ . (٦) الشعر الاندلسي ٥٧ .

(٦) أزهار الرياض في أخبار عياض . تأليف شهاب الدين احمد التلمساني، تحقيق

الدكتور عبد السلام الهراس وسعيد احمد عراب. اشراف اللجنة المشتركة

لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات

العربية ١٨٠ : ١٠١ المجلد الاول ص ٦١ .

(خص الله بلاد الاندلس من الريح ، وغدق السقيا ، ولذا اذلة الاقوات وفراهة الحيوان ودور الفاكهة وكثرة المياه ، وتبحر العمران وجودة اللباس . . . بما حرمة الكثير من الاقطار ما سواها) ففي حداثها أكثر أنواع الزهار وأروعها (١) .

وهي بقعة كريمة طيبة التربة ، كثيرة الفواكه ، والخيرات فيها دائمة (٢) . فلا ترى فيها إلا مياهها تتفرع ولا تسمع إلا أطيارا تسجع ، ولا تستنشق إلا أزهارا تنفح (٣) .

وقد اشتملت على كثير من مزايا الاقاليم فهي (٤) شامية في طبيعتها وموائها يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظيم جناتها (ويرى المراكشي أن الله خصها من دون الاقاليم بأطيب الاشياء وأفضلها فهي كما يقول (٥) : (مطلع شمس العلوم وأقمارها ، ومركز الفضائل وقطب مدارها ، أعدل الاقاليم هواً وأصفاها جواً ، وأعذبها ماءً وأعطرها نباتاً وألذها ظلالاً وأطيبها بكرة مستعذبة وآصالاً) .

وحيوانها يكثر ذكره ويطول (٦) ، منه الفزال والایل وحمار الوحش والذئب والبقر والخیل والبغال ولها من الطيور والجوارح ما يفوق الحصر والوصف .

فالاندلس بلاد ساحرة الجمال ، فاتنة المنظر ، عذبة المياه ، مكسوة الارض بالخضرة ، مزانة الاشجار بالنضرة ، تخترقها الانهار الكثيرة ، منها : نهر شقير ونهر الوادی الابيض والوادی الكبير وغيرها .

-
- (١) محاضرات عامة في تاريخ الاندلس وأدبها ١٠ .
 - (٢) الروض المعطار ٣٢ ، صفة جزيرة الاندلس الاندلس ١ .
 - (٣) المغرب في حلى المغرب ، تحقيق د . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ٢ : ٢٩٧-٢٩٨ .
 - (٤) الروض المعطار ٣٣ ، أزهار الرياغر ١ : ٦٠ ، صفة جزيرة الاندلس ٣ ، النفح ١ : ٢٦ .
 - (٥) المعجب ١١٥ . (٦) النفح ١ : ١٦٨-١٦٩ .

وبكل قطر جدول في جنةٍ ولعت به الأقياء والأئداء (١)

تحف بهذه الأنهار البساتين ، وتلف حولها الأشجار ، فتشمخ عالية في السماء ، وارفة الظلال ، متهدلة الأغصان ، تصدح في أعاليها الورق والحمام والأطيار ، فتسمع لها ترنمة أغنية الطبيعة الخالدة .

هذا الجمال وهذا السحر ، صورها جنة الخلد في نظر شاعرها وابنها البار ابن خفاجة فهتف قائلاً (٢) :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظلٌّ وأنهارٌ وأشجارٌ
ما جنة الخلد إلا في دياركم وهذه كنت لو خيَّرت أختار
لا تتقوا بعدها أن تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار

وهذا الجمال وهذا السحر أيضا دفع ابن سفر المريني* بعد ما فتن بهما الى القول (٣) :

في أرض أندلس تلتدُ نَمَماءُ ولا يفارق فيها القلب سَرَّاءُ
وليس في غيرها بالمشِ منتفعٌ ولا تقوم بحقِّ الأنس صهباءُ
وأين يُمدل عن أرض نحطى بها على المدامسة أمواه وأفياءُ
وكيف لا يُهَجُّ الأبصار روميَّتها وكل روض بها في المرش صنماءُ
أنهارها فضةٌ والمسك تُرْبَتُها والخز روضتها والدَّر حصباءُ

-
- (١) النفح ١ : ٢٢٧ .
(٢) ديوان ابن خفاجة ، تحقيق الدكتور سيد غازي ، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م . ص ٣٦٤ .
(٣) النفح ١ : ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢٢٧ .
* هو ابو الحسين محمد بن سفر شاعر المرية في عصره ، له شعر واخر ، وأدب جم ، أشاد به المقرئ في النفح كثيرا . وقال في النفح ٢ : ١٣٤ ، هو أحد الشعراء المتأخرين عصرا المتقدمين قدرا . النفح ٢ : ١٣٤ .

وللهواء بها لطف يُسَرِّقُ بسسه من لا يبرق وتبدو منه أهواءه
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرًا ولا انتِشارُ لآلي الطل أنسدا
وانما أَرَجُ اللدَّ استثار بها من ماء ورد فطابت منه أرجاء
وأين يبلِّغُ منها ما أُصنِّفُسه وكيف يحوى الذي حازته إحصاء
قد ميّزت من جهات الارض حين بدت فريدة وتولى ميّزها الماء
دارت عليها نطاقاً أبهر خفقت وجداً بها ان تهذت وهي حسناء
لذاك ييسم فيها الزهر من طرب والطير يشدو وللأغصان اصفاء
فيها خلعت عذارى ما بها عوض فهي الرياض وكل الارض صحراء

وهذا آخرالم تعجبه بلدة غيرها ، رغم ما شاهدته من أقطار وحلّ به من بلدان ، يقول (١) :

من بعدها ما أعجبتني بلدة مع ما حللت به من البلدان

وهناك أشمار كثيرة في نفح الطيب وغيره ، منها معروف القائل ومنها مجهول وكلها تصف جمال الطبيعة الاندلسية وسمر فتنتها (٢) .

وقد تحدثت المصادر ، ولا سيما الجغرافية منها عن البيئة الطبيعية الاندلسية وسجلت خصائص الاقاليم وميزات المدن من حيث الارض والتربة والسماء والأشجار والأنهار والثمار والفواكه والطير والحيوان وكل ما أسبغته الله عليها من نعمه التي لا تحصى (٣) . وقد أطنب في وصفها الواصفون وانتهى المقرئ السى

(١) النفح ١ : ٢٢٨ ، وفي وفيات الاعيان منسوب لابن عمار الاندلسي . أنظر الوفيات ٤ : ٥٢ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ١ : ٢٢٦ - ٢٢٧ . وصفحات كثيرة متفرقة يصعب ايرادها .

(٣) صفة جزيرة الاندلس ، الروض المعطار ، المغرب في حلى المغرب ، نفح الطيب ، صفحات متفرقة كثيرة .

أن (١) محاسن الاندلس لا تستوفي بمباراة ، ومجاري فضلها لا يشق غباره ، وانسى تجارى وهي الحائزة قصب السبق في أقطار الغرب والشرق .

شعر الطبيعة :

الطبيعة أم حانية على الانسان ، وان قست عليه أحيانا فهي قسوة الوالدة المشفقة ، في قسوتها الرحمة وفيها الخصب والعطاء والحب .

ولقد هام الانسان بجمالها وصفاء سمائها ، وأعجب بأشجارها وأنهارها وترنم على نوح ورقها وتغريد أطياريها ، فجادت قريحته بالخالد من القول والرائع من الفن في مجالي الطبيعة ، الطبيعة الصائبة والطبيعة الصامتة ونقصد بالاولى كل ما اشتملت عليه الطبيعة وحوته من أحياء ما عدا الانسان ، ونقصد بالثانية مظاهرها وظواهرها ووجودها مثلا في أرضها وما اشتملت عليه من سهول وجبال ووديان وتلال ونبتات وثمار . وفي سمائها وما فيها من نجوم وأفلاك ، تزين سمائها وتسير في مداراتها أو تسبح في أفلاكها ومن شمس وقمر ، وغير ذلك من الظواهر الكثيرة كالبرق والرعد والمطر .

فشعر الطبيعة ان ، هو الشعر الذي يمثلها في قسميها الصائت والصامت كما خلقها الله سبحانه سابغا عليها الشاعر من خياله ما يزيد جمالها وروعة وبهاء ومن نفسه ما يزيد لها أنسانية وحياة (٢) .

(١) النفح ١ : ١٢٥ .

(٢) الطبيعة في الشعر الاندلسي . الدكتور جودة الركابي ، مكتبة أطلس — دمشق مطبعة الترفي — الطبعة الثانية ١٣٩٠ — ١٩٧٠ م . ص ١٢ — ١٣ .
شعر الطبيعة في الادب العربي . الدكتور سيد نوفل ، مكتبة الدراسات الادبية رقم ٧٥ . دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ص ٢٤ .

وشعر الطبيعة بهذا المفهوم ليس جديداً على العربية ، فقد وصف الشاعر العربي الطبيعة منذ الجاهلية ، فامروء القيس مثلاً يصف الليل ويشبّهه بموج البحر ويصف طوله فإذا به لا يتزحزح ، ويحتم على صدره بكلّ كنهه كأنّ نجومه شدّت بحبال شديدة الفتل الى جنادل صماء . يقول (١) :

وليل كموج البحر مخ سدوله
فقلت له لما تمطى بضلّبه
ألا أيها الليل الطويل الانجلي
فيا لك من ليل كأن نجومه
عليّ بأنواع الهوم ليبتلي
وأردف أعجازاً وناه بكلّ كل
بصبح وما إلا صباح منك بأمثل
بأمراس كتان الى صمّ جنّ دل

كما يصف الطبيعة الصائتة مثلة في الحصان ، يقول (٢) :

وقد أغتدى والطير في وكناتها
مكرّ مقرّ مقبل مدبر ممبها
على الذبل جياش كأن اهترامه
مسح إذا ما السابحات على الونى
دريز كخذر وف الوليد أمسره
له أيطلا ظبي وساقا نعامة
ضليع إذا استدبرته سدّ قرّحه
كأن على المتنين ، منه إذا انتحى
كأن يما الهاديات بنحره
بمنجرد قيد الا وابد هيك كل
كجلمود صخر حطه السيل من عل
إذا جاش فيه حميد عليّ مرجل
أثرن الغبار بالك يد المركل
تتابع كفيه بخيط مومّس كل
وارخاء سرّحان وتقريب تتقل
بضاف فوق الأرض ليس بأعزل
مداك عروس أو صلاية حنظل
عصارة حنّاء بشيب مرجل

فشعر الطبيعة قديم في أدبنا العربي ، عرفه الشعراء على الشكل الذي أوجت به بيتهم البدوية ، فتأملوا الطبيعة وأفتنوا بها وبثوها آلامهم وأشركوها في أحزانهم وهمومهم .

(١) شرح المعلقات السبع . ابو عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين الزوزني .

دار الكتب العلمية — لبنان ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م . ص ٢٠ — ٢١ .

(٢) المعلقات السبع ٢٣ — ٢٧ .

الآ أنه لم يتميز عندهم وقتذاك فنا شعريا قائما بذاته ، بل جاء في تضاعيف القصيدة وضمن الأغراض الشعرية التقليدية ، وإن كان استقلاله أخذ يظهر في الشعر العباسي ، وبلغ ذروته على يد الشاعر أبي بكر الصنوبري شاعر الشام ، وتابع شعر الطبيعة تطوره بتطور العرب أنفسهم وصعودهم سلم الرقي الحضاري إلى أن وصل درجة رفيعة من الانفراد والاستقلال وأصبح فنا شعريا مستقلا له شعراؤه في الاندلس.

بواعث شعر الطبيعة في الاندلس :

شاهد الله ان تكون طبيعة الاندلس فاتنة ساحرة خلابة تعانق فيها الجبال السماء ، وتنساح السهول الفسيحة على مدى البصر ، تخترقها الجداول ، وتجري خلالها الانهار ، وقد حقت بها البساتين والأشجار ، تغرد على أغصانها الطيور وتنوح الورق وتصدح البلابل ، وتنطلق الانعام والماشية في مراعيها الخصبة ، فهي لوحة فنية طبيعية رائعة الجمال ، ساحرة المناظر ، محاسنها لا تستوفي بعبارة ومجاري فضلها لا يشق غباره كما يقول المقرئ في النفح (١) :

كان لهذا الجمال الطبيعي أثر كبير عند الشعراء ، فشغفت بها قلوبهم وهامت بها نفوسهم وأغنت قرائحهم ، فأخذوا يترجمون هذا الشف وذاك الهيام شعرا ، يمررون به عما يعتل في صدورهم ويجيش بين ثنايا ضلوعهم ، وما تعلقت به نفوسهم فكانت الطبيعة غذاء طيبا لقرائحهم ومصدرا لا ينضب لشعرهم ، فهي الجنة ويكفي أن تهب نفحة نسيم عليل لتحرك مشاعر الشاعر ابن خفاجة فيصرخ منشدا (٢) :

ان للجنة في الاندلس مُجْتَلَى حُسْنٍ وَرِيًّا نَفْس
فسنا صحبتها من شنب ودجى ظلمتها من لفس
فاذا هبت الريح صبا صحت واشوقي الى الاندلس

فهذه الطبيعة الرائعة الخلابة التي عبرت فيها الارض عن نفسها أجمل تعبير وأروع بما أطلعت على سطحها ونثرته في مختلف أرجائها وشتى مناحيها والشف بهذه المحاسن التي حبا الله بها الطبيعة في الاندلس والفتنة بهذا الجمال السحري كان الباعث الاول الذي استلهمه الشعراء واستمدوا منه فيضا لا ينضب من شعر الطبيعة الذي قالوه تمجيدا لجمال بلادهم وتخليدا لمحاسن وطنهم (٣) ، سواء

(١) النفح ١ : ١٢٥ .

(٢) الديوان ١٣٦ .

(٣) الادب العربي في الاندلس ، الدكتور عبد العزيز عتيق . دار النهضة العربية

للطباعة والنشر - بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٦ م . ص ٢٩١ .

كان هذا الشعر جادا أم لا هيا ، ضاحكا أم باكيا (١) . وتبقى الطبيعة (٢) (ديوان شعر مفتوح ينظمون منه الالفاظ ، ويتعلمون منه الاوزان ، ويردون منه الموسيقى ويختارون منه الانغام) .

وكان لمجالس اللهو والطرب والادب دور كبير في شعر الطبيعة ، فهم يعقدونها بين الورود والازهار ، وتحت ظلال الاشجار . فيها يقضون اوقات فراغهم يعاقرون الراح ويتعاطون الصبابة ، ويتطارحون الشعر وينشدونه ، فأوحت لهم هذه المجالس بشعر غزير عبّروا فيه عن حبهم ولهموهم وشوقهم ، وكانت هذه المجالس من أكبر مساح الافكار وأفخم مظاهر الجمال ، ومظهرا للحياة العقلية والاجتماعية (٣) .

ففي النهار يتغيثون ظلال الاشجار ، ويتناشدون الأشعار ، فيصفون الورود المفتحة والرياحين الحبة والازهار المنورة ، والثمار الناضجة والطيور المفردة والمياه الجارية ، وفي الليل يصفون التنزه في ضوء القمر ، والاشجار وغصونها والرياح وهي تمبث بها ، وأشعة القمر على الجداول وصفاء السماء ، كما يصفون النجوم والكواكب والليل وظواهسه .

فالمجالس الادبية هذه جعلت الاندلس أشبه بقيثارة ترسل ألحانها هنا وهناك في كل الاوقات ، فلم تكن هذه المجالس لتوفر مطالب الشهوة والجسد فحسب ، كما أنها لم تكن فرارا من الواقع أو تسلية للنفس وتزجية أوقات الفراغ ، إنما كانت الى جانب

(١) تاريخ الادب العربي في الاندلس ، ابراهيم علي ابو خشب . دار الفكر العربي مطبعة المدني — القاهرة ص ١٤١ .

(٢) أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث . بطرس البستاني ، دار المكشوف ودار الثقافة الطبعة السادسة ١٩٦٨ م . ص ٨٠ .

(٣) بلاغة العرب في الاندلس . أحمد ضيف . الطبعة الاولى ١٩٢٤ م . ص ٢٢ — ٢٣ .

ذلك كله ميدانا رحبا للمطارحات الادبية والنظرات النقدية. (١)

وحب الاوطان والحنين اليها ، وخاصة عند الرحلة او الانتقال من مدينة الى أخرى كان باعثا قويا على شعر الطبيعة . فالشاعر يعبر عن حبه لبلده او مدينته بوصف ما تمتاز به عن سائر المدن الاخرى ، من سحر منظر وجمال موقع ، فهذا ابن خفاجة يصف مدينة شُقر ، وهي مدينة حسنة البقعة ، كثيرة الاشجار والثمار والانهار ، وقد أحاط بها وادبها (٢) . يصفها قائلا (٣) :

بَيْنَ شَقَرٍ وَمُلْتَقَى نَهْرَيْهَا	حَيْثُ أَلْقَتْ بِنَا الْإِمَانِي عَصَاهَا
وَيُفَتِّي الْمَاءُ فِي شَاطِئِهَا	يَسْتَخِفُّ النَّهْيُ فَحَلَّتْ حُبَاهَا
عَيْشَةٌ أَقْبَلَتْ يُشَبِّهُ جَنَاهَا	وَأَرْفُظُهَا لَدَيْدُ كَرَاهَا
فَانْتَشَيْنَا مَعَ الْفُصُونِ غُصُونًا	مَرَحًا فِي بَطَاحِهَا وَرَبَاهَا

وشاعر آخر يفضل مدينة غرناطة على سائر المدن ، فليس لها نظير ولا تعدلها مدينة أخرى ، وهي أثر لديه من مصر والشام والعراق ، وغرناطة هذه مدينة رائحة الجمال كثيرة الاشجار ، ووفرة الفاكهة ، يقول فيها الحِمِيرِيُّ (٤) : (ولا تعلم شجرة تستعمل وتستغل الا وهي أنجب شيء في هذا الفحص ، وما من فاكهة توصف وتستظرف الا وهناك من الفاكهة فوقها) .

يقول الشاعر مفضلها على سواها ، جاعلا مصر والشام والعراق من جملة صداقها (٥) :

غرناطة ما لها من نظير	ما مصر ما الشام ما العراق ؟
ما هي الا العروس تجلسي	وتلك من جملة الصداق

(١) البيئة الاندلسية وأثرها في الشعر — عصر ملوك الطوائف — الدكتور سميد اسماعيل شلبي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر — القاهرة —

ص ٤٣٠ — ٤٣٣ .

(٢) الروض الممطر ٣٤٩ .

(٣) الديوان ٣٦٤ — ٣٦٥ .

(٤) صفة جزيرة الاندلس ٢٤ .

(٥) النفح ١ : ١٤٨ .

وهذا ابن الزقاق البلنسي ، يفضل مدينته على سائر مدن الاندلس، وهي
غاية في الجمال ، يقول صاحب المغرب في حلى المغرب (١) (لا ترى فيها إلا مياهها
تتفرّع ولا تسمع إلا أطيارا تسجع ولا تستنشق إلا أزهارا تنفح . . . ويقال ان ضموه
بلنسية يزيد على ضموه سائر بلاد الاندلس ، وجوها عقيق أبدا لا ترى فيه ما يكدر
خاطرا ولا بصرا لأن الجنان والأنهار أهدقت بها) يقول ابن الزقاق البلنسي (٢):

بلنسية اذا فكسرت فيها	وفي آياتها أسنى البلاد
وأعظم شأهى منها عليها	بأن جمالها للعين بـاد
كساها ربنا ديباج حُسن	له علما من بحر وواد

فالحنين الى البلد والشوق الى المدينة وحب الوطن والانتماء اليه ، دفع
الشاعر فوصف مآثره ومحاسنه الطبيعية معبرا عن حبه وحنينه .

فالطبيعة والحب والطرب هذا الثالث كان الباعث الاول لشعر الطبيعة
في الاندلس .

(١) المغرب في حلى المغرب ٢: ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) ديوان ابن الزقاق البلنسي ، تحقيق عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة --

بيروت ، المكتبة الاندلسية رقم ١٣ ص ١٢٩ .

بواكير شعر الطبيعة في الاندلس :

فتح العرب الاندلس سنة ٩٢ هـ. ، وأصبحت منذ الفتح ولاية تابعة للدولة الإسلامية ، وبقيت كذلك الى أن أسس الامويون لهم فيها دولة مستقلة اثر سقوط دولتهم في المشرق على يد بني المباس . ومنذ الفتح انتقل بعض العرب الى الاندلس وسكنوا كورها والمناطق الخصبة فيها ، فوجدوا في هذه البلاد ما افتقرت اليه بلادهم ذات الصحارى الشاسعة والفيافي المقفرة تعتورها عوامل الجسد والقحط ، ليس لها من الجمال الا الرياح العاتية والليل البهيم الساجي ، والشمس المشرقة الساطعة ، والنجوم المتلائة اللامعة في السماء الصافية .

أما في الاندلس ، في هذه البيئة الجديدة ، وجدوا كل ما افتقرت اليه بلادهم من حدائق فيحاء وبساتين غناء وأشجار خضراء وأزهار متفتحة وورود زاهية وبحار واسعة وأنهار جارية ، وحقول فسيحة ومراعي خصيبة ، الى غير ذلك مما يخلب اللب ويخطف البصر .

فهذا الجمال الى جانب الحنين والشوق الى بلادهم وديارهم ، دفعهم الى التفني بالطبيعة وبثها بعضا من همومهم وأحزانهم وشوقهم الى بلادهم فهذا عبد الرحمن الداخل يلجح نخلة سامقة وسط الرصافة بالاندلس ، فيتذكر أرض الآباء والأجداد ، يتذكر منابت النخل في الصحراء العربية ، فهي غريبة ، حالها حاله في الغربة والمنتأى عن الأوطان فلا يتمالك نفسه حيث تجيش العاطفة فيقول (١) :

تهدت لنا وسط الرصافة نخلة " تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى في التغرب والنوى وطول التناهي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غواصى المزن في المنتأى الذى يسح ويسمرى السماكين بالوبل

هذه المقطوعة الشعرية من أوائل ما قيل في الطبيعة في الاندلس . وأخذ شعر الطبيعة ينمو قليلا قليلا ، ويدرج رويدا رويدا ، الى أن بلغ ذروته في

(١) أعمال الاعلام ٣ : ١ .

القرن الخامس الهجري (١) .

وقبل هذا نجد بواكير شعر الطبيعة ، حيث تناول الشعراء الطبيعة الصامتة والصائتة ، فهذا مثلاً أحمد بن عبد ربه المتوفي سنة ٣٢٨ هـ يعصف روضة ، يقول (٢) :

وما روضة بالحزن حاك لها الندى
بروداً من الموشى حمر الشقائق
يقيم الدجى اعناقها ويميلها
شعاع الضحى المستن فى كل شارق
إذا ضا حكتها الشمس تبكى بأعين
مكللة الاجفان صفر الحمالى
حكّت أرضها لون السماء وزانها
نجوم كأشال النجوم الخوافى
بأطيب نشرًا من خلائقك الستى
لها خضعت فى الحسن زهر الحدائق

والشعراء حتى هذه الفترة يقلدون نظراءهم فى المشرق ، فهذه الأبيات التى جعلها أحمد بن عبد ربه مدخلاً للمدح ، تذكرنى بروضة عنتره العبسي . الذى وعصفبنا من أجل الوصول الى الغزل من خلال الطبيعة ، يقول فى أولها (٣) :

أو روضة أنفًا تضمن نبتها
غيث قليل الدّمّ ليس بمعلم

-
- (١) الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ، الدكتور محمد مجيد السعيد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد للنشر ، سلسلة دراسات ١٦١ سنة ١٩٨٠ ص ١١٢ .
- البيئة الاندلسية ٦٧ .
- (٢) يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، لأبى منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي ، النيسابورى المتوفى ٤٢٩ هـ . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ م . الجزء الاول ص ٩ : ١٠ .
- (٣) المعلقات السبع ١١٢ - ١١٤ .

ووصفوا في الطبيعة الصامته الورود والا زاهير، وفضلوا بعضها على بعض، فهذا الشاعر محمد بن مسرور الجياني* يدعونا الى مضايقته والتطواف بعرش الياسمين كما تطوف بالكعبة، لأن الياسمين هو المفضل عنده على سائر الزهر، يقول (١) :

اغتبط بالياسمين ولياً	فستوتني منه خللاً وفيها
يفدّر الروض فيمضي ويبقى	نور، طلقاً وغصناً جنيهاً
واذا أبصرت في الروض شيئاً	مثله في الحسن فارجع عليا
حلّة خضراء تبصر فيها	جوهرًا نظماً ودرًا سريها
صاحبي ان كنت ترغب حباً	طف بعرش الياسمين ملياً
واستلم أركانه فهو صبح	ليس يخطيه القبول لدياً

وهذا المعتضد الملك يقول فيه كذلك (٢) :

كأنما ياسميننا الغض	كواكب في السماء تبيّض
والطرق الحمر في جوانبه	كخدد عذراء مسحها عيض

والى جانب وصفهم الرياض والا زاهير، والفواكه والاشجار، وصفوا المياه والانهار، والكواكب والافلاك، والليل والنهار.

ومن لطيف وصفهم قول الاسعد بن بليطة* المتوفي سنة ٤٤٤هـ، يحدثنا عن تباشير الصباح (٣) :

صبح يفيض وجنح الليل منفس فيه كما غرق الزنجي في النهر

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس، ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي الحميري ت ٤٨٨هـ. الدار المصرية للتأليف والترجمة

١٩٦٦م. ص ٩١، بغية الملتبس ص ١٢٩.

(٢) الحلة السيرة ٢: ٤٩، فوات الوفيات ٢: ١٤٨، الذخيرة ٢: ١: ٢٩، البديع في وصف الرئيس ٩١.

* محمد بن مسرور الجياني: أديب شاعر، من شعراء ملوك الطوائف، ذكره احمد ابن فرج في كتاب (الحقائق) جذوة المقتبس ٩١، بغية الملتبس ١٢٩.

* ابن بليطة: الاسعد بن ابراهيم بن اسعد بن بليطة، أصله من حضرة قرطبة، تردد على ملوك الطوائف بالاندلس، توفي ٤٤٤هـ. الذخيرة ١: ٢: ٧٩.

قد صار بينهما في برزخ قمر يلوح كالشَّنْفِ بين الخد والشعر
فالليل زنجي غرق في النهر (الصبح) .

وهذا ابن هانيء الاندلسي يصف جلنارة — زهرة الرمان (١) :
وبنت أليك كالشباب النضر كأنها بين الفصون الخضضر
جنانُ باز أو جنان صقـر قد خلفته لقوة بوكـر
كأنما مجتدما من نحر أو نشأت في تربة من جر
أو رويت بجدول من خمـر لو كف عنها الدهر صرّف الدهر

وصاعد اللغوى* يصف وردة قدّمت للمنصور بن ابي عامر المفاقرى وكيـل
الموئيد بن الحكم في غير أوانها قائلاً (٢) :

أتتك أبا عاصر وردة يذكرك المسك أنفاسها
كفد راء أبصرها مبصر ففطت بأكامها رأسها

وهم الى جانب وصفهم الطبيعة الصامته مثلة في نياتها وأنهارها وكواكبها
وظواهرها وصفوا الطبيعة الصائفة ، فهذا الشاعر ابو الحسن علي بن حصن* ، يصف

(١) ديوان ابن هاني ، تحقيق وشرح كرم البستاني . مكتبة صادر — بيروت ،
سنة ١٩٥٢ ، ص ٤٢٨ .

(٢) بدائع البدائ ، علي بن ظافر الازدي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،
مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة . ١٩٧٠ . ص ٢٩٩ .

* صاعد اللغوى : الحسن بن عيسى الربيعي البغدادي ، يُكنى أبا العلاء ،
ورد من المشرق الى الاندلس أيام هشام بن الحكم وولاية
المنصور محمد بن ابي عامر في حدود الثمانين والثلاثمائة ،
كان عالماً باللفة والآداب والأخبار ، حسن الشعر ، خرج من
الاندلس في الفتنة الى صقلية ومات فيها . الصلة ١ : ٢٣٧ — ٢٣٨ .
* ابن حصن : ابو الحسن علي بن غالب بن حصن ، من شعراء الطوائف ، سعى به
ابن زيدون لدى المعتضد بن عباد ففتك به قريباً من سنة
٤٤٤ هـ . وعمره اثنتان وعشرون سنة . المغرب في حلى المغرب
٢٥٠ : ١ — ٢٥١ .

فرخ حمام (١) :

وما هاجني إلا ابن ورقاء هاتف

على فنن بين الجزيرة والنهر

مفسق طوق لا زوردي كلكل

موشى الظلى أحوى القوادم والظهر

ادار على الياقوت اجفان لولوء

وصاغ من العقبان طوقا على الشفر

حديد شبا المنقار داج كأنه

شبا قلم من فضة مدني حبر

توسد من فرع الراك أريكة

ومال على طي الجناح مع النحر

ولما رأى رمعي مراقاً أرابه

بكائي فاستوى على الفصن النضر

وحت جناحيه وصق طائراً

وطار بقلبي حيث طار ولا أرى

ولابن شهيد الاندلسي المتوفي ٣٩٩ هـ في وصف نئيب (٢) :

إذا انتابها من أذوب القفر طارق

حيث إذا ما استشعر اللحظ يهيم

أزل كسا جثمانه متسائراً

طبالس سوداً للذبح وهو أطلس

(١) رايات المبرزين وغايات المميزين . ابن سميد المغربي ابوالحسن علي بن موسي .

تحقيق الدكتور النعمان عبدالمتعال القاضي . لجنة احياء التراث

الاسلامي . المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٣ ص ٢٩

الذخيرة ١: ٢ - ١٦٦ - ١٦٧ ، المغرب في حلى المغرب ١: ٢٥١ .

(٢) ديوان ابن شهيد الاندلسي . جمعه وحققه يعقوب زكي ، راجعه الدكتور

محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة .

فَدَلَّ عَلَيْهِ لِحَظْ خَبِّ مَخْذَعٍ
تَرَى نَارَهُ مِنْ مَاءٍ عَيْنِيهِ تَقْبَسُ

فالشعراء الأندلسيون وصفوا في أشعارهم الطبيعة الأندلسية في شئها الصامت والصائت في وقت مبكر ، ولهم فيها الشعر الكثير* ، ولكن وصفهم جاء في تضاعيف القصيدة ممتزجا مع غيره من الأغراض الأخرى وكلما انفرد شعر الوصف بقصيدة مستقلة . إلا أن هذا الوصف كان يمهّد الطريق أمام شعر الوصف الذي نجده مستقل بالقصيدة وتستقل به دون سواه من الأغراض وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وما بعده .

✧ أنظر على سبيل المثال :

- أ - كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن الكتاني الطيب . تحقيق الدكتور احسان عباس .
دار الثقافة - بيروت ، سلسلة الكتب الأندلسية رقم ١٥ .
ب - البديع في وصف الربيع ، لأبي الوليد اسماعيل بن عامر الحميري
ت . ٤٤٠ تقريباً . نشر هنري بيرس . مطبوعات معهد العلسوم
العليا المغربية - المطبعة الاقتصادية بالرباط . ١٩٤٠ .

الفصل الأول

الطبيعة في شعر القصيدة
=====

أ - الطبيعة السامة

تنعم الطبيعة الاندلسية بجمال ثر ، وفتنة أسرة ، وتصطبغ بظلال وارفة
وألوان زاهية ، فتنت الشعراء فاندفعوا بشاعريتهم تذكيتها المناظر الخلابة التي
وقعت عليها عيونهم ، فكانت ميدانا رحبا لفنهم .

والبيئة من أعظم العوامل المؤثرة في الأدب ، بل هي في واقع أمرها وقوة
وقعها ، تعتبر خالقة بعض فنونه ، مكونة أكثر عناصره ، حيث تخلع عليه جميع ألوانها
وتهبه كل مظاهرها ، وتحرمه ما حرمته وتمنعه ما منعته (١) . يقول الدكتور أحمد
الحوفي (٢) : لو أن أدبيا استطاع أن يحيا بنجوة من المؤثرات الاجتماعية
والسياسية لجاء أدبه صورة مطابقة لبيئته الطبيعية .

والطبيعة الاندلسية كانت أشبه ببستان كبير يفص بمختلف الزهور
العابقة الشذى ، الزاهية الألوان ، تجري بين يديها الفدران الصافية في الأودية
الخضراء ، ذات الدوح الفينان ، الوارف الظلال (٣) ، فهي من حول شعرائها ديوان
شعر مفتوح ، منه ينظمون الألفاظ ، ويتعلمون الأوزان ، ويرتدون الموسيقى ، ويختارون
الأنغام (٤) ، إنها متحف كبير مساحته مساحة الاندلس كلها ، غنية بجمالها وكأنها
حسنا رائعة الجمال ، يقف الشاعر أمام جمالها ليحليه ويستمتع به ، بل ليتفزل فيه ،

-
- (١) الوصف في الشعر العربي ، عبد العظيم علي قناوى ، مطبعة مصطفى البابي
الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٤٩ م . الجزء الأول ص ٨ .
 - (٢) أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، الدكتور أحمد الحوفي ، مكتبة النهضة
مصر بالقاهرة ١٩٥٨ م . ص ١٥ .
 - (٣) وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي ، السباعي بيومي ، محمد خلف الله
عمر الدسوقي ، شوقي خيف ، أحمد أحمد بدوى ، المطبعة الميريبة
— القاهرة ١٩٥٧ م . ص ٩١ .
 - (٤) تاريخ الأدب العربي في الاندلس ، ابراهيم علي ابو خشب ، مطبعة المدني
بالقاهرة ص ١٤٩ .
 - (٥) الأدب العربي في الاندلس ، الدكتور عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية
للطباعة والنشر ، — بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٦ م . ص ٢٩٢ .

فقد أنزل الشاعر الطبيعة منزلة المرأة (١) .

وقد خلد الشعراء الأندلس ومحاسنها ، فلم يتركوا شيئاً إلا وصفوه وذكره
فوصفوا الأنهار والأشجار ، والرياض والأزهار والرياحان والسوسن ، والجلنار والياسمين
والنيلوفر والخيري والشقائق . . . وتحدثوا عن الثمار والفواكه ، كالتين والعنب ، والتفاح
والنارنج . . .

وتراءت أمام أنظارهم السماء بشمسها وقمرها ، بنجومها وكواكبها ، بزرقتهـا
وصفائها ، بفيضها ومطرها ، فراعتهـم ببرقها وأصمتهـم برعدها ، فوصفوا هذا كله
وذكروه في شعرهـم .

وتنقل الأندلسيون وساحوا في بلادهم ، ارتقوا الجبال الشامخة وهبطوا
الى الأودية الساحقة ، وجازوا السهول الواسعة ، واعترضتهـم الأنهار الناصبة
والغدران الرقاقة ، والجداول المنسابة ، فوصفوها وتحدثوا عنها ، وذكروا مجالسهـم
على ضفافها ، وهم يتفخيئون ظلال الأشجار في النهار ، يعاقرون الراح ويتقارضون
الأشعار ، كما ذكروا ليالي سمرهم وجلسات سهرهم ، تحت قبة السماء الزرقاء
الصفاء الأديم ، المتألقة النجوم ، حيث تهبّ خطرات النسيم العليله مضمخهـ
بشذى الزهر وعطر الورد فتبعث الراحة وتنشط الهم ، يدور عليهم — في مجالسهـم
هذه — الفلمان بالراح وتغنيهـم القيان وتعزف لهنّ الجوارى ، فيميشون في أجواء
منتشية من الطرب والحبور ، والمرح والسرور ، فيصفون النجوم والكواكب ، والأنهار
والمراكب ، والثمار والأشجار ، والورود والأزهار ، وكل ما تقع عليه أعينهم في لياليهـم
المقمرة هـذه .

لقد فتنت تلك الطبيعة الساحرة الشعراء ، وغلبت ألبابهم ، وبهـرت
أبصارهم ، وأمدتهـم بفيض زاخر لا ينضب ، وذخيرة كبيرة لا تنفد ، فتحت عيونهم

(١) تاريخ الأدب الأندلسي — عصر الطوائف والمرابطين — الدكتور احسان عباس

دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢ ص ٢٠٢ .

البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ص ١٨٣ .

فوق نرا أم أندلسوا ، حيث شفقوا بها ، فلا يفتأ شاعرهم بتغني بمحاسنها سواء كان
جائدا أم لا هيا ، ضاحكا أم باكيا (١)

فقد هاموا بها شوقا وحبًا ، فأخذوا يهيمون في آذانها بأسرارهم —
ويناجونها بأحاسيسهم وآلامهم ، وينافونها بعواطفهم ومشاعرهم ، ويبتونها ما يعتلج
في صدورهم ، ويعتمل بين حنايا ضلوعهم ، وتخفق به قلوبهم ، فيشركونها في أفراحهم
وأتراحهم — .

وبالاجمال لم يدع شعراء الطبيعة في الأندلس مما يخلب اللب ويفتن البصر
شيئا إلا وعفوه وذكره .

(١) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ٧٩ .

ليس وصف الرياض والحدائق جديداً على الشعر العربي ، فقد تفتى الشعراء العرب منذ الجاهلية ببيتهم ، ووصفوا ما اشتملت عليه ، وما اشتملت عليه الرياض بل استطاع الشاعر أن يفرق بين رياض الحزن ورياض السهل ، فرياض الحزن أنضر وأجمل ، وعطرها أضعف .

فهذا الأعشى يسخر وصفه للروضة لا ثناءً حق الفزل ، فيقول (١) :
وما روضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسيل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق
مؤزر بعيم النبست مكتهم
يوماً بأطيب منها نشر رائحة
ولا بأحسن منها ان دنا الأصيل

فليست الروضة الحزنية ، والريا قد أعشبت فنضرت ، وأخضرت فأزهرت ، بمسا جاد عليها المطر الهاطل ، والغيث المنسكب ، حيث يضاحك زهرها المبتسم ونورها الريان الشمس وتضاحكه ، ليست روضة هذا شأنها بأطيب من محبوبته نشر ، أو أضعف منها ساعات الأصيل عطسرا .

وصنع عنزة العبسي صنيعه ، فاتكأ على وصف الروضة واتخذ سبيلا الى الفزل في معلقته التي مطلعها (٢) :
هل غادر الشعراء من مترنم
أم هل عرفت الدار بعد توهم

وباتساع رقعة الدولة الإسلامية أثر الفتوح ، ودخول بلاد فارس والعراق وانشاء مصر في الاسلام ، وتأثر الشعراء بالأمم والشعوب الأجنبية ، تطوعوا

- (١) ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، مصر . ص ٥٧ :
(٢) المعلقات السبع ١١٢ - ١١٣ .

والنَّورُ عَقْدٌ وَالْفَصُّونُ سَوَالِفُ والجذع زَنْدٌ وَالْخَلِيجُ سَوَارُ
بحديقةٍ ظَلَّ اللَّيْلُ ظِلًّا بِهَا وتطلعت شَنِئًا بِهَا الْأَنْسَارُ
رقصَ القُضْبُ بِهَا وَقَدْ شَرِبَ الثَّرَى وشدا الحمامُ وَصَفَقَ التِّيَّارُ
غَنَاءُ الْحَفِّ عَطْفَهَا الْوَرَقُ النَّدَى والتَّفَّ في جنباتها النَّسَارُ
فَتَطَلَّعَتْ فِي كُلِّ مَوْقِعٍ لِحَظَةً من كلِّ غصنِ صَفْحَةٍ وَعُذَارُ

فالشاعر لم يكد يترك صورة أنيقة او صفة جميلة إلا منحها لحديقته، ولم يدع سمة بديعية أو زينة لفظية إلا خلصها في براعة وألبسها جنته، فتزاحمت الصور والتشبيهات في المقطوعة، وتراصت الجزئيات من أغصان وأنوار وحمام ومياه ورياح وأنداء، لتشكل أمامنا حديقة غناء، وروضة فيحاء، راقصة طسروب.

وهذا أبو الحسن بن الزقاق البلنسي، يهتز طرفها للروابي المطالولة بعن المطر، وقد أتحفه الربيع بورده، حيث تفتحت أنواره وتضوع شذاه، فاقتضى من الشاعر الزيارة، وهل هناك منظر أجمل من منظر روضة بعد انسكاب المطر عليها؟ يقول (١):

تَأْرَجَ مَطْلُولُ الرُّوَابِي فَزُرْتُهُمَا وأمثال هاتيك الرُّبَى يَقْتَضِي الزُّورَا
وَأَتَحَفَنِي مِنْهَا الرَّبِيعُ بِبُورِدِهِ عِبْرًا بِهِ الْأَنْفَاسُ إِنْ فَتَقَ النَّوْرَا
حَكَتْ نَفْحَةً مِّنْ هَوَيْتُ وَوَجَنَةً فَأَنْشَقَهَا طَوْرًا وَالْثَمَهَا طَوْرَا

فروضة الشاعر حكّت من يحب في نفحاتها، ووجناته في ورودها، فهمم بهما وأخذ ينشقها طورا ويلثمها تارة أخرى، فنجن واجدون فيها نشرات المشق وشيء من تباريح الفرام.

وهذا أبو القاسم بن المطار الأشبيلي المتوفي سنة ٥٢٩ هـ أو ٥٣٥ هـ يصف حديقة تزدهي بحلى الربيع وتزدان، وقد تحلّت بنواويره وأزاهيره فاتخذت

(١) الديوان ١٧٨ .

منها قلائد ومطارف ، يقول (١) :

للهِ حُسْنٌ حَدِيقَةٍ بِشَطَطِ لَنَا منها النفوسُ سَوَافٌ وَمَعَاطِفُ
تَخْتَالُ فِي حُلُلِ الرَّبِيعِ وَحَلِيهِ ومن الربيعِ قلائدٌ ومطارفُ

وبياكر أبو محمد عبد الحق بن عطية المتوفي ٥٤١ هـ روضة ونرجسا غصنا
تلافت فيها الرياح فأخذت أغصانها تتمايل وتترجح فعل الشارب الثمل ، وقد أشرقت
عليها الشمس ، فأرسلت أشعتها الذهبية على وردها وزهرها فلعمت قطرات الندى
على كرائم النواوير كأنها النقط الفضية في خط من ذهب :

نَرْجِسٌ بَاكَرَتْ مِنْهُ رَوْضَتُهُ لَدَدٌ قَطَعُ الدَّهْرَ فِيهَا وَعَذَبُ
حَثَّتِ الرِّيحُ بِهَا خَمْرَ حَيَا رَقَصَ النَّبْتُ لَهَا ثُمَّ شَرِبُ
فَقَدَا يُسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ نَوْرُهُ الْفَضُّ وَيَهْتَزُ طَرِبُ
خَلَّتْ لَمَعُ الشَّمْسِ فِي مَشْرِقِهِ لَهَا يَحْمِلُهُ مِنْهُ لَهَبُ
وَبَيَاضُ الظِّلِّ فِي عَفْرِتِهِ نُقْطُ الْفَضَّةِ فِي خَطِّ الذَّهَبِ

فالروضة رقصت فرحا بالمطر الذي ساقته الريح ، وشربت منه فتمايلت أغصانها
واهتزت فروعها ، فهي حية متحركة .

وقد وصف الشعراء في العصر المرابطي الرياض في كل الاوقات وجميع الفصول
وان أكثروا من وصفها في الربيع ولا خير عليهم في ذلك ، ففي فصل الربيع تكتسب
الارض بالخضرة وتورق الأشجار وتتفتح الأزهار ، وتصدح الطيور بتغريداتها والحمام
بنواحيها .

جلس أبو عبد الله بن عائشة — صاحب اعمال — بلنسية أيام علي بن يوسف — بن
تاشفين — في ثلثة من أهل الأدب ، بينهم ابن خفاجة — تحت دوحه خوخ منيرة .

(١) خريدة القصر وجريدة العصر ، العماد الاصفهاني ، تحقيق عمر الدسوقي وعليه
عبد العظيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر — القاهرة ، مطبعة الرسالة ١٩٦٤ .
القسم الرابع ، الجزء الثاني ص ٥٨٧ .
قلائد المعقبان في محاسن الأعيان ، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيبي
القاهرة ١٢٨٤ هـ . ص ٢٨٤ . النفح ٣٠٢ : ٤ .

(٢) القلائد ١٠٩ — ٢١٠ ، الخريدة ٢ : ٤ : ٥٣١ ، النفح ١ : ٦٧٩ — ٦٨٠ .

فهبت ریحٌ شديدةٌ ، أسقطت عليهم جميعَ الزهر ، فأشد ابن عائشة بداهة (١) :
 ودوحةٍ قد علتَ سماءُ تُطلعُ أزهارها نجومًا
 هبَّ نسيمُ الصبا عليها فخلتها أرسلت رجومًا
 كأنما الجوَّ غارَ لَمَّا بدت فأغرى بها النسيما

وتذكرني هذه الابيات ، بأبيات الأديب ادريس بن اليمان العبدري* ، حيث
 جلس في رهط من أصدقائه ، وقد افترشوا النبات تحت دوحة منورة ، هبت عليها الريح
 فتساقطت زهورها وهوت عليهم كما يهوى الفراش على المصباح ، وهي قوله (٢) :

واخوان صدق قد أناخوا بروضةٍ
 وليس لهم إلا النباتُ فراشُ
 فخلتهم والنورُ يسقط فوقهم
 مصابيح تهوى نحوهم فراشُ

وهذا أبو القاسم بن السقاط الكاتب - من عمال يوسف بن تاشفين - يصف
 يوما رَفَّ طله ، وراق ظله ، قطعهُ في روضةٍ باكرتها مزنة جادت عليها بالمطر

- (١) مطمح الانفس ومسرح الثأنس في مسلح أهل الاندلس ، الفتح بن خاقان ،
 دراسة وتحقيق محمد علي فاضل شوابكة . اشراف الاستاذ الدكتور
 عبد الكريم خليفة ، رسالة ماجستير - مضرورة على الآلة الكاتبة .
 بدائع البدائع ، علي بن طاهر الأزدي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،
 مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ، ١٩٧٠ م . ص ٣٧٩ .
 رايات المبرزين وغايات المميزين ، ابن سعيد المغربي . أبو الحسن علي بن موسى
 تحقيق د . النعمان عبد المتعال القاسبي ، لجنة احياء التراث الاسلامي ،
 المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٣ م . ص ١١٣ .
 الذخيرة ٣ : ٢ : ٨٨٧ ، النفح ٤ : ١٥٧ ، الخريدة ٤ : ٢ : ٦٨٢ ، المغرب ٤ : ٢ : ٨٨٨
 (٢) الذخيرة ٣ : ٢ : ٨٨٨ .
 * الأديب ابو علي ادريس بن اليمان العبدري من أهل جزيرة يابسة ، شاعر
 جليل ، له مدائح كثيرة في ملوك الطوائف . المغرب ١ : ٤٠٠ .
 المطرب ١٢٣ .

قطعه في صحبة ممن يحب وقد افترشوا خضر الارائك ، يقول (١) :
 ويوم ظللنا والمني تحت ظلّه تدار علينا بالسعادة أفلاك
 بروض سقته الجاشريّة مزنة لها صارم من لامع البرق بتاك*
 توسدنا الصهباء أضعاف كاسه كأنا على خضر الارائك أملاك
 تطاعنا فيه شدي نواهد نهدن لحزى والسّور أفناك*
 وتجلّى لنا فيه وجوه نواعم يخلن بدورا والفدائر أحلاك

وكما ذكرت من قبل لم يقتصر شعراء العصر على وصف الرياض في فصل الربيع ، بل تجاوزوا ذلك ، فوصفوها في مختلف الفصول ، وصوروها جميلة رائعة بما أضفوا عليها وبما استخدموا في سبيل ذلك من محسنات بدعية أو زينة لفظية . فهذا ابن خفاجة يباكر روضة في فصل الشتاء حيث الفيوم داكنة السواد ، والرياح تلطّم الربى ، وقد شرعت الطيور في تفريدها وشدها ، يقول (٢) :

بآكرته والفيوم قطعة عنبر مشبوبة والبرق لفحة نثار
 والريح تلطّم فيه اوداف الربى لعباً وتلثم أوجه الأزهار
 ومناهر الأشجار قد قامت بها خطباء مفعمة من الأطيار

وقد اتصل ابن خفاجة بالرياض اتصالاً وثيقاً ، انه يحل بين مفاניה ومباهجها فيشمر بمعاني البشر قد أحاطت به والروضة قد لبست زينتها وبدت في حلة العروس المجلوة :

ومامة حدر الصباح قناعها عن صفحة تندى من الأزهار (٣)
 في أبطح رضعت ثفور أقاحه اخلاف كل غمامة مدرار

(١) المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد المغربي ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة الجزء الاول ص ٤٢٩ .
 القلائد ١٧١ ، الخريدة ٤ : ٢ : ٤٥٠ .

(٢) الديوان ٣٤ . (٣) المصدر نفسه ٣٣٦ .

* الجاشرية : شراب الصباح ، التاج مادة جشر ، بتاك : بتكه بيتكه : قطعه ، والباتك القاطع ، التاج مادة بتك .

* الأفناك : جمع فنك وهو جلد يلبس ، معرب ، التاج مادة فنك ، السنور : ملبس من الجلد كالدرع يحمي الجسم في الحرب . التاج مادة سنر .

نَشَرَتْ بِحِجَرِ الرُّوضِ فِيهِ يَدُ الصَّبَا
وَقَدْ ارْتَدَى غُصْنُ النَّقَى وَتَقَلَّدَتْ
فَحَلَلَتْ حَيْثُ الْمَاءُ صَفْحَةً ضَاكِكِ
وَالرَّيْحُ تَنْفُخُ بُكْرَةً لِمَمَّ الرُّبَى
مُتَقَسِّمَ الْإِلْحَاطِ بَيْنَ مُحَاسِنِ
وَأَرَاكَةَ سَجَعَ الْهَدِيدِ بِفَرْعِهَا
هَزَّتْ لَهُ أَعْطَافَهَا وَلَرُبَّمَا
دُرَّرَ النَّدى وَدَرَاهِمُ النُّسَارِ
حَلَّى الْحَبَابِ سَوَافِ الْأَنْهَارِ
جَذَلِ وَحَيْثُ الشَّطْبُ دَعْدَارِ
وَالظَّلُّ يَنْضَحُ أَوْجُهُ الْأَشْجَارِ
مِنْ رَدْفِ رَابِيَةٍ وَخَصَرِ قَرَارِ
وَالصُّبْحُ يَسْفِرُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ
خَلَعَتْ عَلَيْهِ مَلَأَةَ النُّسَارِ

فالروضة لديه ، ذات جمال ودلال ، وزينة وبها ، وساحة وكرم وعطاء .

ويعرض ابن خفاجة في وصف الرياض والحدائق ، فيصف روضة تولى شجرة الاراك
احدى مفاتيها ، وقد أحاط بهذه الاركة جدول ماء ، والشاعر مفرم بوصف مجابى
المياه ، فيشبه الجدول والشجرة بزئار ملتف بخصر حسنا ، ولعل هذه الصورة مستوحاة
من الأثيرة المنتشرة في الاندلس ، يقول (١) :

وَأَرَاكَةَ تَمَرَّتْ سَمَاً فَوْقَنَا
حَقَّتْ بِدَوْحَتِهَا مَجْرَةُ جَدُولِ
فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ جَدُولَ مَائِهَا
زَفَ الزُّجَاجُ بِهَا عُرُوسَ مَدَامَةِ
فِي رَوْضَةٍ جَنَحَ الدَّجَى ظِلَالُهَا
غَنَاءَ يَنْشُرُ وَشْيَ الْبَزَازِلِيِّ
نَامَ الْفَبَارُ بِهَا وَقَدْ نَضَحَ النَّدى
وَالْمَاءُ مِنْ حَلَى الْحَبَابِ قَلْدُ
تَدَدَى وَأَفْلَاكُ الْكُؤُوسِ تَدَارُ
نَشَرَتْ عَلَيْهِ نُجُومَهَا الْأَزْهَارُ
حَسَنَاءُ شَدَّ بِخَصَرِهَا زُنَّارُ
تَجَلَّى وَنَوَارُ الْفُصُونِ نِشَارُ
تَجَسَّمتْ نُورًا بِهَا الْأَنْوَارُ
فِيهَا وَيَفْتَقُ مَسْكُ الْعَطَارِ
وَجْهَ الثَّرَى وَاسْتَيْقَظَ النُّسَارُ
زَرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا الْأَشْجَارُ

لقد جعل الشاعر نوار الفصون نثار العروس ، وجسم الانوار في أنوار وجميع
في روضته وشي البزاز ومسك العطار ، وجعل الاشجار تنم جيوبها على ما ينشره
العطار من زينة مائبة ، حيث تبدو الفتنة كلها في الطبيعة (٢)

(١) الديوان ٣٥١ .

(٢) شعر الطبيعة في الادب العربي ٢٧٩ .

وتباكر الرياح بستان الشاعر ابي هاسر بن المرباط ، فتسوق اليه المزن التي
تنهل عليه ، فتروى أشجاره ، وتبل ترابه ، وتجزى الأبطح والأجرع بالمياه (١) :

فَتَنَاوَحَتْ فِيهِ الرِّيحُ مَعَ النَّحَى

حتى تبل ترابه الميزن^١
ويسيل أبطحه وأجرعه معها^٢
ويرق ذاك السهل والحزن^٣

أما أبو بكر محمد بن رحيم ، فيدعو الله ان يرعى بهجة جنته ، حيث تنساب
بين أشجارها الملتفة الجداول الرقراقة التي وهبتها الحياة ومنحتها البقاء ويخال
نفسه وهو وسطها كأنه وسط جنات الخلد (٢) :

وللحياة ابتسامٌ في جداولها
حدائقٌ أحدها للمنى شجرٌ
جنات أنس رعى الرحمن بهجتها
كما تشقُ جيوبٌ فوق لبساتر
خضر وأودية حقت بروضات
حسبت نفسي منها وسط جنات

ويقوم ابو الحسن بن الزقاق البلسني حد السرقة — حسب تعبير الفقهاء —
على غياب الشقائق لأنها سرقت حمرة الخدود الملاح ، ويجعل الغمام مقتضا منها ،
حيث يجلدها ببرده ويرهقها بقطرات مائه (٣) :

ورياض من الشقائق أنحس
زرتها والغمام يجلد منها
قلت ما ذنبها ؟ فقال مجيبا
يتهادى بها نسيم الرياح
زهرات تروق لسون الراح
سرقت حمرة الخدود الملاح

ويصف ابو القاسم بن المطار منزّه بهيج ، مستخدما ألفاظ المعجم الحربي —
ان جاز التعبير — وذلك قوله (٤) :

لله بهجة منزّه ضربت به
فوق الغدير رواقها الانسام^٤

- | | | | |
|-----|---------------|-----|---------------------------------------|
| (١) | القلائد ٢٩٤ . | (٢) | الخريدة ٢٤٤ : ٣٧٥-٣٧٦ ، القلائد ٥٠٠ . |
| (٣) | الديوان ١٢٥ . | | |
| (٤) | القلائد ٢٨٣ . | | |

فمع الأصيلِ النهرُ برَّعٌ سابغٌ ومع الضحى يلتاح منه حُسامٌ

ويدعو أبو نصر الفتح بن خاقان - صاحب القلائد - لأرض حمص بالأندلس
بالسقى ، حيث تهطل المياه فتكون سببا في أن تكتسي الرياض أثوابها السندسية
وتستمد منه النباتات والأشجار عنصر بقائها وسرحياتها ، فيجري النهر ملتويا
كالأفعى ، والمياه تلازم الرياض ، وتشبيه النهر بالأفعى والسوار من الصور المألوفة
في شعر الطبيعة في فترتنا ، يقول ابن خاقان (١) :

سَقَى أَرْضَ حِمصٍ بِالأَصِيلِ وبِالضُّحَى
سحابٌ كدمعي يَسْتَهْلُ وَيَسْجَمُ
وَمَدَّتْ بِهَا الرُّوضُ أَبْرَادُ سُنْدُسٍ
تَطَرَّزَهَا كَفُّ القَمَامِ وترْقُمُ
وَحَيَا الحَيَا أَرْضَ الفُرُوسِ وروضها
بحيث التوى فيه من النهر أَرْقَمُ

ويرسم لنا ابن الزقاق صورة جميلة ، ويلون لوحة رائعة ، حديقة خضراء ، ودعتها
الشمس ساعة الأصيل (٢) :

وحدائقٍ خُضِرَ المعاطفُ أَلْبِسَتْ
من حُسْنِ بهجتها ثيابَ زَرْجَدٍ
زَرَّتْ عَلَيْهَا الشمسُ فُضْلَ رَدَائِهَا
فبدا زَرْجَدُهُنَّ تحتَ المسجدِ

وجمال تلك الرياض ، وحسن تلك الحدائق ، يفري الشعراء بالسهر ، والعيون
بالأرق ، ولكنه ليس أرق الحزن والكمد ، إنما أرق السهر والسم ، حيث ينظر
الشاعر إلى البرق اللامع من صوب ديار محبوبته فقد أخذ الليل يسحب أذياله ، والشام
قابع في روضة أخذت أعطافها في التثني ساعة السحر ، وأزهارها في التفتح ، في حين

(١) المفسر ١ : ٢٦٠ .

(٢) الديوان ١٤٠ .

غرد طيرها وشدا بلبلها ، يقول ابو الحسن بن الزقاق (١) :
 حدائقُ الحُسْنِ تُغْرِى السَّهْدَ بالحدقِ
 فالعينُ مُتَرِّعةُ الأَجْفَانِ مِنْ أَرْقِ
 أَشِيمُ لِلْبَرْقِ مِنْ مَسْرَاهِمِ قَبَسَا
 والليلُ يَسْحَبُ أَذْيَالاً مِنَ الْفَسَقِ
 حتى استهلَّ الغمامُ الجودُ منسكباً
 بواقِرٍ مِنْ مُلْتِ القَطْرِ مندفقِ
 في روضةٍ قد تثنتَ أعطافها سَحْراً
 يَفْضُ منها ختامُ الزهرِ عن عِبْقِ
 ترنو الحمامُ منها في ذرى قَضَبِ
 تختالُ مائسةٌ في سندسِ الورقِ

وتأخذ الشاعرُ النشوةُ ويشمله جوُّ الطربِ وهو في محرابِ الرياضِ ، فينعزل
 بمن يحب ويذكر من يهوى ، فهذا نسيم روضةِ الاعى التطيلي يقوم بدور الرسول بين
 الأحبة ، وخير الرسل من يفهم غرضه ، وخير النسيم ، نسيم روضةِ الحزن ، فالروضة
 روضة حزن احتار الشاعرُ أيهما سقى أزهارها ، أهى المدام أم هو الغمام ؟ - يقول
 الاعى التطيلي (٢) :

وروضةُ حَزْنٍ بَيْنَ طَيْبِ نَسِيمِهَا
 وبين ثَنِيَاتِ الحِشَا مَخْلُصٍ سَهْلٍ
 تسيرُ بما بينَ الأَحْبَةِ مِنْ هَوَى
 رسائلُ مِنْهُ لَا تُضَيِّعُ أَوْ رَسَلُ
 شَذَى تَتَهَادَاهُ الْأَصَائِلُ وَالضُّحَى
 تَصَحُّ الْمُنَى فِي صَفْحَتَيْهِ وَيَعْتَلُ

(١) الديوان ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢) المصدر السابق ١٠٧ - ١٠٨ .

مع الريح ما هبت له ، فإذا وُنت
 تحير في اكمامها هو والطَّل
 كأن المدام الصرف باتت تعلُّها
 فللطيب منها جانبٌ قلما يخلسو
 أثلك سقطت أزهارها أم غمامة
 إذا نفحت أيقنت أن سوف تنهل

وبييت أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف في روضة أرج عطرها وتضوع
 شذاها ، بلها الليل بنداه ، ورعتها الكواكب بعيونها ، وقد ضمَّ الشاعر من يحب
 في ليلة هناء الى أن لاحت تباشير الصباح (١) :

بتنا وأجفات الكمام نؤم
 والليل أعمى والكواكب تنظُر
 والروض يأرج والظلام ييله
 بنداه إلا أنه لا يقطر
 حتى استشارته الصبا وكأنه
 دمعٌ تحدر أو عقود تنشر
 فهناك صاح بنا الصباح وبيننا
 ضمُّ يموت الشوق فيه وينشر

ويقضي الشاعر نفسه ليلة أخرى مع محبوبته وقد ضمَّها اليه بشدة لئلا يسرع
 صوتُ القلائد ، فلم تنبس الريح لهم بسر ، وقد أخفتهم الروضة بين خمائلها وتحيت
 أغصانها ، فهي مجال أو مكان يحظى فيه الشاعر بالسعادة مع من يحب بنجوة من
 الرقيب (٢) :

بتنا نشد على القلائد بيننا
 حذر الرقيب لعلها لا تنطق
 والريح ما نهست لنا بسريرة
 يوماً ولا نفت الحلوى المحنق
 خفنا ، فأخفتنا خمائل روضة
 أنف وأخملنا المئاق الضيق

ولا بن خفاجة أبيات جميلة قالها واصفا بانه تهتز ، وروضاً يفوح منه العطر
 وقد أضفى على روضته ما جعلها للانظار ، ومنحها بعضاً من صفات الحسان سيما

(١) الذخيرة ٣: ٢: ٨٧٥ - ٨٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ٣: ٢: ٨٧٦ .

الطرف الساحر الفاتن ، يقول (١) :

يا بانة تهتز فينانة وروضة تنفح معطارا
لله أعطافك من خوطة وحبذا نورك نوارا
علقت طرفا فاتنا فاترا فيك وغرا منك غرارا
تخفق أحشائي بهادوحة وتنشر الأدمع نوارا

والخمرة وثيقة الصلة شديدة الارتباط بالروضيات ، يعاقرونها في مجالسهم ويتعاطونها في ليالي أنسهم وجلسات لهوهم في الرياض ، فهذا أبو الأصمغ عبد العزيز بن فاتح القرطبي وكان من عمال قرطبة في مدة المرابطين ، وقد اختص بأمرها الزبير بن عمر المثلث ونادمه ينشد (٢) :

قم هات كاسي فالروض مطور
والأفق مسك والارض كافور
رى وخمر فحشها عجلا
فكلنا عايش ومقرو
لا حفظ الله من يضيئها
في مثل ذا اليوم فهو مسحور
الما فوق القصور منتظم
والزهر بين الرياض منشور

ويصف لنا ابن خفاجة روضة وقد أخذته نشوة الشرب في مجلس أنس ، اهتزت فيه غصون الأشجار ، وغردت على أعالي أفنانها سواجم الأطييار (٣) :

والروض وجه أزهر والظل فسر
ع أسود والماء ثغر أشنب
حيث التقى نفس الخزامى والصبا
وشدا يفتينا الحمام المطرب

- (١) الديوان ١٢٥ - ١٢٦ .
(٢) المفسر ١ : ١٠٢ .
(٣) الديوان ٢٨٩ - ٢٩٠ .

واهْتَزَّ عَطْفُ الْفَصْنِ مِنْ طَرَبِ بِنَا
وَأَفْتَرَّ عَنْ شَفْرِ الْهَلَالِ الْمَغْرِبِ
فَكَأَنَّهُ وَالْفَيْمُ ثَوْبٌ أَدْرَكْنُ
طَوَّقٌ عُلِّسَ بِرْدِ الْغَمَامَةِ مَذْهَبُ
ثُمَّ انْقَضَى مِنْ يَوْمِ أَنْسٍ فَانْطَوَى
فَعَلَى مَعَاهِدِهِ السَّلَامُ الْأَطْيَبُ

ويدعو أبو اسحق إبراهيم بن عبد الله إلى مجلس أنس ولهو حيث تدور
الكأس ، في جنة ضاحكة الفدران ، راقصة الأغصان والرعْد يجلجل في السماء
فتشق الزهور جيوبها احتفاءً بهذا العطاء (١) :

بادِرْ إِلَى شَادٍ وَكَأْسٍ تَدُورُ وَكُجْلِسْ قَدْ زِينَتُهُ بِسَدُورِ
فِي جَنَّةٍ تَضْحَكُ غَدْرَانِهَا وَتَرْقُصُ الْقَضْبُ وَتَشْدُو الطَّيُورُ
لَمَّا غَدَا الرُّعْدُ بِهَا مَطَرِسًا شَقَّ لَهُ الزَّهْرُ جُيُوبَ السَّرُورِ

وهذا أبو بحر يوسف بن عبد الصمد ، يجلس منادياً صاحبه في حديقة مخضرة
الأثواب ، تضاحكت مياه جدولها الفض وغرد طيرها الطرب :
وحديقة مخضرة أثوابها فِي قَضْبِهَا لِلطَّيْرِ كُلِّ مَفْرَدِ (٢)
نَادَمَتْ فِيهَا فَتْيَةٌ صَفْحَاتُهُمْ مِثْلَ الْبَدُورِ تَنْبِيرِ بَيْنِ الْأَسْعَدِ
وَتَرَجَّرَتْ لِلنَّاظِرِينَ كَأَنَّهَا دُرٌّ تُثِيرُ فِي بَسَاطِ زَرْجَدِ

وأما أبو الحسن بن الزقاق فيدعو إلى الشرب ، حيث تضع شذى أزهار
الروضة وغرد طيرها وصخب ماؤها ، وترنم أوركها ولمع برقها كصفحة السيف أو
مارج الذهب ، يقول (٣)
قُمْ فَاسْقِنِي ذَهَبِيَّةً أَنْ الْأَصِيلَ مَذْهَبُ
صَفْرَاءَ مِنْ زُهْرِ الْكِسَا كَيْبَ لِلزَّجَاجَةِ كَوَكْسُ

- (١) المغرب ٧١:١ .
(٢) الذخيرة ٨١٨:٢:٣ .
(٣) الديوان ٩٣ - ٩٤ .

أوما ترى ذيلَ السحبا	بِعلى الحقائق يُسحبُ
والروضُ يَارجُ والغديـ	رُمع الحمامِ يُمخَّبُ
فاذا تَرْتَبِمَ أَوْرقُ	فيه تدقَّقُ مَذْنَبُ
والدمعُ طَلَّ سافحُ	أو دَرَّ سِيلُكُ يَنْهَبُ
والبرقُ صفحةُ صَبارمِ	أو مارجُ يَتَلَهَّبُ

وان كان الشاعر في هذه المقطوعة يدعو للشرب ساعات الاصيل وعند الغروب وقد تكاثفت السحب وأخذت تجرر أذيالها فتطمس زرقة السماء ، فانه يدعو الى مياكة الشراب كذلك في أرض منعمة وظل شجسج بين ورد الشقائق وأزهار البنفسج ، حيث الماء مصقول الاديم والروض مطلول النسيم ، وأزاهيره الجميلة الصفراء تفوق في حسنهم وروعها الدنانير الذهبية :

أرضٌ منعمة وظل شجسج
وعبا بأنفاس الربى تتأرجح
ومذائب زرق النطاف ترف في
وجناتهن شقائق وبنفسج
فالماء مصقول الاديم مفضض
والروض مطلول النسيم مدبج
صيفت أزاهره دنانيراً بها
فنرى دنانير النضار تبهرج
قم نصطحبها والنجوم جوانج
والصبح في أعقابها متبجج

ويندغم ابن خفاجة اندغاما تاما بالطبيعة ، فيميل الى أشجارها ويسمر في رياضها ، ويتعاطى الراح في خمائلها ، ويشدو بالشمر في أحضانها ، فهي الأم

الروءوم التي تحتضن أيتامها (١) :

أنعم فقد هبت النعماء
وملأ إلى أيكة بليل
تمم أعطافها القوافي
كان أمّا بها روءوساً
ونبت ريحها الخزامى
تهفو اهتزازاً بها قدامى
لها وأكواسها الندامى
تحتضن من شربها يتامسى

ذكر صاحب قلائد المقيان أن أبا محمد بن سعيد بن عبد العزيز المتوفى سنة ٥٢٠ هـ. بات مع اخوته في روضة رائعة الحلوى، مرهومة الربى وقد عاقروا الراح ونهدوا الوقار، وقد ارتضعوا للانتشاد دررا، وصرعوا للاغفاء سكرًا، فلمّا خلع الصباح رداءه على الأفق وهزم كتائب الغياهب يقق الفلق، قام أبو محمد فأنشد (٢) :

يا شقيقي وافى الصباح بوجهه
فاصطبح واغتتم مسرة يسوم
ستر الليل نوره ونهاؤه
لست تدري بما يجي مساؤه

وبعد هنيئة استيقظ أخوه أبو بكر فقال (٣) :

يا أخي قم تر النسيم علساً
في رياض تعانق الزهر فيها
لا تنم واغتتم مسرة يسوم
ان تحت التراب نوما طويلاً
ياكر الروض والمدام شمولا
مثلما عانق الخليل خليلاً

ثم استيقظ أخوهما أبو الحسن فقال (٤) :

يا صاحبي ذر الومي ومعتبتى
فلم نصطبح خمرة من خير ما ذخروا

- (١) الديوان ٦٩٠.
(٢) الاحاطة في اخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٤م، ص ٣٤٠.
المغرب ١: ٣٦٧، القلائد ١٥٠، الخريدة ٤: ٢: ٤١٧، الذخيرة ٢: ٢: ٧٧٣، البدائع ٣٧٥.
(٣) الاحاطة ٣٤٠، المغرب ١: ٣٦٧، الذخيرة ٢: ٢: ٣٧٣، القلائد ١٥٠، الخريدة ٤: ٢: ٤١٧، البدائع ٣٧٥.
(٤) الاحاطة ٣٤٠، المغرب ١: ٣٦٧، القلائد ١٥٠، الذخيرة ٢: ٢: ٣٧٣، الخريدة ٤: ٢: ٤١٧، البدائع ٣٧٦.

وبادرا غفلة الأيام واغتتما فاليوم خمر يبدؤ في غد خبر

ونحن نتبين من خلال هذه الأسماء حرص الأندلسيين على اغتنام ساعات اللهو والطرب ، وشدة ولعهم بمعاقرة الراح في تلك الرياض ، حيث يصرفون أوقاتهم في أنس وسكر ، وهرج ومرج وكأنني بهم يختلسون تلك الاوقات من عمر الزمن اختلاسا فهم على يقين من نومة طويلة لا صحو بعدها ، وهم يجهلون ما تخبئه الأقدار لهم ، فعلا ما لا يهتبلون هذه الاوقات فيشربون ويلهون ويطربون ما شاء لهم ذللك .

وفي البيت الثاني من أبيات أبي الحسن نجد اشارة صريحة واضحة الدلالة الى قول امرئ القيس : (اليوم خمر وغدا أمر ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا) تلك المقولة التي قالها عندما بلغه خبر مصرع أبيه على يد بني أسد ، فذعبت مثلا .

وهذا ابو الحسن بن جودي المتوفي سنة ٥٣٠ هـ . يدعو الى الشرب واصفيا الرياض (١) :

أدر كأس المدام فقد تفننى	بفرع الايك أورقها الصدوح
ونم على الرياض نسيم صبح	يمر كما وري سار طليح
وسال النهر يشكو من حصاه	جراحات كما أن الجريح

على أننا نلمح في البيت الأخير صورة من صور الحرب ، فالنهر جريح من حصاه وخير مائه أنين المصاب ، كما يمز على الشاعر نفسه مفارقة بلده حيث الروض الطلق ، والنسيم العليل ، والطيور الصدوح (٢) :

يمر علينا أن نفارق موطننا	به الروض طلق والمقيل ظليل
حللناه والامساء ينشر ذيله	وللريح خطو في نراه عليل
وقد جعلت كأس المدام تجودنا	فما شئت من غصن هناك يميل
تمطر أنفاس الصبا نفحاته	ويندى بذكره ضحى ومقيل
يروقك مرآه ويطربك شدوه	فللشرب منه أيكه وهد يليل

(١) المطمح ٢٢٢ ، الاحاطنة ٤ : ١٥٩ .

(٢) المطمح ٢٢١ .

وهذا ابوسام الشنتريني — صاحب الذخيرة — يستدعي ندِيمًا له وقد قعد للراحة في حديقة سترحسها ضباب، يرى أنه سوف يتلاشى عند حضور نديمه — فما هو إلا لشام الثالث به الروض (١) :

ألا بادِر فما ثانٍ سوى ما	عهدت: الكأس والبدر التمام
ولا تكسل برويته ضباباً	تفص به الحديقة والسدام
فان الروض ملثم إلى أن	توافيه فينحط اللثام

فالخمرة وثيقة الصلة بالرياض، فهم دائماً يهرعون إليها يعمون الراح عباء، ولعل انتشار الأديزة في الأندلس كان له أثر كبير بالإضافة إلى انتشار أشجار الكرمة ولم تستطع الدولة المرابطية التي صرفت جل اهتمامها للدفاع عن البلاد ومحاربة النصارى أن تحدد من ذلك كثيراً كما هو واضح من كثرة الحديث عن الخمرة وشربها من خلال شعر المصمر. فقد بلغ الأمر فيهم أن اعتبروا الشرب في الرياض حقاً ممن حقوقها، فليس لمستمع فيها إلا أن يشرب وإلا فهو لم يقض حق الروض عليه، يقول ابوبكر يحيى بن بقى المتوفي سنة ٥٤٠ هـ. (٢) :

خذاها على وجه الربيع المخبب لم يقض حق الروض من لم يشرب

لكن كانت الرياض والحدائق قد شاركت الشعراء ساعات لهوهم وطربهم، وهم يماقرون الراح في مجالسهم، ويستمتعون بين أحضانها مع محبوباتهم، وهم غارقون في ملذاتهم على ضفاف غدرانها الناهكة، فقد شاطرتهم أيضاً ساعات الحزن والكمد، والهم والغم، فقد استحوذت عليهم واستصفتهم لنفسها ووضعت مياسمها على قضائهم، وجعلت ملامحها تتجلى في أشعارهم، لا نكاد نستثني من ذلك غرضاً من أغراض الشعر حتى الرثاء (٣).

فقد أصبح المنظر الطبيعي كما يقول الدكتور احسان عباس (٤) كالقاعدة أو العامل الكيميائي المساعد في القصيدة الأندلسية (٤) وأصبحوا هم شعراء بالطبيعة وفي الطبيعة.

(١) الرايان ٤٥ (٢) الذخيرة ٢: ٢٣٥ .

(٣) ملامح الشعر الأندلسي، د. عمر الدقاق، منشورات دار الشرق — بيروت ١٩٧٤م ص ٢٢٢، وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي ٨٠ .

(٤) تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين ٢٠٣ .

فهذه روضة الشاعر أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن خلصة البلنسي قد تغيرت وحزنت أشد الحزن على بلنسية التي كان الروم قد احتلوها مدة من الزمن ثم أحرقوها عند خروجهم منها سنة ٤٩٥ هـ، وقتلوا بعض رجالها . يقول (١) :

وروضة زرتها للأنس متغييا
فأوحشتني لذكرى سادة هلكوا
تغيرت بعد هم حزنا وحق لها
مكان نوارها أن ينبت الحسك
لو أنها نطقت قالت لفقد هم
بان الخليط ولم يرثوا لمن تركوا

ويرثي الأعي التطلبي إحدى النساء ، وتشاركه الروضة البكا ، فتذبل الفصون وتأسى النجوم ، وتسود حزنا وكسدا (٢)

كذا تبكي الرياض على رباها وتذوى في منابتها الفصون
وأشفقت النجوم الزهر حتى تبدت في النواظر وهي جيون

ويرثي الشاعر ابن خفاجة أحد أصدقائه وتشاركه الطبيعة حزنه وألمه ، ولكن التوفيق لم يحالف الشاعر كثيرا ، ذلك انه نسي نفسه وأوغل في تصوير الطبيعة من حيث حسب أنه يرثي صديقه ، فاذا به يرسم تلك الصور التي تعود أن يتفتى بها من خلال وصفه الطبيعة (٣) :

في كل نادية منك روض نساء
ولكل شخصي هزة الفصن الندى
يا مطلع الانوار إن بمقلتي
وبكل خد فيك جدول ماء
غيب البكا ورنة المكاء
أسفا عليك لمطلع الانساء

أما ابن أخته أعني ابن الزقاق البلنسي فيذكر توازل الدهر وقوارعه ، ثم ينمط الى الربي فيجعلها في خدمة الرثاء ، ويطلب اليها أن تأسى وتحزن ،

(١) صفة جزيرة الاندلس ٤٨ . (٢) الديوان ٢٢٢ - ٢٣٣ .

(٣) الديوان ١٧٨ .

ويستنكر عليها رفيف أزهيرها ، وميسان غصونها ، ويدعو عليها بالجدب وانحباس
القطار ، ان لم تيك معه غصن المجد الذي صوح ، يقسول (١) :

فيا حَسْرَتَا ان مال للبيّن والنوى
وأقفر من ليث المجال عرين^٢
وصوّح غصن^٣ من ذرى المجد ناضر^٤
وأقوى من القصر الرفيع مكين^٥
فما للرّبي لأجّادها بارق^٦ الحيا
ترقّ أزهير^٧ لها وغصون^٨
وما للجبال الصّم لا تنصدع أسى^٩
وللزهر خفق بعده وسكون^{١٠}

لقد استطاع الشاعر الاندلسي في عصر المرابطين أن يحول وجه الرياض
الضاحك البهيج الذي كان يرح فيه منتشيا بألوان المتعة وأسباب اللهو ، استطاع
أن يحوله الى وجه باك حزين كثيب ، وأن يجرد الرياض من بهجتها وزينتها ، فتبدّه
ذاوية الغصون ، قائمة الأجواء ، نائحة الطيسور .

بل نجد أكثر من هذا ، نجد الأعمى التطيلي وهو يحرض أهل أشبيلية
على رجل عسوف ظلوم يخاطب الروض حاثّه على الثورة مستنكرا فرضته مستهجنا انهمار
الغمام وانصباب^(٢) :
وكيف تضاحك هذى الرياض وكيف يصبّ الغمام الحصى

فلقد اندغم الشعراء في هذا العصر مع الطبيعة بحق ، واندمجوا معها
وامتزجت في أغراضهم الشعرية جميعا بأقدار متفاوتة وبصور متباينة ، فان كانت
في أوقات اللهو والطرب مرحلة ضاحكة ، فهي في أوقات الحزن والألم كثيية باكية .

(١) الديوان ٢٧٨ .

(٢) نفس المصدر ١٠١ .

الزهریات

حدائق الأندلس زانتها مختلف النواوير وشتى الأزاهير ، حيث انتشرت في كل البقاع والأصقاع ، فأكسبت ثوب الطبيعة السندسي الأخضر ، جمالا وسحرا . ووشته بألوانها الزاهية وأشكالها المتباينة ، وجادت بعطرها وتضوع نشرها وفاح شذاها .

ومن هذه النواوير والأزهار ، الورد والنجس والخيري والريحان ، والنيلوفر وشقائق النعمان ، والقرنفل والبهار وأزهار الأشجار المثمرة مثل الخوخ واللوز وغيرها .

وقد وصف الشعراء كل ما وقعت عليه عيونهم ونظرت أبصارهم منها ، وتهادوا بها وشكروا زمانا جاد عليهم بهذه الروائع الجميلة ، فالاعشى التطيلي يشكر للربيع صنائعه ونعمه ولا سيما نعمة الورد ، يقول (١) :

فإن تشكر للربيع صنيمه^١ فما زلت من نعماء في زمن الورد

ويهدى الربيع الجميل نبتة صغيرة من نبات الروض الى الشيخ الكبير ابن خفاجة ، يهدى اليه وردة صغيرة ، فيأخذ الشاعر في لثامها وتقيلها بعد أن هام بهما ، يقول (٢) :

أرأيت أيم بنيسة ^٢	تعزى الى الروض النضير ^٣
أهدى الربيع صغيرة ^٤	منها تهش الى كبير ^٥
فلثمتها كلفا بها ^٦	والشيخ يكلف بالصفير ^٧

وله في وردة تفتحت في غير أوانها قوله (٣) :

وغريبة هشت الي غريبة^٨
فوددت لو نسخ الضياء ظلاما^٩
طلعت علي مع المشيب تشوقني^{١٠}
شيخا كما كانت تشوق غلاما^{١١}

(١) الديوان ٣٢ .

(٢) الديوان ١٤٧ .

(٣) المصدر السابق ١٤٦ .

مَقْبُولَةٌ : أَقْبَلْتُهَا عَنْ لَوْعَةٍ
نَظْرًا يَكُونُ إِذَا اعْتَبَرْتُ كَلَامًا
عَذَرْتُ وَقَدْ أَجَلَلْتُهَا مِنْ نَشْوَةٍ
كِبْرًا وَأَوْسَعْتُ الزَّمَانَ مَلَامًا
عَبَقْتُ وَقَدْ حَنَّ الرَّبِيعُ عَلَى النَّوَى
كَرَمًا فَأَهْدَاهَا إِلَيَّ سَلَامًا

ولعل هذه المقطوعة من أجمل ما قيل في الورود ، وألطفه ، حيث يحيى فيها ابن خفاجة وردة صغيرة جاءت وقد شاخ وكبر سنّه ، فتعنى أن يرجع الى عهد الصبا إلا أن الوردة هذه شاقته شيخا هرما كما شاقته غلاما يافعا ، فمنحها نظرة حانية أفصحت عما في نفسه من حب ، وما يكن لها في قلبه من ولاه ، وتخيّل فيها كما يقول الدكتور سعد شلبي (١) : (حنين الربيع اليه على النوى وتحياته على البعاد ، وكأنهما يتبادلان الحب والشوق والهيّام) فقد ذكرته أيام الصبا وساعات اللهدو .

وهذه الورود تبعث على الشكر ، أو ليست نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى على الانسان ، بها يجلو نظريه ويروح عن نفسه ؟

يقول أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال في مطيّب ورد حف بترنجان (٢) :
ووردٍ جنّي طالمتنا خدودُه بنشرٍ وبشرٍ يبعثان على الشكر
وحفّ ترنجان بها فكأنهنّسا خدودُ العذارى في مقانصها الخضر

انها صورة جميلة حقا ، تتنح تماما في البيت الثاني ، وتكشف بقدا اجتماعيا في البيئة الاندلسية ، فالعذارى يلبس الملائات ويتفننن بها فتزداد حماسة الخدود جمالا وما يزيد في جمالها لون الملائة الأخضر ، وهذا التشبيه من التشابه المقلوبة فالأصل أن تشبه خدود العذارى بالورد بجامع الحمرة فيهما ، لا أن تشبه الورد بالخدود . وليس هذا غريبا أو شاذّا عند شعراء الأندلس ، ألم يقيم ابن الزقاق

(١) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ١١٤ .

(٢) الذخيرة ٢: ٣ : ٧٩٦ .

حد السرقة على رياض الشقائق لأنها سرقت حمرة الخدود الصلاح (١)

والصور الفزلية كثيرة في شعر العصر ، والشعراء يستغلون الطبيعة ويوظفونها
لخدمة أغراضهم ، فابن خفاجة يصف الورد وقد نشر عليه نوار النارج ، ويشبه النوار
في ابيضاضه بشعر يقبل خذاً أحمر ، يقول (٢) :

وَصَدْرُ نَادٍ نَظْمَنَا	لَهُ الْقَوَافِي عَقْدَا
فِي مَنْزِلٍ قَدْ سَحَبْنَا	بِظِلِّ الْعَرْبُورَا
قَدْ طَنَّبَ الْمَجْدُ بَيْتَا	فِيهِ وَعَرَسَ وَفْسَا
تَذْكُوبُهُ الشَّهْبُ جَمْرَا	وَيَقْبِقُ اللَّيْلُ نَدَا
وَقَدْ تَأَرَّجَ نَسُورُ	غَضَى يَخَالِطُ وَرْدَا
كَمَا تَنْقَسُ شَفَرُ	عَذْبُ يَقْبَلُ خَدَا

— كدها —

أما أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي فيصف الورد
أجمل وصف في أبيات هي قمة في الرقة وندوة في الذوق الجميل ، حيث همت لها
دموعه وهاج تأسفه ، يقول (٣) :

يَا وَرْدَةً جَافَتْ بِهَا يَدٌ مُتَحِفٌ
فَهَمَّى لَهَا دَمْعِي وَهَاجَ تَأْسِفِي
حَمْرَاءَ عَاطِرَةِ النَّسِيمِ كَأَنَّهَا
مِنْ خَدِّ مَقْتِلِ الشَّبِيحَةِ مُتَسْرِفِ
عَرَضَتْ تَذَكَّرْنِي دَمًا مِنْ صَاحِبِ
شَرِيتَ بِهِ الدُّنْيَا سَلَافَةَ قَرْقَفِ
فَنَشَقَّتْهَا شَفَا وَقَلْتُ لِصَاحِبِي
هِيَ مَا تَمَجُّ الْأَرْضُ مِنْ دَمِ يَوْسُفِ

(١) الديوان ١٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ٨٠ - ٨١ .

(٣) الديوان ، جمعه وقدم له الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة - بيروت ،
طبعة أولى سنة ١٩٦٠ م . ص ١١١ .

وهذه ورود حمراء ، انتشرت على ضفتي غدير رقائق فهبت عليها رياح درجت
مياه الغدير وصنعت منه درع فارس ، فكانت تلك الورود الدماء الحمراء القانية النسي
سالت من ثقب الدرع ، فالشاعر بهذا أبدع لنا صورة جميلة مستوحاة من الجو الحربي
الذي كانت تحياه الأندلس ، عصر الدولة المرابطية ، يقول ابن الزقاق البلنسي (١) :

نُشِرَ الْوَرْدُ فِي الْغَدِيرِ وَقَدْ رَجَّهُ بِالْهَبُوبِ نُشْرُ الرِّيحِ
مِثْلَ دِرْعِ الْكَمِيِّ مَرَّقَهَا الطَّمَنُ
فَسَالَتْ بِهِ دِمَاءُ الْجِرَاحِ

ويرسم ابن عارة الشنتريني في بيتين من الشعر لوحة جميلة للورد في كئاسه
يقول (٢) :

وَيْسْتَانِ وَرْدٍ فِي مَطَارِفِ سِنْدَسٍ
يَرْقُبُ عَلَى غَيْدِ السَّوَالِفِ مَيْدِ
نَظَرْتُ إِلَيْهِ فِي الْكَمَامِ فَخَلَّتْهُ
ذَوَائِبُ تَبَرٍّ عَمَّتْ بِزَهْرَجِدِ

ويتمنى الورد عند ابن الزقاق خدّ الوراد ويفضل الريحان صدغه ، وهذا
استخدام على غير المألوف ، ولا بأس على ابن الزقاق في ذلك ، فهو في مجلس شرب
لعبت برأسه الراح فأخذ يتفزل بالساقى محمد ، يقول (٣) :

شَهِدْتُ بَأَنَّ الْوَرْدَ لَوْ أُعْطِيَ الْمَنَى
تَمَنَّى مِنَ الْوَرَادِ خَدًّا مَوْرِدًا
وَلَوْ خَيْرَ الرِّيحَانِ لَأَخْتَارَ صَدْغَهُ
وَأَنْ أَصْبَحَ الرِّيحَانُ يَحْكِي الزَّهْرَجِدَا
وَلَوْ قِيلَ لِلْأَفْقِ احْتَكَمْتُ قَالِ دُونَكُمْ

هلالى وشمسي واتركالى محمدا

(١) الديوان ١٣١ .

(٢) الذخيرة ٢: ٢: ٨٤٢ .

(٣) الديوان ١٣٩ .

ويعجب أبو محمد عبد الحق بن عطية بزهرة النرجس ، فيباكر رياضه الجميلة ،
التي جادها الفيث ، وقد انعمت فطرات الماء على زهرات النرجس الصفراء فكانها
نقط فضية رقم بها خط من ذهب ، ومما زاد جمال تلك الروضة بنرجسها الأصفر ،
لمعان البرق ، يقول (١) :

نرجس باكرت منه روضة
لذ قطع الدهر فيها وعذب
حثت الريح بها خمر حيا
رقص النبت لها ثم شرب
فغدا يسفر عن وجنتيه
نوره الفض ويهتز طرب
خلت لمع البرق في مشرقه
لهبا يحمله منه لهيب
وبياض الطل في صفرته
نقط الفضة في خط زهب

ويحتفى ابن خفاجة بزهرة الخيري - المنشور - أيما احتفاء ، فهي ذات منظر
ناعم وديع ، وعبير فواح عطر ، يتضوع ليلا ، يقول (٢) :

وخيرية بين النسيم وبينها
حديث اذا جن الظلام يطيب
لها نفس يسرى مع الليل عاطر
كان له سرا هناك يريب
يدب مع الامساء حتى كأنما
له خلف أستار الظلام حبيب
ويخفى مع الأصباح حتى كأنما
يظل عليه للصباح رقيب

(١) القلائد ٢٠٩ ، الخريدة ٥٣١: ٢: ٤ ، النفح ٦٧٩: ١ - ٦٨٠ .

(٢) الديوان ٨٢ .

والصورة التي رسمها ابن خفاجة هنا طريقة ولطيفة ، فقد أقام حديثاً بين
زهرة الخيري - المنثور - وبين النسيم ، وقد خيم الليل وأرعى سدوله وكأن الخيرية
خجلة من الحديث معه في وضوح النهار ، وأجمل من هذا كله أن الشاعر ركز على أريج
الزهرة وعطرها وشذاها الذي يتضوع ليلاً وكأنما يبحث عن حبيب تواعد معه ليلتقيا
خلسة في الظلام ، فإذا ما انبلج الصبح يخفى ويستتر فعل المحب الحقيقي ، فهذه
الحركة والحياة أضفت على المقطوعة جمالا وبهاء زاد من قيمتها وأبرز الخيرية في
ثياب الانسان .

ويهم الشاعر نفسه بريحانة ، حيث تجمع بين جمال المنظر وحسنه وبين عبق
الريح وطيبه ، يقول (١) :

وَمَعشُوقَةُ الْحُسْنِ مَعشُوقَةٌ يَهيمُ بِهَا الطَّرْفُ وَالْمَقْطُوسُ
لَهَا نَظَرَةٌ سَمَتْهَا نَظَرَةٌ وَتَكْلُفُ بِالْأَنْفُسِ الْأَنْفُسُ
فَمِنْ مَاءٍ جَفَنِي لَهَا مَكْرَعٌ يَسِيحُ وَمِنْ رَاحَتِي مَفْرَسُ

وتذكر أنفاس الريحان ابن خفاجة ريح محبوبته ، وتنوب عن معشوقته وهي
باقية ريحان غضة طرية ، يجول فيها الماء كما يجول البشر في وجه المبشر ، يقول (٢) :

لَكَ اللَّهُ مِنْ سَارِ أَلَمٍ مُسَلِّمٍ فَنَابَ وَرَاءَ اللَّيْلِ عَنْ أُمِّ سَالِسِمِ
يَجُولُ بِهِ مَاءُ الْغَمَارَةِ وَالْندَى كَمَا جَالَ مَاءُ الْبِشْرِ فِي وَجْهِ قَادِمِ
تَنْفَسُ يَهْدِي عَنْ حَبِيبِ تَحِيَّةٍ هَزَزْنَا لَهَا زَهْوًا فَضُولَ الْعَمَائِمِ
يَذْكُرُنَا رَبًّا الْأُحِبَّةَ نَفْحَةً فَذَكَرَهُ بِالْذَمِّ سَقِيَا الْغَمَائِمِ

(١) الديوان ٧٨ .

(٢) المصدر نفسه ٧٨ .

أما زهرة النيلوفر فنشرها عقب كعطر الحبيب ، تتفتح نهارا وتطبق أكمامها
على نفسها ليلا ، يقول ابن وهيبون في وصفها (١) :

وبركة تزهر بنيلوفر
نسيمه يشبه ريح الحبيب
حتى اذا الليل دنا وقته
ومالت الشمس لحين المغييب
أطبق جفنيه على القه
وغاص في الماء حذار الرقيب

ويصفها لنا ابن خفاجة ، فاذا بها كسلى تطبق أجفانها ليلا على نفسها
لم تذق للحب طعما ولا للفرام لوعة ، يقول (٢) :

ونيلوفر لم يدرك ما مس حرقته
بحب ولا ما لوعة وغرام
يهب مع الاصباح من سنة الكرى
ويطبق ليلا جفنه فينام

ويصف ابن طرارة الشنتريني شقائق النعمان مثليا على الدهر الذي جاد بها ،
يقول (٣) :

أهد الثناء الى زمان مشرق
أهدى اليك شقائق النعمان
قامت فرادى بين سوق زبرجد
صيغت عليه جمائم العقيان
يهفو بها من النسيم كأنها
حمر البنود نشرن في الميدان

فشقائق النعمان قامت على سوقها حمراء وكأنها رؤوس من العقيان ، الا أن
الشاعر لا يفلل الجوا الحربي الذي تعيشه البلاد وهو يصف شقائق نعمانسه
فهي كالأعلام المغمضة بالدم في ساحة الوغى .

(١) فوات الوفيات ٢ : ٢٥١ .

(٢) الديوان ٣٦٢ .

(٣) الذخيرة ٢ : ٢ : ٨٤٢ .

وهذا ابو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي المتوفي سنة ٤٤٤ هـ. يصف الشقائق من خلال وصفه للزروع الفضة الناعمة التي ماست أمام هبات الرياح واهتزت يصفها بأنها جراح هذه الكتاب المهزومة ، يقول (١) :

أنظر الي الزرع وخاماته تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتائباً تجفل مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

أما ابن خفاجة فيضفي على وصفه لها مسحة حربية ، فيجعل من أزهارها جيوشا تحتل المراقب والقمم ، وهو — لا شك — متأثر بالوضع العام للبلاد حيث كانت المعارك كثيراً ما تنشب بين المرابطين والنصارى ، يقول (٢) :

يا حَبْدًا والبرق يزحف بكرة
جيشاً رحيق دونه وحرير
حتى اذا ولّى وأسلم عنوة
ما شئت من سهل وذروة نيق
أخذ الريح عليه كل ثنية
فبكل مرقة لسوا شقيق

ويصف الشعراء أحيانا الأزهار دون تحديد أسماءها ، فهذا ابن خفاجة يصف زهرة طرية ، يتضوع شذاها ويفوح عطرها ، وقد جاد على روضها السحاب المنسكب يقول (٣) :

وزهرة غضة تغتر عاطرة
من روضة لدنة الانفاس فحصال
في ملتقى ربوة للفضل مشرفة
ومنتهى عارض للطبع هطال

-
- (١) وفيات الاعيان ٣ : ٤٨٣ ، الرايات ١٠٨ ، الخريدة ٤ : ٢ : ٥٥٢ ،
الاحاطة ٤ : ٢٢٦ ، أزهار الرياض ٤ : ٢٤١ ، المفرب ٨٧ ، المعجم رقم ٢٧٩ .
(٢) الديوان ٣٥٥ .
(٣) المصدر السابق ٢٥٦ .

أما ابن زهر الحفيد فيصف زهر الكتان وقد أخذ يتمايل بفعل الرياح التي
هبت عليه فكأنه بحر أو لجة ماء ، يقول (١) :

أهلاً بزهر اللازورد ومرحباً

في روضة الكتان تعطفه الصبا

لو كنت ذا جهل لخلتكَ لجة

وكشفت عن ساق كما فعلت سباً

وفي البيت الثاني أشار صريحة الى قصة بلقيس ملكة سبأ مع سليمان عليه
السلام .

وكما افتنن الشعراء بزهرة بعينها ، نجد بعضاً منهم قد اهتم بالزهر جميعه ،
وأعجب بألوانه وأنواعه ، دون تعصب لزهرة أو تحيز لوردة فيرسم لرياض الازهار
صورة جميلة في نطاق الطبيعة الممطاة ، ويبدع لوحة خالدة هي في حقيقة أمرها
انعكاس لأحاسيس الشاعر ورقة مشاعره ، فأبو الفضل جعفر بن محمد بن الأعلم يعبر
عن حبه الشديد للآزهار وغرامه وهيامه بها في هذه الابيات المليئة بالحركة والحياة (٢)

أنظر الى الازهار كيف تطلعت

بسماوة الروض المجود نجومها

وتساقطت فكان مسترقاً دنسها

للسمع فانقضت عليه رجومها

والى مسيل الماء قد رقت عننا

عُ الريح فيه من الحباب رجومها

ترمي الرياض له نثر أزهار

فتعيد في ضفتيه نظيمها

(١) جيش التوشيح ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق هلال ناجي ومحمد ماضور ،

مطبعة المنار - تونس ص ٢٧٥ .

(٢) المغرب ١ : ٣٩٦ - ٣٩٧ .

وتختلط الأزهار ، من نرجس وبهار مع بعضها ، فتكون باختلاطها صورة وتشكل لوحة ، فالنرجس ضحى النهار في حين البهار أصيله ، وهما - النرجس والبهار - اخوان غدتها الشمس وترعرا تحت ضوء القمر ، حيث شربا من قطرات الندى سلافة عريدا بفعلها وصحبا ، والعريدة والصخب مما يتصل بالانسان فالشاعريهاتين الصفتين وهب أزهاره الحياة والحركة ومنحها بعضا من صفات الانسان ، يقول ابن صارة الشنتريني مصورا ذلك (١) :

وحد يقة من نرجس وبهار رفعت لواء الحسن للنظار
فكأنما هذا ضحى متهلل وكأنما هذا أصيل نهـار
أخوان أمهما مما شمس الضحى وأبوهما قمر السناء السارى
شربا سلاف القطر حتى عريدا وتراجما بكواكب الأزهار
واستودعا خبريهما نفس الصبا فأذاع ما كتما من الاسرار
فبكى الندى لهما ضحيا والندى مذ كان للأزهار أكرم جـار

ويجمع ابو بكر يحيى بن بقى بين النرجس والورد ، ينظر هذا ويبتسم ذاك (٢) :

ورنا نرجس الربى بعيون وجلا الورد عن محيا وسيم
وبدا مقصم الخليج فخطت فوّه الريح أسطرا من وشوم

ويدعو ابن الزقاق البلنسي الى الشرب ويحث عليه ، فقد راق الروض وتفتحت
الأزهار ، فكأنها نجوم السماء على الارض (٣) :

رق النسيم وراق الروض بالزهر
فنبه الكأس والابريق بالوتر

وله في ذلك قوله (٤) :

أو يراها على الزهر المندى فحكم الصبح في الظلما ماضي
وما غربت نجوم الافق لكن نقلن من السماء الى الرياض

(٢) المصدر السابق ٢: ٢: ٦٣٠ .

(١) الذخيرة ٢: ٢: ٨٤١ .

(٤) المصدر السابق ١٩٧ .

(٣) الديوان ١٧٣ .

ويدعو شاعر الطبيعة ابن خفاجة الى المدامة وسط رياض من النواوير والأزهار
في حديقة غرد طيرها وتمايلت اشجارها ولمع برق سحابها ، فمكونات الحديقة كلها

في هزج ومرج وحركة ونشاط . شأن الشاعر وجلالته ومنازله ، يقول (١) :

حَتَّ المَدَامَةُ فَالنَّسِيمُ عَلِيلٌ	وَالظَّلُّ خَفَاقُ الرُّوَّاقِ ظَلِيلٌ
وَالنُّورُ طَرَفٌ قَدْ تَنَبَّهَ دَامِعٌ	وَالْمَاءُ مَبْتَسِمٌ يَرُوقُ صَقِيلٌ
وَقَدْ انْتَشَى عَطْفُ الْأَرَاكِ فَانْتَشَى	سَكْرًا وَرَجَعَ فِي الْفُصُونِ هَدِيلٌ
وَتَطَلَّعَتْ مِنْ بَرْقَةٍ وَغَمَامَةٍ	فِي كُلِّ أَقْفٍ رَايَةٌ وَرَعِيلٌ
حَتَّى تَهَادَى كُلُّ خُوطَةٍ أَيْلَةٍ	رِيًّا وَغَضَّتْ تَلْعَةً وَمُسِيلٌ
فَالرُّوْضُ مَهْتَزٌّ الْمَعَاظِفُ نَعْمَةٌ	نُشْوَانٌ تَعَطَّفُهُ الصَّبَا فِيمِيلٌ
رِيَّانٌ فَضْضُهُ النَّدَى ثُمَّ انْجَلَى	عَنْهُ فَذَهَبَ صَفْحَتِيهِ أَصِيلٌ
وَارْتَدَّ يَنْظُرُ مِنْ نِقَابِ غَمَامَةٍ	طَرَفٌ يَمْزُجُهُ الْعَشَى كَلِيلٌ
سَاجٍ كَمَا يَرْنُو إِلَى عَوَادِهِ	شَاكٍ وَيَلْتَمِعُ الْعَزِيزُ ذَلِيلٌ

وكانت صورة خلط النور بالورد تكثر في المجالس والمنتديات ومجامع الشراب
فهذا ابن خفاجة في مجلس أنس ومعه أخوان صدق وبين ايديهم الورد وقد فسرش
نوار النارج ينشيد (٢) :

وَنَدَى أَنْسٍ هَزَزَنِي	هَزَّ الشَّرَابُ مِنَ الشَّبَابِ
فَقَنَصْتُ مِنْهُ حَمَامَةً	بِيضًا تَسْنَحُ مِنَ غَرَابِ
وَالنُّورُ مَبْتَسِمٌ وَخَسَدٌ	الْوَرْدُ مَحْطُوطُ النِقَابِ
يَنْدَى بِأَخْلَاقِ الضُّجَا	بِهَذَا لَا يَنْدَى السَّحَابِ
وَكُلَاهُمَا نَشْرُ كَمَا	نَشْرُوا الْقَوَافِي فِي الْخَطَابِ
فَكَأَنَّ كَأْسَ سَلَافَةٍ	ضَحَكَتِ الْيَهُمُ عَنْ حَبَابِ

أما أبو الحسن بن الزقاق فيجمع في أبيات رقيقة باقة من الأزهار منها الشقائق
والآس والأقحاح ، في روضة يانعة ، يطوف عليهم فيها بالكؤوس فتى أغيد ، يقول (٣) :

وَأَغِيدٌ طَافَ بِالْكُؤُوسِ ضَحَى وَحَثَّهَا وَالصَّبَاحُ قَدْ وَضَحَا

(١) الديوان ٢٥٤ . (٢) المصدر نفسه ٨٠ . (٣) المصدر نفسه ١٢٤ .

والروضُ أهدى لنا شقائقه
وأسه المنبري قد نفحها
قلنا وأين الاقحُ قال لنا
أودعته شفر من سقى القدحا
فظل ساقى المدام يجحد ما
قال فلما تبسم افتضحها

ففي الأبيات الى جانب رقتها حوار طريف بشأن الاقح .

فشمراء الطبيعة في الأندلس استطاعوا دون ريب أن يرسموا لنا من خلال
وصفهم للأزهار صورا جميلة ولوحات رائعة ، وقد أصبغوا على كثير منها ظلالا من
الحركة والحياة ، وانفعلوا معها بأحاسيسهم ومشاعرهم ووصفوها خير وصف ورسومها
أفضل رسم ، ففنى الأندلس بالزهور خلق باقة رائعة من الشمسمر .

الشمريات والشجريات :

إذا كان الشعراء الاندلسيون قد افتنوا بالطبيعة الاندلسية مثلية فسي الروضيات والزهريات ، فقد افتنوا كذلك بالأشجار والثمار ، فوصفوا شجر النارج والتفاح والسرور كما وصفوا الثمرة البضة والفاكهة الحلوة ، فكانت الثمار والفواكه والأشجار مصدر وحي لشعراء الطبيعة في الاندلس. ان لم يفتهم وهم يجولسون في بساتين بلادهم وحدائقها ، يتخيئون ظلال أشجارها ويعقدون مجالس أنسهم وطربهم تحتها ، لم يفتهم أن يصوروا ثمارها ويصفوا فواكهها وهي تطل عليهم من فسوق أشجارها بشتى الأشكال ومختلف الألوان ، فتخلع هذه الثمار على الأشجار فسي الحدائق والبساتين من جمال الشكل وروعة المنظر ، ما يبحث في النفس الشاعرة الطرب والنشوة حيث تتحرك شاعرية الشاعر واصفة ذلك مصورته معبرة عن جماله (١).

ولعل ثمرة النارج أكثر الثمرات سحرا لناظري الشاعر لا سيما وهي عالقـة في أغصانها ، لقد كانت هذه الثمرة من أكثر الثمار جريا على ألسنة الشعراء ، يحاول كل منهم أن يرسم لها وهي محمولة على غصنها لوحة جميلة تفتن البصر وتغلب القلب.

فابن صارة الشنتريني يستهل أبياته في ثمرة النارج بتشبيهها على أغصانها بالجمر والحدود ، وأغصانها بالقضب المثنية والقدود النواعم ، ويرسم صورة لهذه الثمرة في أشجارها فيشبهها بكرات العقيق في قبة السماء أو بالصوالج تحركها يد النساء ويجمع بين الشكل والرائحة (٢) ، وذلك في قوله (٣) :

أجمرُ على الأغصان دارت نضارة
به ، أم حدودُ أبرزتها الهوادجُ
وقضب تثنت أم قدودُ نواعمُ
أعالج من وجدٍ بها ما أعالجُ

(١) الأديب العربي في الاندلس ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٢) البيئة الاندلسية وأثرها في الشعر ١٢٧ .

(٣) الرايات ١٦٥ ، القلائد ٢٦٦ ، الذخيرة ٢ : ٢ : ٨٤٠ ، الخريدة ٤ : ٢ : ٢٦١ -
ومنها بيتان في النفح ٣ : ١٤٤ ، وبيتان في المغرب ١ : ٤٢٠ ، ٢٦٢ .

كرات عقيق في غصون زبرجد
 فهن خدود بيننا ونوا فج
 أرى شجر النارج أبدى لنا جنى
 كقطر دموع ضرجتها اللواعج
 جوامد لو ذابت لكانت مداصة
 تصوغ البرى فيها الأكف النوارج
 نهى صبوتي ألا تصيح الى النهى
 عروس من الدنيا عليها دمالج

أما ابن خفاجة فيجمل لها نسبا عريقا في الرياض بما يخلعه عليها من بهجة
 ويضيفه من صور الجمال (١) :

ومحمولة فوق المناكب عسرة
 لها نسب في روضة الحزن معبر
 رأيت بمرآها المنى كيف تلتقي
 وشمل رياح الطيب كيف تفرق
 يضا حكما تفر من الشمس واضح
 ويلحظها طرف من الماء أزرق
 وتجلي بها للماء والنار صورة
 تروق فطرفي حيث يفرق يحرق

ويفص الشاعر الأصم المرواني
 والنصف الآخر أخضر مستوحيا بعض المعاني الدينية ، يقول (٢) :
 وجئت أيك دنا من لثمها قرح
 فلاح منه على أرجائها أشر
 بيدو لمينك منها منظر عجب
 زبرجد وتضار صاغة المطر

(١) الديوان ٧٠ . (٢) الرايات ٦٨ .

كَأَنَّ مُوسَى نَبِيَّ اللَّهِ أَقْبَسَهَا
نَارًا وَجَرَّ عَلَيْهَا كَقَدْحِ الْخَضِرِ

ويتخذ ابن صارة الشنتريني من اسم النارج وسيلة لوصفه ، فالنارج ناران
رخمته ، وهو جمر يلتهب على الأغصان الرقيقة الفضة ، ويعقد الشاعر مشابهة بينه
وبين الفيد اللواتي يلهين قلوب الرجال بجمر خدودهن ، في الوقت الذي لا
يشقين هن بشي من ذلك ، وهذا مما زاد الأبيات جمالا وحيوية ، يقول (١) :

رَحِمَ مِنَ النَّارِجِ خُصْبِيهِ وَقَلَّ
عَجَبًا لِدَوْحَتِهِ تَرَفُّ غَضَارَةٌ
كَالْفِيدِ لَا تَشْقَى بِنَارِ خَدُودِهَا
وَقَلُوبُنَا فِي حَرِّهِ تَتَقَلَّبُ

نار على الاطلاق ليس تكذب
والجمر في أغصانها يتلهب
وقلوبنا في حره تتقلب

والناريجة تغري الشاعر نفسه بوصفها ، ولا تدع مجالاً لاستحسان غيرها فقد
شاب لونها الأحمر اصفرار زاد في حسننها وبهاثها :

وَنَارِجَةٌ لَمْ يَدَعْ حُسْنُهَا
فَطَوْرًا أَرَى لَهَا مَضْرَمًا
لَعِينِي فِي غَيْرِهَا مَذْهَبًا
وَطَوْرًا أَرَى شَقًّا مَذْهَبًا

ويصفها ابن خفاجة ملتزما ما لا يلزم ، فإذا بها قليلة النظراء ، نادرة الاشياء
مصفرة اللون وسط أليكة خضراء ، تبش في الوجوه وتجل في العيون وتروق النفوس
فتبعث المسرة والغبطة ، يقول (٢) :

خَذَّهَا إِلَيْكَ وَأَنهَا لَنُخْمِيرَةٌ
حَمَلَتْ وَحَسْبُكَ نَفْحَةٌ فِي لَفْحَةٍ
مِنْ كُلِّ وَارِسَةِ الْقَمِيصِ كَأَنهَا
نَجَمَتْ تَرُوقُ بِهَا نَجُومٌ حَسْبُهَا
وَأَتَتْكَ تَسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ طَلْقَةٌ
يَنْدَى بِهَا وَجْهُ النَّدَى وَرَبَّمَا

طرأت عليك قليلة النظراء
عبق العروس وخجلة العذراء
نشأت تعل بريقة الصفراء
بالأليكة الخضراء من خضراء
وتنوب من لطف عن السفراء
بسطت هناك أسرة السراء

(١) الذخيرة ٢: ٢: ٨٤٠ .

(٢) النفح ٣: ٦٠٣ .

(٣) الديوان ٧١ .

فَاسْتَضْحَكَ وَجْهَ الدُّجَى مَقْطُوعَةً جُمِلَتْ جَمَالَ الْفَزَّةِ الْفَرَّاءِ
تَشْدُو بِهَا مَهْمُوزَةً وَلَرَبِصًا هَزَجَتْ تَدَقُّعٌ فِي رَوَى الْبَرَاءِ

ولم يقتصر الشعراء على وصف ثمرة النارج واستلهاها في أشعارهم والتفتي
بها في مقطعاتهم الشعرية ، بل تجاوزوا وصف الثمرة الى وصف الشجرة فهي مياسة
عند ابن خفاجة ، ازدانت بثمرها الأحمر وتحلّت بورقها الأخضر ، يقول (١) :
وَمِيَّاسَةٌ تَزْهِي وَقَدْ خَلَعَ الْحَيَا عَلَيْهَا حُلَى حُمْرًا وَأَرْوِيَّةٌ خَضْرَا
يَذُوبُ لَهَا رِيْقُ الْخَمَامَةِ فُضَّةً وَيَجْمَدُ فِي اعْطَافِهَا ذَهَبًا نَضْرَا

وشجرة النارج جميلة في خضرتها فاتنة بثمرتها ، جذابة عند تفتح أزهارها
كأنها الغادة الحسناء ، تفر عن ضحكة فتظهر لآلى فيها ، يقول ابن خفاجة (٢) :
وَحَامِلَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْقِنَى أَمَّا لَيْدٌ تَحْمِلُ خُضْرَ الْمَذَبِ
تَنْوُبُ مُورَقَةً عَنْ عِذَارٍ وَتَضْحَكُ زَاهِرَةً عَنْ شَنْبِ
وَتُنْدَى بِهَا فِي مَهَبِّ الصَّبَا زَبْرَجْدَةٌ أَثْمَرَتْ بِالذَّهَبِ
تُغَاوِجُ أَنْفَاسَهَا نَسَارَةً وَطَوْرًا تَغَارِلُهَا مِنْ كَشَبِ
فَتَبَسُّمٌ فِي خَالَةٍ عَنِ رَضِيْسَى وَتَنْظُرُ آوْنَةً عَنْ غَضَبِ

ويصف أبو الحسن علي بن جرودى أترجة صفراء اللون ، يبعث بها إليه أحد
أصدقائه ، فيقول (٣) :
بَعَثْتَ بِهَا مَصْفَرَّةَ الْبَرْدِ لَمْ يَكُنْ لِسَقْمٍ وَلَا أَعْيَا الطَّبِيبِ شَحْوِبَهَا
تَكْدُلُ مِنْهَا سَجْسَجَ الطَّلِّ وَاعْتَنَى بِمَا رَاقَ مِنْهَا دُوحَهَا وَقَضِيْبَهَا
غَذَاهَا النَّدَى حَتَّى إِذَا مَا تَلَمَّلَتْ أُتِيحَ لَهَا مِنْ كَفِّ جَارٍ خَطْوِبَهَا

- (١) الديوان ٦٩٠ .
- (٢) المصدر السابق ٦٨ .
- (٣) المظنح ٢٢٣ .

ومن الثمار التي وصفها شعراء فترتنا التين ، فهذا عبدالله بن السبيد
البطليوسي يصف تيناً أسود اللون جاعلاً منه نهوداً حوالك ومن شهوده عسلاً قد
خلط بالسسم المقشور (١) :

أهلاً بتين كالنهود حوالك ضمخن مسكا شيب بالكافور
وكأن ما زرت عليه جيوبها شهد يشاب بسسم مقشور
وكأنما لبست لجينا محرقاً فيه بقايا من بياض سطور

ويصف ابن خفاجة جني التين في الصباح الباكر ، حيث أخذ الشهد يسيل
من جراح التين التي تشبه الثغور البيضاء في الوجوه السمراء ، يقول (٢) :

أما واهتصار غصون البلس
وقد قلص الصبح ذيل الفللس
ومال يسيل جني شهوده
كما سال ريق حبيب نعلس
لقد ساق من رائق المجتلس
شهي الجني مستطاب النفس
فهت له ببياض الثفور
وأحببت فيه سواد اللعس

والشاعر موفق فيما ذهب إليه إلا أنني أرى أن سماجة التشبيه في البيت
الثاني حيث شبه شهد التين بريق الحبيب النعسان وقد سال من فيه ، صورة
يمجها الذوق السليم ولا يرتاح اليها ، والشاعر يكررها في مقطوعة ثانية ، ذلك أن
ثمرة التين عنده مرتبطة بالمرأة أو بالجزء منها ، فشهد ها كريق الحبيسة وحجمها
كندی الصبية الحبيسة وسواد لونها لعس الشفاء وبياض جراحها شنب الثفور ، يقول (٣) :

وقد كنت أغرى بلعس الشفاء
فكيف به وهو كل لعس

(١) أزهار الرياض ٣ : ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) الديوان ١٩١ . (٣) المصدر السابق ٣٧٤ .

وها هو ييسم تخطيطه
وقد كان بالأمس يتلو عبس
وقد سال من فمه شهده
كما سال ريق حبيب نفس

وله فيه أيضا وقد جعل من لونه الأسود كأيام الهجر والصدود فهي سواد
في وقعها على النفس (١) :

وسود الوجوه كلون الصدود
تبسم تحت عبوس الفبش
إذا ما تجلى بياض الضحى
تطلعن في وجهه كالنمش
كأنني أقطف منها ضحى
شدتي صفار بنات الحبش

ولكم كان الشاعر موفقا في البيت الأخير ، فقد وفق في الجمع بين الشكل واللون
والحجم في الوقت نفسه .

ومن الثمار التي وصفها شعراء الطبيعة في عصر المرابطين العنب ، ولكن
شعرهم فيه كان قليلا ، ولعل ذلك أنهم اخرجوه الى وصف الخمرة ، فهذا ابن خفاجة
يصف العنب الأسود ، ويفيض في البيتين شي من تباريح الفرام والهوى ، يقول (٢) :

وأسود مفسول المجاج لو أنه
لعي شفة لم أرو يوما من القبل
حكى ليلة الهجر اسوداداً وآته
لاشهي وأندي من جنى ليلة الوصل

(١) الديوان ١٢٤ .

(٢) المصدر السابق ٣٥٠ .

ولكنه يفضل الرمان على العنب ، فهذه أبيات توضح ذلك ، ويبدو أن الشاعر قالها في مجال عبث فجاءت بخلاف ما ألفنا عليه شاعرنا وهو في محراب الطبيعة ، جاءت بعيدة عن الذوق (١) :

صِلْنِي لَكَ الْخَيْرُ بِرَمَانَةٍ	لَمْ تَنْتَقِلْ مِنْ كَرَمِ الْمَهْدِ
لَا عِنْبًا أَمْتَصَّ عَنْقُودَهُ	ثَدْيًا كَأَنِّي بَعْدَ فِي الْمَهْدِ
وَهَلْ يَرَى بَيْنَهُمَا نِسْبَةً	مَنْ عَدَلَ الْخَصِيصَةَ بِالْمَهْدِ

ويصفت أبو بكر بن رقيم بهدية تفاح لأحد أصفياؤه ، جاءلا من التفاح هدود الفواني ، أحمر بعضها خجلا واصفر البعض الآخر ر جلا يقول (٢) :

بَقَعْتُ بِهَا وَلَا أَلُوكَ حَمْدًا	هَدِيَّةَ ذِي اصْطِنَاعٍ وَاعْتِثْلَاقِ
خَدَوْدَ أَحْيَةٍ وَافَيْنَ صَبَاً	وَعُدْنَ عَلَى ارْتِمَاضٍ وَأَحْتِرَاقِ
فَحَمَّرَ بَعْضُهَا خَجْلُ التَّلَاقِ	وَصَفَّرَ بَعْضُهَا وَجَلُ الْفِرَاقِ

ويصف ابن ضارة الشنتريني الباذنجان في البستان ، وشمرة الباذنجان وقد أحاطت بها أقماعها مثل قلوب النعاج وقد علقت في مخالِبِ العقبان ، يقول (٣) :

وَمُسْتَحْسَنٌ عِنْدَ الطَّعَامِ مَدْحَرَجٌ
غِذَاءُ نَعِيرِ الْمَاءِ فِي كُلِّ بَسْتَانٍ
أَطَافَتْ بِهِ أَقْمَاعُهُ فَكَأَنَّـهُ

قلوب نعاج في مخالِبِ عقبان

ويصف أيضا السفرجل قائلا (٤) :

مَا فِي السَّفَرَجِلِ شَيْءٌ يُسْتَطَارُ بِهِ

وَلَا تَكُنْ مِنْهُ مَطْلُوبًا عَلَى وَجْهِ

أَنِّي نَظَرْتُ إِلَى تَصْحِيفِ أَهْرِفِهِ

فَانْفَكَّ مِنْهُنَّ لِي تَفْرَجُ لِي

(١) الديوان ٣٦٨ . (٢) القلائد ١٤٨ ، المغرب ٢ : ٢٨٠ .

(٣) النفح ٢ : ٤٢٨ ، الرايات ٦٥ . (٤) الرايات ٦٥ ، القلائد ٢٦٩ .

ولم أقل سَفَرَحَلَّ البلاءُ بِهِ

أو حلَّ منه وقوع الحوادث الجلل

وقد وصف شعراء الطبيعة الأشجار ، الثمر منها وغير الثمر ، فأحمد بن مسلمة
ابن وضاح أبو جعفر يدعو لشجر السرو بالسقيا ودوام الخضرة (١)

أيا سَرُوًّا لا يعطش منابتك الحيا

ولا فَرَّ عن أفصانك الورق النضر

لقد كسيت أعطافك الملك مِثْلُ ما

تلف على الخطي راياته الخضر

ويلغز الأعمى التطيلي في زيتونة (٢) :

أحاجيك ما شياء أول نشئها فان عُمَرْتُ حَبَّ السَّابِ وَقَرِّيا

اذا صُحِفَتْ كانت دعاء ورغبة فان قُلِبَتْ كانت لبوساً ومشرِّيا

ويبدع أبو بكر يحيى بن بقي حينما يصف شجرة لوز منورة ، ويعطي صورة

شعرية متسقة قولاً ومنسجمة شكلاً ، ويكشف عن مدى اهتمام الأندلسيين بهذا النوع

من الشجر وعنايتهم به ، فهم يفرسونه في سطور ضمن أشكال هندسية تنتظم

كما أننا نلمح من خلال الأبيات عادة اجتماعية وهي الرقص النسوي ، يقول (٣) :

سَطَّرُ من اللوز في البستان قابلني

ما زاد شي على شي ولا نقصا

كأنما كل غصن كم جاريسة

اذا النسيم ثنى أعطافه رقصا

والشاعر نفسه شديد الإعجاب بشجر اللوز ونواره ، يستهجن على أولئك

الذين يحتفظون بالخمرة ولا يشربونها في الحدايق أفعالهم ويعجب من عنيتهم

هذا (٤) :

(١) المطمح ٢٥٩ . (٢) الديوان ٢٤٩ .

(٣) النفح ١٨:٢ . (٤) المصدر السابق ١٨:٢ .

عَجِبْتُ لِمَنْ أَبْقَى عَلَى خَيْرِ دَنِيَّةٍ
غَدَاةَ رَأْيٍ كَوَزِ الْحَدِيقَةِ نَسُورًا

أما ابن خفاجة فيصف شجرة ، طرحت ظلها على نهر غمر ، لم تترك فيه ،
بعدت كثيرا عنه (١) :

وَسَرَّحَهُ خَاضِيَ أَلْمَى ظِلَّهَا نَهْرٌ
أَوْفَتْ عَلَيْهِ فَلَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ
كَمَا تَدَايَنْتَ مِنْ شُغْرِ لِمُرْتَشَفٍ
ثُمَّ اتَّقَيْتَ فَلَمْ تَصْدُرْ وَلَمْ تَرُدْ
كَأَنَّ أَفْيَاءَهَا طَيِّبًا جَمِيَ مَلِكٌ
أَغْنَى وَأَعْطَى فَلَمْ يُوعِدْ وَلَمْ يَعِدْ

وهذه الطيور تصدح في أعالي الأفنان ، فتنتشي طربا وتهتز لفنائها
الأعنان ، في حديقة ينبجس من خلالها الماء ، فعلام لا يشارك الإنسان الطبيعة
فرحتها وبهجتها ؟ فما عليه إلا أن يعاقر الشمول حتى تأخذه النشوة ويشمله بحر
البهجة والفرحة ، يقول ابن خفاجة : (٢) :

أَلَا أَفْصَحَ الطَّيْرُ حَتَّى خَذَبَ وَخَفَّ لَهُ الْفَصْنُ حَتَّى اضْطَرَبَ
فَمَلَّ طَرْبًا بَيْنَ ظِلِّ هَفَا
رَطِيبٌ وَمَاءٌ هِنَاءٌ انْتَشَبَ
وَجُلُّ فِي الْحَدِيقَةِ أُخْتُ الدُّنَى

فالشعراء هاموا بجمال الأشجار وطيب الثمار ، وأكثروا من وصفها وحظيها
النارنجة بالنصيب الاوفر من ذلك كله .

وهم يطربون في الحدائق حيث تفرد البلابل وتنوح الحمام وتتمايل الأعنان ،
لذا فهم حريصون على الاستمتاع بالمناظر الجميلة والبساتين البهيجة كما يقول ابن
الحسن علي بن الجعد القرموني (٣) :

(١) الديحان ١٨٤ .
(٢) المصدر السابق ٦٨ .
(٣) المغرب ١ : ٣٠٠ .

خَلَّني وَالْفَصُونَ مَهْمَا تَشَتَّتْ^٩ فَلْقَلْبِي هُنَاكَ أَمْرٌ عَجِيبُ
أَتُرَاهَا تَكُونُ أَطْرَبَ مَنِّي حِينَ يَشْدُو بِهَا الْحَمَامُ الطَّرِيبُ

فان كانت الأغصان نشوى بتغريد الحمام فالشاعر أشد منها طرباً وأكثر
نشوة .

عاش العرب في العصر الجاهلي في شبه جزيرةهم بعيداً عن البحار، وقد خلت بلادهم من الأنهار الدائمة الجريان، فلم يتسنى لهم ركوب البحر (١)؛ ولم يأنسوا به، فنظروا إليه من بعيد نظرة الخائف الوجل، ففي أمواجه الظلمة والمجهول حيث يكمن القلق والخوف، يقول امرؤ القيس (٢) :

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

وتخيل النابغة الذبياني نهر الفرات هائجا وملاح سفنه معانيا مجهدا، يقول (٣) :

فما الفرات اذا جاشت غواربه ترمى اواذيه العبرين بالزبد
يمده كل وادٍ مترع لجسب فيه ركامٌ من الينوب والخضد *
يظل من خوفه الملاح معتصماً بالخزانة بين الين والنجد *

ومثل هذه النظرات العابرة للنهر والبحر جاءت عرضاً في أشعارهم، دون استقلال أو قصد منهم لذلك .

أما في العصر العباسي — نظراً للفتوح الإسلامية — فلم يخف العربي الأنهار والبحار، فقد وجدنا الشعراء (٤) يحبون الأنهار ويمقدون بجوارها مجالس أنسهم ويتخذون من جمالها مفاتن ومنازه (٥) فالصنوبري يتغنى بنهر (قويق) مل القلب والفم، وكشاجم الرمل ي أحب النهر من أجل غلام فاتن (٥) .

أما في الأندلس فمن أهم مظاهر بذخ الطبيعة فيها، تلك الأنهار الوفيرة المياه، السلسلة التدفق، حيث تروى موات الأرض وتمنعها الخصب والعطاء، وكانت أكبر المدن وأهمها مثل قرطبة واشبيلية وغرناطة تقع على تلك الأنهار، الأمر الذي

(١) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ١٢٨ . (٢) المعلقات السبع ٢٠ .

(٣) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتحقيق كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٩٦٠ م، ص ٣٦ .

(٤) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ١٢٩ . (٥) شعر الطبيعة في الأدب العربي

* الينوب : السطر من الشجر، التاج : مادة تَب، الخضد : المتكسر من النبات. ^{٢١٦}
التاج : مادة خضد . * النجد : ما أشرف من الأرض التاج : مادة نجد .

جعل الأندلسيين يتخذون من ضفافها مراتع لهُوَ واستمتاع (١)، و (يأنشون السى
أنهارهم بل يهيمون بها حبا ، ويقضون أوقاتهم في منازلها آناء الليل وأطراف
النهار) .

وقلما اختص الشاعرُ النهرَ بقطعة شعرية في هذا العصر ، لكن الغالب أن يأتي
وصفه للنهر ضمن وصف المنظر الطبيعي المتكوّن عادة من الرياض والخضرة والنساء
والأنهار المناسبة وسط الحقول والبساتين ، فهو جزء من عدة أجزاء وعنصر من مجمل
عناصر .

وصورة النهر سواء جاءت مستقلة أو مع غيرها لا تخرج عن تشبيهها بالسيف
أو بالأقمى ، أو بمقلة زرقاء أو بصدر غادة مشقوق الجيوب أو بقرص فضة على بساط
أخضر ، أو باعطائها صورة السماء أو المجرة ، أو إعطاء أواجه صورة الدرع ، وحبابه
صورة النجوم ، وهو - النهر - مفضّل تحت أشعة القمر مذّهب تحت خيوط الشمس (٢) .

فابن خفاجة يصف نهرا يجري في بطحاء من الأرض وقد انعطف انعطاف
السوار بقولـه (٣) :

لله نهرٌ سأل في بطحاء	أشهى وروداً من لى الحسناء
معتطفٌ مثل السوار كأنه	والزهر يكفّه مجرّ سماء
قد رقّ حتى ظنّ قرصاً مفرغاً	من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الفصون كأنها	هدب تحف بمقلة زرقاء
ولربما عاطيت فيه مداًمة	صفراء تخضب أيدى الندماء
والريح تبعث بالفصون وقد جرى	ذهب الأصيل على لجين الماء

فالشاعر قد هام في النهر وأعجب به وفّض ورود على ورود لى الحسناء لكنه
لم يتجاوز الصورة البصرية للنهر ، ولم يعط القطعة حيوية ، لأنه لم يكن يعنى بالمنظر
نفسه وتصويره كما يراه قدر ما يعنيه أن يتخذ منه منطلقاً لظهور براعته في التشبيه

- (١) الادب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه ٣٠٩ .
- (٢) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ١٢٩ .
- (٣) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ١٣٠ .

وقدرته على التصوير ، فالنهرُ متعطف متعرج تارة ، مستدير كالقرص أخرى ، ولونه كالفضة مرة مذهّب أخرى . ولكن أبياته رقيقة وكأنه يكتبها متفرداً في محبوب .

أما أبو القاسم بن المطار فيكثر من وصف ركوب النهر ويكثر من تشبيه تكسّر الماء بالدرع ، يقول (١) :

مررتا بشاطي النهر بين حدائق
بها حدقُ الأزهار تستوقفُ الحدقُ
وقد نسجت كَفَّ النسيم مُفَاضَّةً
عليه دماً غيرَ الحَبَابِ لها حَلَقُ *

وهذا غدير ماء وسط منزّه هبت عليه النسائم ، وهو كالدرع السابغ أو الحسام اللامع ، يقول ابن المطار (٢) :

لله بهجة منزّه ضربت به
فوق الغدير رواقها الأنسامُ
فمع الاصيل النهر درع سابغ
ومع الضحى يلتاح منه حسامُ

ويرسم ابن عارة الشنتريني للنهر صورة حية متحركة جميلة ، واختار وقت الاصيل حيث تترقق الامواج وتتكسر على وجه الماء ، يقول (٣) :

النهر قد رقت غلالة صبغ فيه
فعلية من صبغ الاصيل طراز
تترقق الامواج فيه كأنه
عكنُ الخصور تهزها الاعجاز

ويصف أبو الوليد يونس بن محمد القسطلي ت ٥٧٦ هـ . غديراً في دوحه غناء ، يتلأأ منساباً الى بحيرة يصب فيها . مستخدماً التشابيه عينها من مثل السوار والحسام (٤) :

- (١) النفح ٢ : ١٧٤ ، القلائد ٢٨٤ ، الخريدة ٤ : ٢ : ٥٨٦ .
- (٢) القلائد ٢٨٣ ، النفح ٢ : ٣٠٢ ، المفسر ١ : ٢٥٩ ، الخريدة ٤ : ٢ : ٥٨٦ .
- (٣) النفح ٣ : ٦٠٠ ، الخريدة ٤ : ٢ : ٢٨٢ ، القلائد ٢٦٩ .
- (٤) المفسر ١ : ٣٢٨ . * حلق : الحلقة : الدرع . مادة حلق . تاج المروسي .

وفوق الدوحة الفنا غد يـ
تلا لا صفحة وعفا قـراراً
إذا ما انصب أزرق مستطيلاً
تدور في البحيرة والمتداراً
يجرده فم الأنوب صلتاً
حساماً ثم يقتله سواراً

ويحتفي ابن صارة الشنتريني بالنهر ، ويضفي عليه الحيوية والحركة (١) :
أنظر الى النهر في رداء عروس
صبغت بزغفران العشي
ثم لما هبّ النسيم عليه
هزّ عطفه في دلاص الكمي

وتهب الرياح على النهر فتسج من أمواهه التي كسرتها درعا له ، ويصنع
البدر بانمكاس ضوئه الفضي على النهر أسنة للقتال ، يقول ابو القاسم بن العطار (٢) :
هبت الريح بالعشي فحاكت
زرداً للغدير ناهيك جنة
وانجلي البدر بعد هدء فحاكت
كده للقتال منه أسنة

وخيوط الشمس عند ساعات الغروب على النهر كالدّم الثاّب به السيف ، يقول
ابن خفاجة (٣) :

وقد ولّت الشمس محتثة
الى الغرب ترنو بطرف كحيل
كأن سناها على نهـره
بقايا نجيع بسيف صقيل

وينساب النهر عند ابن العطار كالأقمسى (٤) :
في حيث تتساب المياه أراقماً
وتعيرك الأفيا برد ظلالها

- (١) النفح ٦٠١:٣ .
(٢) الخريدة ٥٨٦:٢:٤ ، النفح ٣٠٢:٤ ، القلائد ٢٨٤ .
(٣) الديوان ٣٧٨ . (٤) النفح ٦٥١ .

ويركب ابن صارة الشنتريني زورقا في نهر اشبيلية ذات مساء ، فيلهمه الجو والنهر والزورق أبياتا جميلة ، يقول (١) :

تأمل حالنا والجو طلق^١ محيا^٢ وقد طفَلَ المساء^٣
وقد جالت بنا عذراء^٤ حبلى تجاذب^٥ مرطها ريح^٦ رخاء^٧
بنهر كالسجّجل^٨ كوشري^٩ تعبس^{١٠} وجهها فيه السماء^{١١}

أما ابن الزقاق فالنهر عنده صاف وماؤه مفضض يلعب فيه النجم كالسراج يقول (٢) :

والنهر صاف^{١٢} ماؤه مفضض^{١٣}
والنجم فيه كذيال^{١٤} مشرق^{١٥}

وكان الشاعر ابو القاسم بن العطار مولعا^{١٦} بارتياح الأنهار وقضاء الايام على شطآنها الحالية بالأزهار ، في مرح ولهو ، يقول صاحب القلائد (٣) : (لا يعرج ألا على ضفة نهر ولا يلهج إلا بقطعة زهر ولا يحفل بلام) فمن جميل شعره وقد جلس في روضة كست النهر ظلالها وقد تخللتها الشمس قولـــــه (٤) :

عبرنا سماء^{١٧} الجو والنهر مشرق^{١٨} وليس^{١٩} إلا^{٢٠} الحباب^{٢١} نجوم^{٢٢}
وقد ألسته الايك^{٢٣} برد^{٢٤} ظلالها^{٢٥} وللشمس في تلك البرود^{٢٦} رقوم^{٢٧}

ويطلب ابن عائشة من صاحبه المتوجه الى جزيرة شقر أن يقف لدى نهرهـــــــــــــــــا
ــــــــ نهر شقر ــــــــ المنساب رقراقا كالأرقم (٥) :
وقف حيث^{٢٨} سال^{٢٩} النهر ينساب^{٣٠} أرقما^{٣١}
وهب^{٣٢} نسيم^{٣٣} الايك^{٣٤} ينفس^{٣٥} راقيا^{٣٦}

وتهب رياح^{٣٧} رحية^{٣٨} على النهر في الليل ، وتبدو النجوم فيه غرقى ، فتحسب
السماء الأرض لهذا الجمال ، يقول ابن خفاجة (٦) :

وأدهم^{٣٩} من جيار^{٤٠} الماء نهـد^{٤١} تنازع^{٤٢} جلد^{٤٣} ريح^{٤٤} رخاء^{٤٥}
إذا بدت^{٤٦} الكواكب فيه غرقى^{٤٧} رأيت^{٤٨} الأرض تحسد^{٤٩} ها السماء^{٥٠}

- (١) عيون التواريخ ١٢ : ١٤٩ ، النفح ٤ : ٣٠٢ ، القلائد ٢٨٤ . (٢) الديوان ٢٠٩ .
(٣) القلائد ٢٨٢ . (٤) النفح ٤ : ٣٠١ ، ٣ : ٦٠٠ ، الخريدة ٤ : ٢ : ٥٨٥ - ٥٨٦ .
القلائد ٢٨٣ . (٥) الذخيرة ٣ : ٢ : ٨٩٠ . (٦) الديوان ٣٦٧ .

ويستمتع الشاعر أبو القاسم بن السقاط في عصر يوم وقد أخذت الشمس تلملم
أشعتها الذهبية ، فكانت بقاياها كالتيثر المنتثر على الأرض والنهر ينساب مسرعاً
كشعبان مذخور ، قد حفت به الأشجار النضرة وزينت النباتات الصغيرة ، فتشكل من
هذا كله منظر طبيعي جميل ، يقول (١) :

ويوم لنا بالخيف راق أصيله
كما راق تبر للعيون مذاب
نعمنا به والنهر ينساب ماؤه
كما انساب ذعراً - حين ريع - حباب*
وللموج تحت الريح منه تكسر
تألف فوق المتن منه حباب
وقد نجمت قضب ليدان بشطه
حكمتها قد ور للحسان رطاب*
وأينع مخضر النبات خلالها
كما اقتبلت نعي فراق شباب

ووادى الأشبات - وادى آش - من الأودية الخصبة ، تغمره الأشجار بظلالها
وتزينه النباتات البرية بزينتها وجمالها ، وينساب النهر بين هذه الخضرة وكأنه
ثوب أفعى لذا تخشاه الفصون فتميل اليه في اهتزازها دون أن تجروا على
الاقتراب منه ، يقول أبو الحسن بن نزار المتوفي ٥٥٦ هـ . (٢) :

وادي الأشبات بهيج وجدى كلما
أذكرت ما أفضت بك النعماء
لله ظلك والهجير مسلط
قد بردت لفحاته الاثداء

- (١) الخريدة ٤: ٢: ٤٥٠ - ٤٥١ . (٢) النفح ١: ١٤٢ .
* الحباب (بالفم) : الأفعى ، الحباب (بالفتح) : الفقاع الطافية على سطح
الماء . اللسان مادة حبيب .
* النجم : النبات الصغير ، قال تعالى : " النجم والشجر يسجدان " سورة الرحمن
الآية ٦ اللسان مادة نجم .

والشمس ترغب أن تفوز بلحظة
منه فتطرف طرفها الأقياء
والنهر ييسم بالحباب كأنه
سلخ نضته حية رقصاء
فلذا كتحذره الفصون فميلها
أبدأ على جناته ايماء

ووصف الأندلسيون البحر، ولكنهم يفزعون منه ويخافون، ولعل ذلك لكونه
لا يتفق مع خلق ابن آدم، حيث خلق من طين، والماء يذيب الطين كما يقول ابن حماد (١):

لا أركب البحر خوفا
عليّ منه المعاطب
طين أنا وهو ماء
والطين في الماء ذائب

وهم ينفرون منه مذاقاً لمرارته وفرقاً من اضطراب أمواجه وتلاطم مياهه فلا
يركبونه إلا مضطربين ولا يخاطرون بأنفسهم إلا مرغمين، يقول الشاعر ابن حماد (٢):

أراك ركبت في الأهوال بحراً
عظيماً ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقاً وغرباً
وتدفع من صباه الى جنونه
وأصعب من ركوب البحر عندي
أمر الجأتك الى ركوبه

وهذا ابن خفاجة يحذر من ركوب البحر، فقد خبره وعرفه، ليس من فائدة
ترجى منه، وإن كانت فهي بعيدة أبعد من قعر البحر نفسه، يقول (٣):

يا مَدَحَ البحر وهو يَجْمَلُ
مَهْلًا فاني خَبَرْتُهُ عِلْمًا

(١) الديوان ٥٣٣ - ٥٣٤ (٢) المصدر السابق ٨ . (٣) المصدر السابق ٣٤١ .

فائدة مثل قعره بمقدار

ورزقه مثل ما به طعمها

وإذا ما كسته الشمس بأشعتها فهو جيوش تسربت بدروعها ، يقول ابن الزقاق

البلنسي (١) :

كأن البحر أن طلعت زكاء

ولاح بمتنه منها شمع

جيوش في السوابع قد تبدي

لبيض الهند بينهما التماع

والبحر في قلق واضطراب ، كالفرس النزع ، يقول ابن خفاجة (٢) :

ولجة تفرق أو تعشق

فما تني أحشاؤها تخفق

شارفتها وهي بما حاجها

من الصبا مزدة تعلق

فخلتني في شطها فارسا

قرب منه فرس أبلق

والبحر ظلمة ، يثقل النفس كالهم الطويل ، لا يكاد المرء فيه يستبين أجزاء

نفسه (٣) :

كم تملأ العين من قذاتها

وتشتكي النفس من أذاتها

بحر ونوء وطول هم

ثلاثة أطقت دجاءها

فلويد المرء وهي منه

أجرها لم يكدر أراها

(١) الديوان ١٩٨ .

(٢) المصدر السابق ١٣٧ .

(٣) ديوان ابن خفاجة ٣٤٢ .

ويرى ابن خفاجة أن ركوب البحر ضلالٌ يقتضي التوبة إلى الله وعدم ظلم النفس بالعودة إلى ركوبه ثانية ، يقول (١) :

لَيْسَ كُنَّا رُكْبَانَهَا ضَلَالًا
فَيَا لِلَّهِ إِنَّا تَائِبُونَ
فَأَخْرَجَنَا عَلَى الْمَرْغُوبِ مِنْهَا
فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ

وتخوَّف الأندلسيين من البحر وفرقهم منه أمر غريب ، وفي العصر المرابطي بالذات أكثر غرابة ، ذلك أن البحار تحيط بالأندلس من جميع جهاتها تقريبا عسلاوة على كثرة المدن الساحلية في البلاد ، أضف إلى ذلك أنهم أهل رحلة إلى المشرق سواء كانت الرحلة بقصد الحج أم طلب العلم أم لهما معا ، وفي عصر المرابطين وقبيله كثر الجواز إلى برِّ العدو ، فأين الشعر الذي قيل في وصف البحر ؟ هل كان هناك شعر بحق ؟ أم أن الشعراء لم يولوا البحر عنايتهم ولم ينل منها ، ناله النهر ؟ والملاحظ أن الشعراء في وصفهم البحر يصفون أحوالهم وما يعترضهم من خوف ورهبة ووجل وهم في البحر ولا يصفون البحر ذاتاً .

وكما وصف الشعراء في هذا العصر النهر والبحر ، وصفوا أيضا المطر والبرد والثلج والبرق والرعد والسحاب وكل ما اتصل بالمائيات من برك وغدران وخلجان . فالأعمى التطيلي يصف السحاب ، فاز به مثقل بالمطر ، متكاثف بعضه فوق بعض يلمع فيه البرق التماع المصابيح أو السيوف ، ويقهقه الرعد من كل جانب ، والشاعر بهذه التشابيه الجميلة والاستعارات يعطي للوحته الفنية الحركة ويمنحها الحياة يقول (٢) :

من المُثْقَلَاتِ الْهَضْبُ حَتَّى يُوَدَّهَا
وَأَنْ حَمَلَتْهَا حَاجَةٌ مَالَهَا ثَقُلُ

(١) الديوان ٣٤١ .

(٢) المصدر السابق ١٠٨ - ١٠٩ .

أذا لَقِحتُ حَرْبٌ بها أو بمثلها
فليس على طيب الحياة لها نَسِيلٌ
سَرَتْ ضَخْمَةُ الْأَكْنافِ تَامِكَةُ الذَّرَى
دُلُوحُ السَّرى تَتَلَى على ذاك أو تَتَلَوُ*
كأن التماعَ البرقَ في جنباتها
مصابيحُ تَذَكَّى أو صَوَارِمُ تَسْتَسِيلُ
وقهقهه فيها الرعدُ من كل جانب
كما هَدَرَتْ في الهجمة الفُتقُ البزلُ
أَرَّتْ على ذِي الْأَثَلِ غَيْرَ حَلِيمَةٍ
فهل عندها عِلْمٌ بما لَقِيَ الْأَثَلُ
ومالت على أَكْنافِ لِبْنانٍ مَلَمَّةً
فَسَحَّ عليها دِيْمَةُ كُلِّها وَيَسِيلُ*
وحتى التقي في سبيلها الصقر مخففاً
وليث الشَّرى غرثان والسربُ والاحلُ*
وسالت على روض الحزون آياتها
مع الماء كالعشق استبد به الوصلُ

وتباكر ابن صارة الشنتريني سحابة انسكب ماؤها بفقارة وهطل قطرها بقوة
خشي الشاعر نعه على منزله أن يصبح زلماً ، فقد غمّت البلاد بمطرها وأصبح السَّربُ
لجة وكادت الأرض تحترق من كثرة التماع البرق وأوشكت السماء تنطبق لجلجلة الرعد
وهديره ، يقول الشاعر (١) :

أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ لَيْلٍ بُلَيْتُ بِهِ
كَأَنَّهُ بَغْتَةً الْمُقَدَّرِ إِذَا طَرَقَ سَابِلاً

* مَرْتَفَعَةٌ ، اللِّسَانُ : مَادَّةُ تَمَكٍّ ، دُلُوحٌ : مُثْقَلَةٌ بِالْمَاءِ ، اللِّسَانُ مَادَّةٌ : دُلُوحٌ

* الهجمة : القطعة الضخمة من الأبل . اللسان : مَادَّةُ هَجْمٍ ، الْفَتَقُ : جَمْعُ فَنَيْقٍ

وهو الجمل الفحل . اللسان : مَادَّةُ فَنَقٍ ، الْبَزْلُ : جَمْعُ بَازِلٍ وَهُوَ الْبَعِيرُ

استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة . اللسان : مَادَّةُ بَزْلٍ .

* سَحَّ : تَسَاقَطَ بِشِدَّةٍ ، سَالَ وَاشْتَدَّ انْصِبَاؤُهُ ، اللِّسَانُ : مَادَّةُ سَحَجٍ .

الذخيرة ٢ : ٢ : ٨٤٣ . (١)

وإفاني السَّحَرُ الأعلى بِسَارِينَةٍ
كَأَنَّ تَعْيِيدُ صَعِيداً مَنْزِلِي زَلْقَا
هَلَلْتُ مِنْهَا وَقَدْ هَبَّتْ صَوَاعِقُهَا
كَرَاكِبِ الْبَحْرِ لَمَّا شَارَفَ الْفَرْقَا
لِلَّهِ مِنْ عَارِضٍ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهِ
طَوَلَا وَعَرَضَا فَخَلَّتْ الْبَرَقُ قَدْ غَرَقَا
تِلْكَ الْجَوُّ مِنْ نِيرَانٍ بَارِقَةٍ
حَتَّى حَسَبْنَا أَدِيمَ الْأَرْضِ مُحْتَرِقَا
وَقُلْتُ أَنْ قَصَفْتُ لِلرَّعْدِ قَاصِفَةً^١
تَضَعُضُ الْفَلَكَ الْأَعْلَى أَوْ انْطَبَقَا

والسحاب نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى يحيي بها الأرض بعد موتها ،
وهذه النعمة لا تكفر والّا تحوّلت إلى دابة أحرقت الأرض وما عليها ، يقول ابن
خفاجة (١) :

وَلَا يَكْفُرُوا نَعْمَى الْقَمَامِ فَرْدَا
تَدَايَا عَلَيْهِمْ صَعِقَةٌ تَتَوَقَّدُ

وهذه سحابة تسير متباطئة مسفة من الأرض ، تجرّ أن يالها ويتوقد برقها
يقول ابن خفاجة (٢) :

وَعِمَامَةٌ لَمْ يَسْتَقِلْ بِهَا السُّرَى
فَمَشَتْ عَلَى الظُّلُمَاءِ مَشْيَ مُتَيَسِّرٍ
حَمَلَتْ بِهَا رِيحُ الْقَبُولِ سَحَابَةً
سَحَابَةُ الْأَذْيَالِ تَلْمَسُ بِالْيَدِ
فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءٍ يَلْحَسُ حَبْرَهَا
وَهَذَا لِسَانُ الْبَارِقِ الْمُتَوَقِّدِ

(١) الديوان ١٩٢ .

(٢) المصدر نفسه ١٩٣ .

ويعصف الشاعر نفسه سحابة غطت السماء وقد حوّل برقها ظلام الليل الى نهار
وهطل مطرها وانهل غيثها ، فسقت الأرض فربى الزرع وأينع النبت وأخصبت الأرض
فاكتست بحلة الربيع الجميلة وسال مطر السحابة رقراقا أبيض على البسيطة كأنه الفضة
في البياض والجمال ، يقول (١) :

وغمامةٍ نشرتْ جناحَ حمامةٍ
والبرقُ قد نسخَ الظلامَ نهـارا
متألّقٌ صدعَ الدجى وسقى الشرى
فابيضَ ذا نورا وذا نسـورا
في أجرعٍ خلفَ الربيعِ به ابنه
كرما فأخصبَ ريوه وقـرارا
هفت الصبا منه بمسرى ديمـةٍ
هطلاه قربها العجاج وقـارا
وكفت فسالن فضة ولربما
طبعت بكل عرارة دينـارا

وتسرى سحابة كثيفة في الصباح الباكر تحملها الرياح القوية وهي نشوى
تتهادى في سيرها وقد اسودت ذيولها ولمع البرق في وسطها وكأنه السوط الذي
يحدث الريح المثقلة بحمل السحابة ، يقول ابن خفاجة (٢) :

وخميلةٍ قد أخطت سرى الهـا
كفا صناع تستهل هـون
طوت السرى والبرق سوط خافق
بيد الدجى والريـح ظهر أـمون
نشوى تهادى في وشاج مذهب
قلق وتسحب من ذيولـه جـون

(١) الديوان ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ٢٤٣ - ٢٤٤ .

طَبَعَتْ مِنَ النُّوَّارِ بَيْضَ دِرَاهِمٍ
مَدَّتْ إِلَيْكَ بِهَا بَنَاتُ غُصُونٍ
فَرَفَلَتْ حَيْثُ تَعَثَّرْتُ بِي نَشْوَةٌ
فِي ثَوْبٍ وَشِيٍّ لِلرَّبِيعِ مَصُونٍ
وَالْأَرْضُ تَسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ مُحَاسِنٍ
بَيْضٍ وَتَنْظُرُ عَنْ عَيُونٍ عِيُونٍ

والبرق وثيق الصلة بالسحاب ، لذا ارتبط وصفه بوصف السحاب وجاء في ثناياه
وقلما أفرد الشعراء للبرق مقطوعات مستقلة ، على أننا واجدون الشاعر أبا الحسن
ابن زباع يصفه في مقطوعة أكثر فيها من ذكر مواقع في الجزيرة العربية ، وأرى أن الشاعر
اتخذ من البرق الذي يجوب البلاد مدخلا لحنينه إلى أرض العرب ومعاهد هـا
يقول (١) :

أَرَى بَارِقًا بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ يَوْمِضُ
يَذْهَبُ جَلْبَابُ الدَّجَى وَيَفْضُضُ*
كَأَنَّ سُلَيْمَى مِنْ أَعَالِيهِ أَشْرَفَتْ
تَمُدُّ لَنَا كَفًّا خَضِييًّا وَتَقْبِضُ
إِذَا مَا تَوَالَى وَمَضَى نَفْضُ الدَّجَى
لَهُ صَيْفُهُ الْمَسُودُ أَوْ كَادَ يَنْفَضُ
وَبِتُّ أَدَارِي الشُّوقَ وَالشُّوقَ مُقْبِلٌ
عَلَيَّ وَأَدْعُو الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ مَعْرِضُ
وَأَسْتَجِدُّ الدَّمَاعَ الْإِبْيَ قِيَادُهُ
فَتَجِدُنِي مِنْهُ جَدَلٌ وَلِئِيْفُضُ
وَأَعْدُلُ قَلْبًا لَا يَزَالُ يَرُوعُهُ
سَنَا النَّارِ أَوِ الْبَرْقِ يَوْمِضُ

(١) الخريدة ٤: ٢٠١ - ٥٦٢ ، القلائد ٢٢٧ - ٢٢٨ .
* الأسبق الفرد : حصن بتيما ، يضرب به المثل في المناعة . وصاحبه السموأل بن
عادياء التيهودي الشاعر الجاهلي المعروف . قال الأعشى :
بِالْأَلْقِ الْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلِهِ حِصْنٌ حَصِينٌ ، وَجَارٌ غَيْرُ خَتَارِ
اللسان : مادة بَلَق .

فالمقطوعة لا تعنى بالبرق ووصفه في ابراقه ولمعانه قدر ما يصور الشاعر فيها شوقه وحنينه الى ديار العرب وحالته النفسانية .

ويصف ابن خفاجة البرق ويتمنى عليه أن يحمل تحية الى قبر صديق له في أرض حمص بالاندلس - اشبيلية - فابن خفاجة أيضا يتخذ البرق وسيلة لما في نفسه ولم يصفه مستقلا ، يقول (١) :

الَا كَيْتَ لَمَحَ الْبَارِقُ الْمُنَالِقُ
يَلْفُ ذِيُولَ الْعَارِضِ الْمُتَدَقِّقِ
وَيَرْكَبُ مِنْ رِيحِ الصَّبَا مَتْنٌ سَابِحٌ
كَرِيمٌ وَمِنْ لَيْلِ السُّرَى ظَهَرَ أَبْلَقُ
فِيهِدِي إِلَى قَبْرِ حِمصٍ تَحِيَّةً
مَتَى تَحْتَلِمُهَا رَاةُ الرِّيحِ تَعْبَقُ

وهذا ابن خفاجة في أحد أسفار، يذكره البرق بوطنه فيحن اليه نفي حين أن الليل مظلم كجناح الغراب الأسود يلمع فيه البرق كشرارة وسط الفحم (٢) :

أَبَى الْبَرِقُ إِلَّا أَنْ يَحْنِ فُسُوءَادُ
وَيَكْمَلُ أَجْفَانَ الْمُحِبِّ سَهَادُ
وَلَيْلٍ كَمَا مَدَّ الْغَرَابُ جَنَاحَهُ
وَسَالَ عَلَى وَجْهِ السَّجَلِ مِدَادُ
بِهِ مِنْ وَمِضِ الْبَرِقِ وَالْجَوْفُحْمَةُ
شَرَارُ تَرَامِي وَالْفَصَامُ زِنَادُ

ومنظر الثلج وقد كسى الأرض ثوبا أبيض ناصع البياض من أجمل ما تقع عليه العين بهجة وجمالا ، ومن يرى الثلج تجود به السماء كالقطن المندوف على السهول والجبال ، على الوديان والتلال ، يحس حقاً بالمتعة والجمال الذي قد لا توقره الرياض والحدائق .

(٢) المصدر السابق ١٣١-١٣٢ .

(١) الديوان ٢٢٥ .

لكن من الملاحظ أن الثلج لم يحظ من شعراء العصر بكبير عناية كما هو شأن الأنهار والسحاب ، ولعل ذلك يعود للمتاعب الكثيرة والمخاطر الأكيدة التي يسببها الثلج وتتجم عنه ، من أغلاق للطرق واضرار لما تمنحه الأرض من خصيب ومزروعات ، هذا الى جانب البرد الشديد الذي ينخر العظام .

ومهما يكن الأمر ، فقد بدأ وصف الثلج في الشعر العربي متأخراً إذ لا نكاد نعثري على شعر فيه قبل القرن الرابع الهجري ، حيث أنشأ الشاعر أبو بكر الصنوبري أبياتاً رقيقة في وصفه منها :

ذهب كوهوسك يا غلا

م فان ذا يوم مفضض^١ (١)

الجو يجلى في الرياض

وفي حلى الدر يعرض

أتظن ذا ورداً وذا

ثلجاً على الأغصان ينفض

ورد الربيع ملس^٢

والورد في كانسون أبيض

وفي الأندلس نجد أبياتاً لابن خفاجة وغيره ، منها بائنة ابن خفاجة المذبة الجرس ، المحلقة الخيال ، الرقيقة الألفاظ ، يقول ابن خفاجة (٢)

ألا فضلت^٣ زهله^٤ ليلة^٥

تجر^٦ الرباب^٧ بها هيدبا^٨

وقد برقع^٩ الثلج وجه^{١٠} الشرى

وألحف^{١١} غصن^{١٢} النقا^{١٣} فاحتبى

(١) ديوان الصنوبري ، أحمد بن محمد بن الحسن الضبي ، تحقيق الدكتور احسان عباس . نشر وتوزيع دار الثقافة - بيروت . ١٩٧٠ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) الديسوان ٢٦٢ - ٢٦٣ .

فَشَابَتْ وَرَاءَ قِنَاعِ الظُّلَامِ
نَوَاصِي الْفُصُونِ وَهَامُ الرَّبَى

فالشاعر يصف في هذه الابيات الثلاثة الطبيعة وقد اكتست بالثلج فأصبحت
بيضاء شائعة النواصي، ومن ثم يتابع الشاعر الابيات يسوق لنا قصة لطيفة تمثل
مغامرة رحلته الى الحانة في هذا الجو الجميل :

رَكِبْتُ إِلَى أَشْقَرِ أَشْهَبَا
وَحَيَّتُ حَانَتَهَا طَارِقًا
فَقَالَتْ تَجِيبُ أَلَا مَرْحَبًا
وَقَامَتْ بِأَجِيدٍ مِنْ كَأْسِهَا
لَا وَقَصَ مِنْ دَنِّهَا أَحَدًا
فَجَاءَتْ بِحَمْرَاءَ وَقَادَةَ
تَلَّهَبُ فِي كَأْسِهَا كَوْكَبَا
عَثَرْتُ بِذَيْلِ الدُّجَى دُونَهَا
فَأَضْحَكْتُ شَفَرًا لَهَا أَشْنَا
وَقَدْ مَسَحَ الصُّبْحُ كُحْلَ الظَّلَامِ
وَأَطْلَعَ فَوْدَ الدُّجَى أَشْيَا

ويعبر أبو جعفر بن سلام المعافري ت . ٥٥٠ هـ . عن مشاعره تجاه الثلج
أعق تعبيرا وأجمله ، ويترجم مشاعر الذين يعيشون في مناطق مثلجة شتاء حين
يسرون لمنظره ويسخطون لمخبره ، يقول الشاعر (١) :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الثَّلَجِ فِي حُسْنِ مَنْظَرٍ
تَقَرَّ بِهِ عَيْنٌ وَتَشَنُّوهُ نَفْسٌ
فَنَارٌ بَلَا نَوْرٍ يُضِيءُ لَهُ سَبْكُنَا
وَقَطَرٌ بَلَا مَاءٍ يُقَلِّبُهُ اللَّمْسُ

(١) المقتضب : ٣٧٤ - ٣٧٥ .

وأصبح شفر الأرض يفتّر ضاحكاً
فقد ذاب خوفاً أن تقبله الشمس

ويخلع الثلج على الأرض حلة بيضاء جميلة فتبدو وكأنها عجوز شمطاء قد بلغت
من الكبر عتياً ، وأصبحت الأرض روضة بيضاء ، يقول ابن خفاجة (١) :

والأرض فضية الأفاق تحسبها
شمطاء حاسرة قد مسها الكبر
فكل نجد ووهد قد أطل به
روض تجلى بنور ما له ثمر
وللاقي شفور فيه باسمنة
لها من الثلج ريق بارد خصر
كان في الجو أشجاراً منيرة
هبّ النسيم عليها فهي تنتشر

وما يتصل بالثلج البرد ، وقد وعد الشعراء في هذا العصر ، فابن خفاجة
يتصور أن الله قد حوّل القطر إلى حجارة والغمام إلى همّ وغم عقاباً للناس على شرورهم
وسوء أفعالهم ، يقول (٢) :

الا نسخ الله القطار حجارة
تصوب علينا والغمام غوما
وكانت سماء الله لا تمطر الحصى
ليالي كئنا لا نطيش حلوما
فلما تحولنا غفريت شيرة
تحول شوموب الغمام رجوما

ويقول أيضاً في الغرض نفسه وقد جعل البرد حلية يزدان بها الثرى ، فتضحك
الأرض فرحة بهذه الدرر في حين يعبس وجه السماء ويمعن في عقابه للأرض الضاحكة

(١) الديوان ٣٧٢ . (٢) المصدر نفسه ٧٥ .

منه وكأنها الزانية فهو يعاقبها بقسوة وشدة ، يقول ابن خفاجة (١) :

يَا رَبِّ قَطْرُ عَاطِلٍ حَلَّى بِهِ
نَحْرُ الثَّرَى بَرْدٌ تَحْدَرُ صَائِبُ
حَصَبِ الْبَاطِحِ مِنْهُ مَاءٌ جَامِدُ
غَشَى الْبِلَادَ بِهِ عَذَابٌ ذَائِبُ
فَالْأَرْضُ تَضْحَكُ عَنْ قَلَائِدِ أَنْجَمِ
نُثِرَتْ بِهَا وَالْجَوُّ جَهْمٌ قَاطِبُ
فَكَأَنَّمَا زَنْتَ الْبَسِيطَةَ تَحْتَهُ
فَأَكْبَ يَرْجُمُهَا الْغَمَامُ الْحَاصِبُ

وتشارك الطبيعة الأندلسية شعراء العصر أفراحهم وأتراحهم ، في كل جزئية منها ، فهذا أبو بكر محمد بن الجراوى ، من أعيان غرناطة في مدة المرابطين ، يرس أحد أصدقائه ، فتشاركه الطبيعة في مصابه ، فتجاوب معه السحب باكية ، وتشقق الأزهار كئيبها ، وتلطم البروق ، وتنوح الرعود ، يقول (٢) :

حَنَانِيكَ قَدْ أَبْكَيْتَ حَتَّى الْغَمَامِ
وَشَقَّقْتَ عَنْ أَزْهَارِهَا الْكَمَامِ
وَأَدْمَيْتَ خَدَّيَ لِلْبُرُوقِ بِلَطْمِهَا
وَحَلَقْتَ مِنْ نَوَّاحِ الرُّعُودِ مَاتَمِ

ويسبح الغمام باكية مشاركا ابن الزقاق رثاء إحدى عديقاته ، ويشق السبرق الليل العال ، فالطبيعة ممثلة في غمامها وبرقها باكية حزينة تشاطر الشاعر مشاعره وأحاسيسه ، يقول (٣) :

لَمَفْنَاكَ سَحَّ الْمَزْنُ أَدْمَعُ بَاكِ
وَرَجَمَتِ الْوَرَقَاءُ أَنَّهُ شَاكِ

(١) الديوان ٧٦ .

(٢) المغرب ١١٦:٢ .

(٣) الديوان ٢٢٦ .

وشقَّ وميضُ البرقِ ثوباً من الدَّجَى
كأنَّ لم يكنْ يجلى بضوء سسناك
أظاعنةً والحزنُ ليس بظاعنٍ
لقد أوحش الأيامُ يومَ نسواك

ويطلب ابن خفاجة من الفمام مشاركته والتجاوب معه ، فليبرد عليه شيئاً من
مصابه أو يروى غليله ، ولكن من أين للفمام الماء اثر فقد هو لا الكرام الذين يرثيهم
الشاعر ؟ ، يقول (١) :

وَقُلْ لِفَمَامِ الْحَفِّ الْأَرْضِ ذَيْلَهُ
خَلَّفَ فَجَاجاً تَحْتَهُ بِإِكْسَامِ
أَمَا لَكَ مِنْ ظِلِّ يُبْرِدُ مَضْجَمِي
أَمَا فِيكَ مِنْ ظِلِّ يَيْلُ أَوَامِي
وَأَيُّ نَدَى أَوْ بَرْدٍ ظِلِّ لِمُزْنَةٍ
عَلَى عَقَبِ أَتْرَابٍ رُزْتُ كِسَامِ

والأعشى التطيلي يرى ان الفمام يبكي لما هم فيه من محنة ولما يمانونه من
قسوة ، وذلك عندما ولي أمر أشبيلية رجل ظالم ، يقول (٢) :

وكيف تضاحك هذى الرياض
وكيف يصوب الفمام الحمصى
وهيهات لم يعتمد أن يجود
ولكن لما نحن فيه بكسسى

فشعرا^١ المصروصفوا في حديثهم عن المائيات كل ما يتعلق فيها من سحاب
وغمام ، وبرق وزعد ، ونهر ومطر ، وثلج وبرد ، وخليج وبحر بأقدار من الشعر متفاوتة
حسب اتصالهم بالموصوف.

ولم يكتفوا بوصفها : انما جعلوها مشاركة لهم في أحوالهم وأوضاعهم وجسات
صورتها في المشاركة باكية حزينة على الأغلب .

(١) الديوان ٥٣ . (٢) الديوان ١ .

أوصاف أخرى :

لم يدع شعراء العصر شيئاً من مقومات الطبيعة الصامتة إلا وصفوه، فقد كانت عيونهم كآلات التصوير لا تقع على شيء إلا التقطته ورسمت له صورة جميلة، ولم يقتصر وصفهم على الرياض والأزهار والخضريات والأشجار، والمائيات من ثلوج وأنهار، وسحاب وبحار. بل تجاوز ذلك إلى الزمانيات من ليل ونهار، وإلى السماء بما فيها من شمس وقمر ونجوم وما يحيط بهم من جبال وهضاب وتلال، كما وصفوا النار وأكثروا في ذلك، وقد حاز قصب السبق في هذا المضمار ابن صارة الشنتريني، حيث يمكننا أن نقول بحق أنه شاعر النار كما ابن خفاجة شاعر الجنان وابن العطار شاعر الأنهار.

فابن صارة يتخيل في النار ملابس تقيه برد الشتاء، ويشارا يمنحه الدفء، وتصور كأنونها - وقد أحاط القوم به - رحيقاً يعب الشرب منه أو أماً تدني منها رضيعها ثم تغطمه، يقول (١) :

باتت لنا النارُ دُرِّياقا وقد جعلت
عقاربُ البرد تحت الليل تلسعنا
زهراء قدَّت من دقَّتْها لُحفاً
لم يعلم البردُ فيها أين موضعنا
لها حريقٌ بكَانونٍ نطيف به
كمثل جامٍ رحيقٍ فيه مكرعنا
تبيحنا قُرْبَها حيناً وتبعدنا
كالأم تغطمنا حيناً وترضعنا

والنار عند شاعرنا كالدر والذهب، والفضة البيضاء، يتخيلها راقصة ويشبهاها بحاجب الشمس ظهر في العشاء، يقول (٢) :

لابنة الزند في الكواين جمر
كالدرارى في دجى الظلماء

(١) الخريدة ٤: ٢٦١، القلائد ٢٦٥. (٢) النفع ٣: ٤٤٢،
المغرب ١: ٤١٩، القلائد ٣٠٦، الخريدة ٤: ٢٥٩-٢٦٠، الرايات ٣٦.

خبروني عنها ولا تكذبونني
ألد بها صناعة الكيمياء
سبكت فحمتها صفائح تسبر
رصعتها بالفضة البيضاء
كلما رفرف النسيم عليها
رقصتني غلالة حمراء
سفرت في عشائها فأرتنا
حاجب الشمس طالعا بالعشاء

وهي راقصة تهز أكمامها فرحا وطربا ، يقول أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال
ت . ٥٤ هـ ، (١) :

أنظر إلى النار وهي راقصة
تهز أكمامها من الطرب
تضحك من آبنوسها عجباً
أن صيرت عينه إلى الذهب

كما صورها ابن صارة الشنتريني وهي أكثر ما تكون اشتعلا وأقل ما تكون
بريقاً ، فاشتعالها يطفى النجوم ، وهي تحت الرماد كالدمل اشتعلت برقيق الشياح ،
فإذا أزلت هذه الغلالة الرقيقة ظهرت كأنها الثمار الياضعة ، يقول (٢) :

دعوا لأمري القيس بن حجر طلوه
يظل عليها سافح المسبرات
وعوجوا بياقوتة ذهبينة
يهيم بها المقرور في السبرات
إذا ما ارتمت من فحمها بشرارها
رأيت نجوم الليل منكدرات

(١) الرايات ١٠٥ ، الذخيرة ٣ : ٢ : ٧٩٥ ، أزهار الرياض ٥ : ١٢٣ .
(٢) القلائد ٢٦٥ - ٢٦٦ .

حكى لها من الجمر تحت رمادها
دماً بدقيق الریط محتجرات
وقد عصفر التخميش بيض خدودها
فأنبت منها يابغ الثمرات

ويفصف ابن خفاجة نار القرى فاذا بها تطرب لوفود الضيوف الذين يؤمنونها
آملين الطعام والدفع، وهي نار حمراء مشتعلة تضطرم الى عنان السماء وقد عكس
الدخان فوقها سخائبه فكأنها فرس شقراء تمرح في النقع، يقول (١) :

تهفؤ به نار القرى فكأنها
مهما عشا ضيف اليها تطرب
حمراء نازعت الرياح رداها
وهنا وزاحت السماء بمنكسب
ضربت سماء من دخان فوقها
لم تدر فيها شعلة من كوكب
وتنفست عن كل لفحة جمرة
باتت لها ريح الشمال بمرقب
قد ألهمت فتذهبت فكأنها
لسكون شر شرارها لم تلهسب
تذكو وراء رمادها فكأنها
شقراء تمرح في عجاج أكهسب

وتلاعب النار الرياح، وتلثمها الرياح تارة أخرى في حين يلمع شرارها كالعيون
المراقبة شيئا، ويشتهيه أمرها على الناظر اليها فلا يدرى أهى نار تلتهب أم ذهب
يلمع، يقول ابن خفاجة مصورا ذلك كله (٢) :

لاعب تلك الريح ذاك اللهب
فعاد عين الجدر ذاك اللهب

(١) الديوان ٧٤ . (٢) المصدر نفسه ٧٥ .

وبات في مسرى الضيا تصفقه
 فتحو لها مضطرم مضطرب
 سامرته أحسبه منتشيا
 يهز عطفه هناك الطرب
 لو جاءه منتقد لما درى
 ألهب متقد أم ذهب
 تلثم منه الريح خذا خجلا
 حيث الشرار أعين ترتقب
 في موقد قد رقرق الصبح به
 ماء عليه من نجوم حبيب
 منقسم بين رماد أزرق
 وبين جمر خلفه يلتهب
 كأنما خرت سماء فوقه
 وانكدرت ليلا عليه شهب

ويتخيل ابن صارة الشنتريني النار زهراء تلبس حلالا من الليل ، على حـ
 يلبس الليل بها غلالة من نور ، وهكذا نجد النار تلبس الليل والليل يلبسها
 وشرارها مثل المسجد ، وجمرها ورد عليه الكافور منشور ، يقسول (١) .

جاءتك في تنورها المسجور
 زهراء في حلال من الداجور
 لما تهلل في الظلام جبينها
 لبس الظلام بها غلالة نور
 يا حسنبا وقد ارتمت جنباتها
 شررا كمثل المسجد المنشور
 والجمر في خلل الرماد كأنه
 ورد عليه ذريرة الكافور

(١) الخريدة ٢: ٢٠ : ٢٦٠ ، القلائد ٢٦٥ .

في ليلة خلنا دجاها ائمدا

ونجومها مرضى عيون الحور

ويجلس ابن خفاجة في رهط من أصحابه حول موقد نار أخذت تتأجج
وتضطرم وتعلو وكأنها جيد والقوم من حولها عقد يزينه ، فهي خير نار اجتمع حولها
خير شباب ، والريح عندما تمس النار تضطرب وكأن رعدة أصابتها ، يقول (١) :

وموقد نار طاب حتى كأنما
يشب الندى فيه لسارى الدجى ندا
فأطلع من داجى دخان ينفسحاً
جنياً ومن قاني شواظله وردا
وضاحك غراً من وجوه وميعة
فلم أدر أى مكان أذكاهما وقد ا
إذا بسطت كف الهياج الى العدى
أنا مل سمر الخط كانوا لها زندا
أرى خير نار حولها خير فتيسة
أنافست لهم جيداً وحقوا بها عقدا
إذا الريح باست من سواد دخانها
عذاراً ومن مظهر جاحمها خددا *
وشارت قتاما يملأ العين أكهبا
وجالت جوادا في عنان الصبا وردا
رأيت جفون الريح والليل ائمدا
تقلب من جمر الجدى أعينا رمدا
وبالجمر في أكفافها مس رعدة
كأن بحامي الجمر من شدة بردا

(١) الديوان ١٣٣ .
* الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال . اللسان مادة جحم .

والنار كالانسان تشيب وذلك عندما تخدم ويتحول سواد رمادها الى بياض،
دخل ابن صارة على أبي بكر بن العربي ت ٥٤٣ هـ، وبين يديه نار قد علاها رماد
فقال أبو بكر لتقل في هذا، فقال ابن صارة (١) :

شابت نواصي النار بعد سوادها
وتستترت عنا بشوب رماد
ثم طلب الى أبي بكر أن يجهز، فقال (١) :
شابت كما شبتنا وزال شبابنا
فكأنما كنا على ميعاد

والنار اذا شابت كالورد اذا ما ذبل، يقول ابن صارة الشنتريني (٢) :

قد شابت النار بكانوننا
لما تناهى عمرها واكتهل
كأنها لما خبا جمرها
مطيب الورد اذا ما ذبل

واذا كان شعراء العصر قد وصفوا النار فانهم كذلك وصفوا مظاهر الطبيعة
كلها، فالشاعر ابن خفاجة يصف جبلا ويستهل وصفه له بتصوير كآبة نفسه ووحش
حالتها واضطراب أمرها، وذلك في قصيدته (٣) :

بِعَيْشِكَ هَلْ تَذَرِي أَهْوَ الجُنَائِبِ
تَخَبُّ بِرَحْلِي أَمْ ظُهُور النَجَائِبِ*

يقول في وصف الجبل :
وَأَرَعَنَ طَمَاحِ الذُّؤَابَةِ بِأَذْخِ
يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِفَارِبِ*

(١) أزهار الرياض ٣ : ٨٨ .

(٢) المغرب ١ : ٤٢٠ ، الخريدة ٤ : ٢٦٠ ، القلائد ٢٦٦ .

(٣) الديوان ٢١٥ - ٢١٧ .
* هوج الجنائب : ريح الجنوب الهوجاء ، النجائب : جمع نجيبة وهي الناقة الكريمة
* الارغن : الشديد البروز ، الباذخ : الشاهق ، الفارب : الظهر . اللسان : رغن ، باذخ :
عسرب .

سَبَّابُ مَسْبَبِ الرِّيحِ عَنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَيَزْجُمُ لَيْلًا شَهْبَهُ بِالمَنَاكِبِ
وَقُورٍ عَلَى ظَهْرِ الفَلَاةِ كَأَنَّهُ
طَوَالَ اللَّيَالِي مَطْرَقٌ فِي الْعَوَاقِبِ
يَلُوثُ عَلَيْهِ الْغَيْمُ سَوْدَ عَمَائِمٍ
لَهَا مِنْ وَمِيضِ الْبَرْقِ حُمْرُ نَوَائِبِ
أَصَحَّتْ إِلَيْهِ وَهُوَ أَخْرَسُ صَامِتٌ
فَحَدَّثَنِي لَيْلُ السَّرَى بِالعَجَائِبِ
وَقَالَ أَلَا كَمْ كُنْتَ مُلْجَأً فَاتَكَ
وَمَوْطِنُ أَوَّاهٍ تَبَتَّلَ ثَائِبٌ *
وَكَمْ مَرَّيْ مِنْ مُدْلِجٍ وَمُسَوِّبٍ
وَقَالَ بِظِلِّي مِنْ مَطْيٍ وَرَاكِبٍ *
وَلَا طَمَ مِنْ نَكْبِ الرِّيَّاحِ مَعَا طَفَنِي
وَزَا حَمَ مِنْ خَضِرِ الْبَحَارِ جَوَانِسِي
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَتْهُمْ يَدُ الرَّدَى
وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوَى وَالنَّوَائِبِ
فَمَا خَفَقُ أَيْكِي غَيْرَ رَجْفَةٍ أَضْلَعِ
وَلَا نَوْحُ وَرَقِي غَيْرَ صَرْخَةٍ نَادِبِ
وَمَا غِيْضُ السَّلْوَانِ دَمْعِي وَانْسَا
نَزَفْتُ دَمْعِي فِي فِرَاقِ الْأَصْحَابِ
فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى وَيَطْعَنُ صَاحِبُ
أَوْدَعُ مِنْهُ رَا حَلًّا غَيْرَ آيِبِ
وَحَتَّى مَتَى أَرعى الْكَوَاكِبِ سَاهِرًا
فَمِنْ طَالَعِ أُخْرَى اللَّيَالِي وَغَارِبِ

* الأَوَّاهُ : الذي يتأوه خزنًا .

* قَالَ : يَقِيلُ قِيلًا وَمَقِيلًا وَقِيلُولَةً إِذَا اسْتَرَحَ وَقَتَ الْهَاجِرَةِ اللِّسَانُ : مَادَّةٌ قِيلَ .

فَرَحْمَاكَ يَا مَوْلَايَ دَعْوَةً ضَارِعَةً
يُمَدُّ إِلَى نِعْمَاكَ رَاحَةً رَاغِبَةً
فَأَسْمَعْنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ غَسْبَةٍ
لِيُتَرْجَمَهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ
فَسَلِّ بِمَا أَبْكِي وَسَرِّ بِمَا شَجِي
وَكَانَ عَلَى لَيْلِ السَّرِيِّ خَيْرَ صَاحِبِ
وَقُلْتُ وَقَدْ نَكَبْتُ عَنْهُ لِطَيْبِهِ
سَلَامٌ فَإِنَّا مِنْ مَقِيمٍ وَذَا هَبِ

فابن خفاجة في وصفه للجبل يبدأ بالصورة الحسية ، فهو كبير الحجم ، شديد الارتفاع يكاد يقترب من السماء لشموخه وعلوه ، ويمنع الرياح لضخامته فهو سد في وجهها ، ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك الى الصفات المعنوية حيث يهبها للجبل ويضيف عليه فاذا كان الجبل شامخا ضخما فمن صفاته الوقار والاثزان ، وان كان راكنا جائما في الارض فهو يطيل التفكير ويجيل النظر ، ويخلع الشاعر عليه سمة الشيخ الحكيم المجرب وزيه ، فيجعل من السحاب الا سود عمامة يعتم بها الشيخ ويلف رأسه ، ويجعل من البرق اللامع ضفائر تلاعبها الرياح وتداعبها ، وان كان الجبل ساكنا صامتا فهي من الحكيم البليغ في صمته ، الناصح الواعظ في سكوته ، فلا ثبات ولا بقاء على الاطلاق الكل في طريقه ، والكل الى فناء وزوال ، فتجتمع الأضداد من بني البشر وتلتقي ، ويلتم شمل الألفة فترة من الزمن ثم لا يلبث الموت أن يتخطفهم حتى كأنهم ما كانوا وممّ عمّوا ، وهذا ناموس الكون وسنة الحياة .

والجبل هو الشاعر أو الشاعر هو الجبل ، فهما يشتركان في الحال ، فيعبر الشاعر الكهل المسن عن حاله وتجاربه على لسان الجبل ، ويبيته همومه وأحزانه ، فيحمل الجبل بين جنبيه نفساً جائشة وقلبا خفاقا ، فما اهتزاز أعضائه الا ارتجاف أضلاعه ، وما هديل أطيّاره ونوح حمامه الا عدى آهاته وتحسراته وتنهداته ، فقيد امتلأت النفس الصابرة حسرات على أولئك الراحلين ، فجاء الفناء طاع على القصيدة ولذا كان الشاعر محققا عندما سماها (الاعتبار) .

وتذكرني هذه المناجاة بين الشاعر والجبل حيث فلسف الحياة وانتهى بها
الى النهاية الحتمية ، الى الفناء ، في تجاوب فكرى وانسجام شعورى بينهما وسقط
أجواء شجية من التشاؤم والكآبة ، بمناجاة أبي فراس الحمداني حمامته المطوقة التي
غنت له بهديلها الشمس وهو ناء بعيد عن أهله ، منقطع عن وطنه ، فشاركته حاله
وذلك في قصيدته (١) :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة

أيا جارتا هل تشعرين بحالي

وللشاعر نفسه - ابن خفاجة - قصيدة أخرى في وصف الجبل ، ولكنه فيها
ليس الجبل الواعظ الناصح المفلس للحياة ، وان كان مطيلاً للصمت كثير التفكير
يلتجئ إليه الكائن البحي عليه يجد فيه مأناً ومأوى ، ولكنه يفضل الصمت حينئذ
الأمور ، فلا يدري الشاعر هل الصمت للكبر أم للكبر ، يقول (٢) :

وأشرق طمّاح الدّابة شامخ

تنطق بالجوزاء ليلاً له خضر

وقور على مرّ الليالي كأنما

يُصيحُ الى نجوى وفي أذنه وقُر

تمهد منه كل ركن ركانة

فقطب أطرافاً وقد ضحك البدر

ولان به نسر السماء كأنما

يحن الى وكره ذلك التسر

فلم أدر من صمت له وسكينة

أكبرة سنٍ وقّرت منه أم كسيرة

كما وصف شعراء العصر الصحراء ، وهي عندهم شديدة الحر ، تصفق فيها
الرياح ، ويلعب السراب ، ولكنها جاءت في مقطوعات قليلة وعند نفر قليل من الشعراء

(١) ديوان أبي فراس ، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالدية ، دار صادر ، دار ،

بيروت ، بيروت ١٩٦١ م . ص ٢٣٨ .

(٢) الديوان ١٥٠ .

وأرى أن ذلك يعود للطبيعة الأندلسية نفسها إذ تفتقر إلى الصحارى الفساح والبيد
الوساع .

يقول الاعشى التطيلي (١) :
وكل هاجرة تنلني مراجلها
كأنما مصطلاها قلب موتور
بييت حرباؤها بالليل منتصبا
وان أطل فلم ينظر إلى النور

وان كان الحرباء لا يستطيع النوم ليلا فيها من شدة حرها عند الاعشى
التطيلي فالنجم عند ابن خفاجة لا يستطيع ذلك خوفا ورهبة حيث الصحراء واسممة
تتألم منها الخيل فتتنهد وتكل الرياح فترقد ، يقول ابن خفاجة (٢) :

وخرق سحيق يملأ الصدر وحشة
فرجع صهيل الطرف فيه تنهد
مهيب بييت النجم يسهر رهبة
به وتكل الرياح فيه فترقد

وتصفق فيه الرياح ، وهي خالية تمتع الرهبة في النفس ، يقول القاضى
عياض فيهما (٣) :

فكم من فلاة بين داي وسبتة
وخرق بعيد الخافقين قوا
تصفق فيه للرياح خوافق
كما ضمضعتني زفرة الصعدا

(١) الديوان : ٥٧ . (٢) الديوان : ١٩٤ . (٣) ازهار الرياض : ٤ : ٢٦٧ .

* داي : مدينة صغيرة بأرض المغرب بالقرب من اغمات ، وأهلها اخلاط من البربر .

الروض المعطار : ٢٣١ .

* سبتة : بلدة مشهورة من قواعد المغرب مقابل جزيرة الاندلس ، داخلية في البحر

ضاربة فيه ، وهي مدينة حصينة قديمة ، معجم البلدان : ٣ : ٣٠ . طبعة

ارويبا .

وهي شديدة الظلام عند ابن خفاجة، تتلهب فيها الشعري من شدة الحر،
يقول (١) :

ومفازة لا نجم في ظلماتها
يسرى ولا فلك بها دوار
تتلهب الشعري بها وكأنها
في كفر زنجي الدجى دينار

ويجعل الأعمى التطيلي الصحراء في طريقه إلى مدوحة — على بن يوسف
ابن تاشفين — فإن بها مقبرة مجدية، نهارها شوم وسواد، تبدو كالبحر لا لامتصاع
سرابها، فيخال الشاعر ضبابها أسماكا، يقول (٢) :

ودونك كل مومة فيأح
كأن نهارها قلب حزين
ونت فيها الرياح الهوج حتى
كأن ظهورها العليا يطون
إذا سرحت طرفك قلت بحر
يذل الطرف فيه ويستكين
وقد لمع السراب فقلت: ماء
وجال القب فيه فقلت نون
كأن هضابها والال ينزو
بها موج تراقص أو سفين
وأخرى مثلها الا غواش
كأن قعيدها ميت دفين
كأن عمادها كئبان رمل
اليك وقد تكون لها شئون

(١) الديوان ٨٥ .

(٢) الديوان ٢١٠ .

ويغرق النجم في بحر الدجى الاسود ، ويلتبس عليه الأمر فيحترار ، يقول
عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي المتوفي سنة ٥٤٢ هـ (١) :

والنجم حيران في بحر الدجى غرق^١
والبرق فوق رداء الليل كالعلم

وتظهر صورة النجوم وقد تجلت في المياه ، وكأنها الغيد الحسان وقد أخذت
تنظر في المرأة مزهوة بجمالها ، معجبة بفتنتها ، يقول ابو غالب بن تمام — طائفي
مرابطي — (٢) :

أنظر الى زهر النجوم وقد بدت^٢
في البحر تعجب ذاتها من ذاتها
فكانها سرب الحسان تطلعت^٣
لترى من المرأة حسن صفاتها

وان كان نجم ابن عطية قد احتار وغرق في بحر الدجى ، فهذا شأن الكواكب
كلها عند الاعى التطيلي فهي كنفخة الماء في القارورة لا تعرف لها مستقرا (٣) .
تري الكواكب حيرى في ، جاء كما
جالت حجي الماء في خضر القوارير *

والنجوم الزاهرة عقود الحسان وقد نثرت ، يقول ابو بحر يوسف بن عبد الصمد
من قصيدة في مدح يحيى بن فانو ، ابن اخت الامير علي بن يوسف بن تاشفين فيما
يتعلق بالنجوم (٤) :

وتطلعت زهر النجوم كأنما
نثرت هناك عقودها الحسناء^٤

-
- (١) الاحاطة ٤ : ٥٤٠ ، الخريدة ٤ : ٢ : ٥٢٩ ، القلائد ٢٠٨ ، بغية الملتبس ٣٨٩ .
(٢) الذخيرة ٣ : ٢ : ٨٢٢ .
(٣) الديوان ٥٧ .
(٤) الذخيرة ٣ : ٢ : ٨١٢ .
* الحجي : جمع حجة وهي نفخة الماء . اللسان : مادة حجا .

وتبدو الثريا عند الصباح كأنها الحسناء قد أخذت تختال معجبة بنفسها ،
وتارة أخرى وكأنها كيس قد مرق وانتشرت أجزاءه ، يقول ابو الفضل جعفر بن شرف (١) :
بادر صباحاً والثريا قد بدت

تختال في ثوب الصباح المذهب
تبدو وينهجها الصديق كأنه
أثر السجود على الصعيد الطيب

وله فيها (١) :

ألا فاسقنيها والصباح كأنه
على الأفق الشرقي ثوب ممزق
ولا تحت لرايتها الثريا كأنها
على جنبات الأفق كيس مختق

ويتقدم نجم الثريا الصباح وكأنه طليعة الجيش أو لواء القائد يخفق في المقدمة
يقول ابن خفاجة (٢) :

وقد لاح وجه الصبح يندى كأنه
وراء تناع الليل وجه بشير
ويقدمه نجم الثريا كأنه
طليعة جيش أو لواء أمير

وان كانت الطبيعة ممثلة في رياضها وأشجارها قد شاركت الشمع — را
مشاعرهم وتجاوبت مع أحاسيسهم ، فهي أيضاً ممثلة في شهبها ونجومها وقمرها —
وشمسها تشاركهم المصاب وتتأثر بالحدث ، فالنجوم تشارك ابن الزقاق مصابه
في القائد أبي شجاع عندما استشهد ، يقول (٣) :
ناحت عليه الشهب وهي عرائس
ويكى عليه الغيم وهو جهام

(١) الذخيرة ٣: ٢: ٨٨٠ (١) المصدر نفسه ٣: ٢: ٨٨٠ والبيت الاول في

المغرب ٢: ٢٣١ (٢) الديوان (١٨٠)

(٣) الديوان (٢٦١)

وانجاب ظلّ الانس فهو مقلّص
وامتدّ ليل الخطب فهو تمام
واربّد ضوء الشمس في رآد الضحى
حتى استوى الاشرار والاطلام*
والنسر مقلّص بأشراك الردى
وبنات نمرش في الدجى أيتام

ويطلع القمر على ابن خفاجة في بعض ليالي أسفاره ، فأخذ يطرق فيه متأملاً
مفكراً مستحضراً قول الله سبحانه وتعالى (١) " ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لأولي الاباب " ، يقول الشاعر (٢) :

لقد أصحّت الى نجواك من قمر
وبت أدلج بين الوعي والنظر
لا أجتلي لمحا حتى أعى لمحا
عدلاً من الحكم بين السمع والبصر
وقد ملأت سواد العين من وضح
فقرط السمع قرط الانس من سمر
فلو جمعت الى حسن محاورة
حزت الجمالين من خبر ومن خبر
وان عمت ففي مرآك لي عظة
قد أفصحت لي عنها ألسن العبر
تمر من ناقص حورا ومكتمل
كورا ومن مرتق طورا ومنحدر
والناس من معرض يلهى وملفت
يرعى ومن ذاهل ينسى ومدكر

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٠ .

(٢) الديوان ١٣٠ ، ١٣١ .

* رآد الضحى : اشراقه ورويقه ، والرآد : اشراقه الضحى : اللسان مادة رآد .

تلهو بساحات أقوام تحدّثنا
وقد مضوا أنا على الأشر

آيات الله سبحانه في السموات تنطق بالعظة والعبرة ، والقمر احدى هذه
الآيات ، يطالع فيه الشاعر دروسا وعبرا ، فيطيل التأمل ويحدّق النظر ليجد فيه
كنزا من الحكمة لا ينفذ ، فهو يناجي القمر ويستمع الى وحيه فتعلاه مباهجه بصره
وتغلب لبه ، ويتصل بينهما الحديث ، ويرى في تطور القمر ومراحله عبرة يعجب من
الآخرين الذين لا يرونها ولا يجدونها ، تلك العظة والعبرة ان الاحياء جميعا الى
فناء وزوال ولبس من مخلد على الاطلاق فالكل يأتي لينتهسي .

وقد أكثر شعراء العصر من وصفهم الليل والنهار في أشعارهم ، وكيف لا يكون
ذلك وكل ليااليهم لياالي أنس ومسرات ، يعاقرون الراح ويعبون الشمول عبا يقول
ابو عبد الله محمد بن ابي الخصال ت. ٤٥٤ هـ في ليلة أنس (١) :

وليلة غيرة الأفق
رويت فيها السرور من طرق
وكنت حران فاقتدحت بها
نارا من الراح بردت حرقى
حلت بنا عاطلا وقد لبست
غلالة فصلت من الحسد

فالليلة سوداء حالكة والشاعر يلهو في مجلس أنسه مع صحبه تدور عليهم
العدام ، وهذه ليلة من أفضل لياالي ابن صارة الشنتريني لم ينم فيها اطلاقا بل سهر
معاقرا الخمرة ضاما اليه من يحب ، يقول (٢) :

أسنى لياالي الدهر عندي ليلة
لم أخل فيها الكأس من اعمال
فرقت فيها بين جفني والكبرى
وجمعت بين القُرط والخلخال

(١) المغرب ٢ : ٦٧٠ ، الذخيرة ٣ : ٢٠٣ : ٧٩٣ .
(٢) الخريدة ٤ : ٢٠٦ ، وفيات الأعيان ٣ : ٩٤ .

والليل لجة سوداء ينعم الشمراء في المبيت تحت أستارها ، يقول ابن بقي (١) :
بتنا ونحن من الدجى في لجة
ومن النجوم الزهر تحت سرادق

ويسهر ابن خفاجة ليلاً يطول ولكنه ينثني منهزماً أمام تباشير الصباح وكأن
الشيب قد ألم به لطول المقام ، يقول (٢) :

وربَّ ليلٍ سَهَرْتُ فيه
أزجرُّ من جنحِهِ غراباً
حتى إذا الليلُ مالُ سَكراً
وشقَّ سُرْبَالَهُ وَجَابَـاً
وحامَ من سُدْفَةِ غُرَابٍ
طالت به سنَّه فشاباً

أما ابن الزقاق فيقطع الليل يشرب الخمر حيث تفرب أقداحها في فيه فيحسده
الليل ويخشى منه على نجومه فيفر هارباً ، يقول ابن الزقاق (٣) :

وليل قطعت دياجيرهُ
بعذراء حمراء كأنجم
أدبرت كواكب أقداحها
عليّ فأغربتها في فمسي
تجلّى الظلام سريماً بها
كسرعة عيل الشوى أدهم
يقول وقد مال عرنيْنُهُ
ولون الدجى واضح المبسم
رأيتك تشرب زهر النجوم
فوليت خوفاً على أنجم

(١) المغرب ٢: ٢١ .
(٢) الديوان ٣٣٨ .
(٣) الديوان ٢٥٩ .

وهم يهتكون حجاب الليل بالشراب ، والليل غراب أسود ، ويكثر هذا التشبيه عند شعراء العصر ، والصبح باز يلاحق الغراب - الليل - فيفر أمامه وينهزم ، يقول ابوالحسن البطلوس (١) :

يا ربَّ ليلٍ قد هتكتُ حجابَه

بزجاجةٍ وقادة كالكوكب

يسمى بها ساق أغر كأنهسا

من حده ورضاب فيه الأشنب

والليل متحفز يطير غرابَه

والصبح يطرده بباز أشهب

والليل زنجي في سواده وكالحصان الأدهم في لونه ، يقول ابومحمد بن عطية مشبهاً الليل بالزنجي (٢) :

كأنما الليل زنجيٌ بكاهله

جرح فيثعب أحياناً بدم

في حين انه عند أخيه ابى الحسن بن عطية المتوفي سنة ٥٢٨ هـ في لـون الحصان الادهم ، يقول (٣) :

ولقد طرقت الحي في غسق الدجى

والليل في زى الحصان الادهم

وهم في غزلهم ولهوهم وليالي أنسهم وخلواتهم يتمنون لليل الطول ويرجسون له السرمدية لينعموا بأوقاتهم العذبة ، يقول ابوالفضل جعفر بن شرف في ذلك (٣) :

ما لذَّ للعين نومٌ بعدما ذكرت

ليلاً سمرناه بين الثمال والسمر

(١) ازهار الرياض ٣: ١١٠ ، النفح ٤: ٧٢ ، الذخيرة ٣: ٢: ٨٩٢ .

(٢) الاحاطة ٣: ٥٤٠ ، الخريدة ٤: ٢: ٥٢٩ ، بفيية الملتبس ٢٨٩ ، القلائد ٢٠٨ ، الرليات ٨٥ .

(٣) الخريدة ٤: ٢: ٢٩ - ٣٠ ، القلائد ٢٥٣ .

تساقط الطَّلُّ من فوق النحور به
تساقط الدرُّ في اللبات والشعر
ومفرقُ الليل قد شابت زوائبه
فبت أدعوه له بالطول في العمر
والليل يعجبُ والظلماءُ ذواجيةٌ
من ساهر يشكي الليل بالقصر
فبت أجزعُ من ليلٍ لواضحة
تبدو أبخل من روضِ هلى سحر

وان كان ليلهم جميلا متمنا في أنسهم وسمرهم فهو على خلاف ذلك ففي
سفرهم وتنقلاتهم ، فهو طويل ممل ، شديدة الثقل على النفس ، بل هو المصائب
والنوائب التي يركبونها ، يقول ابوالفضل جعفر بن محمد (١) :

أرح خطاك فحلى النجم قد نهبا
وقد قضى الشوق من وصل الدجى أريا
انا ركبنا من الظلماء جانحة
كأننا من دجاء نمتطي نوبيا
سل النجوم هل ارتابت بصفحتها
لما أشرن اليهن القنا السليبا
وباتت الخيل يقدر من الحصى حنقا
حتى تضرم حيل الليل والتهيبا
والليل مثل عذار الكهل شيبه
جور الزمان على الاحرار فاختصبا

وله من أخرى وقد سرى ممتطيا الظلام قوله (٢) :

سروا ما امتطوا الا الظلام ركائبها
ولا اتخذوا الا النجوم صواحبها

(١) الذخيرة ٢: ٣ ، ٨٨٦ ، القلائد ٢٥٥ ، الخريدة ٢: ٤ ، ٣٥ .
(٢) القلائد ٢٥٤ - ٢٥٥ ، الخريدة ٢: ٤ ، ٣٤ - ٣٥ ، الذخيرة ٢: ٣ ، ٨٨٥ .

وليلٍ كطي المسح جُبْنَا سَوَادُهُ
فبات بأطرافِ الأُسنة شائِبًا
خَبَطْنَا به الظلْماءَ حتَّى كأننا
ضربنا بأيدي العيسِ إبلاً غرائبًا

وهذا ابن خفاجة يصف الليل في سفره فإذا به أسود كجناح الغراب ، يلمع فيه البرق ويتكاثف الغيم ، يقول (١) :
وليلٍ كما مدَّ الغرابُ جناحهُ
وسالَ على وجه السجلِ مِسْدَادُ
به من وميضِ البرقِ والجوِّ فحمةُ
شرارِ ترامي والفمامِ زَنَادُ
أجوبُ جيوبِ البیدِ والصبحِ صارمُ
له الليلُ غمدُ والمجرُ نَجَادُ
وفي مُصْطَلَى الظلْماءِ جمرُ كواكبِ
علاها من الفجرِ المُطلِّ رَمَادُ
ولما تغرَّى من دُجَى الليلِ طُحْلُبُ
وأعرض من ماءِ الصباحِ ثَمَادُ
خنت وقد نأحَ الحمامُ صَبَابَةً
وشقَّ من الليلِ البهيمِ حَسَادُ

وهذا أبو عبد الله بن الفخار يرقب من أعدائه غفلة ، فيبيت ليلة الاسود كقلبه الممتلئ ، بالحق والكراهية للخصوم ليباكرهم ، وهم في غفلة من الأمر ، يقول (٢) :
أبيتهم والليل كالنفس أسود
وأهجمهم والصبح كالطرس أشهب

(١) الديوان ١٣١ - ١٣٢ .

(٢) القلائد ٢٩١ .

أما الصباح فهو الباز اللاحق الليل أو السيف القاطع دبره ، يقول أبو الفضل جعفر بن شرف (١) :

وكانَ الصَّبحُ في آساره
صارمٌ يُضربُ وجهَ الفسقِ

ويهزم النهارُ بشمسه الليلَ بجميعِ كواكبه ، يقول أبو الفضل جعفر بن شرف (٢) :

أتى الليلُ يطلبُ غزوَ النهارِ
في أنجم ما درى غدها
فجاءَ النهارُ بشمسِ الضحى
وقال : كفتني ذى وحدها

والصبح شيب الليل ، يقول ابن الزقاق (٣) :

نعمتُ بها حتى أنار سنا الضحى
وشاب بنور الصبح ليلٌ مفرقٌ

وشمس النهار عند ابن عارة الشنتريني مرآة في مهب الرياح ، يقول (٤) :

والشمس في كَفِّ الهواءِ سجنجل
يتوقدُ الهنديُّ من فلولاه

أما ابن خفاجة فيصور الصبح وقد لاح بوجهه البشير ، وزاد على ذلك بأن جعل نجم الثريا طليعة الصباح ، والشاعر يمدح الوزير أبا الحسن بن رقيم لذا جعل يومه كثير الغيم غزير المطر وكان المطر هذا عطاء المدوح ابن رقيم ، يقول (٥) :

وقد لاح وجه الصبح يندى كأنه

وراء قناع الليل وجه بشير

(١) الذخيرة ٣: ٢: ٨٧٤ . (٢) المصدر السابق ٣: ٢: ٨٧٧ .

(٣) الديوان ٢١٤ .

(٤) الخريدة ٢: ٢: ٢٦٥ . (٥) الديوان ١٨٦ -

وَيَقْدُمُهُ نَجْمُ الشَّرِيفِ كَأَنَّهُ
طَلِيعَةُ جَيْشٍ أَوْ وَلَوْ أَمِيرُ
وَقَنَّ وَجْهَ الْإِفْقِ مِزْنُ كَأَنَّهُ
أَيَادِي رُحَمَاءٍ أَوْ هَضَابِ ثَبِيرِ

فالشعراء وصفوا الجانب الصامت من طبيعة بلادهم خير وصف ، وصفوه بكل
مكوناته ومقوماته ، فوصفوا فيه الرياض والأزهار ، والحدائق والأشجار ، والأنهار والبحار
والليل والنهار والجبال والبيد والنجوم وغير ذلك ، وتجاوب شعراء العصر مع
وصفوه واندغموا في طبيعة بلادهم اندغاما كلياً ومنحوها كثيراً من أنفسهم وخلدوها
في لوحات فنية رائعة الجمال .

إذا كان شعراء الطبيعة في عصر العربطين في الأندلس قد هاموا بالجسمال الطبيعي الصامت مثلاً في الحدائق والأشجار، في الفواكه والرياح والثمار، في المياه والكواكب والبيد والجبال . . . فقد أولعوا أيضاً بوصف الجانب الحي من طبيعة بلادهم مثلاً في الخيل والنوق والذئاب والكلاب وغيرها من الحيوان ، وبالورق والمصافير والحمام من الطيور .

ووصف الطبيعة الحية قديم في الشعر العربي قدم الشعر نفسه . أما فسي الأندلس فكان كلف شعراء العصر بوصف الخيل ، ولا غرو عليهم في ذلك ، فهم عرب فرسان خاضوا غمار المعامع وقتلوا في كثير من الحروب ضد النصارى ، وكانت سهوات الخيول منجاتهم وحصونهم التي يمتنعون بها حين تحتدم المعارك .

فابن الزقاق يصف فرساً يطير إلى الحرب ، يطوى الأرض طياً ، وقد أخذ في سهيل دال على عتقه وأصله ، وهو من السرعة بحيث يسبق الرياح فتتعثر خلفه ويد هـش البني عدوّه ، يقول (١) :

يخترقُ النقع على أشقر
ينقضُّ منه في الوغى كوكبُ
يطيرُ في الحضرة أرسعُ
يطوى لها المشرق والمغربُ *
سهيله عن عتقه مفصّحُ
وخلقه عن سبقه معسّرُ
لو طلب المنقا على مثنيه
راكبه ما قاته مطلبُ
الريح تكبو خلفه من ونسِ
والبرق من سرعتيه يعجبُ

(١) الديوان ٨٤ - ٨٥ .

* الحضرة: الجرى أو نوع منه ، ارتفاع الفرس في عدوه ، اللسان : مادة حضر .

يُزْهِى بِهِ كُلُّ زَهَا جَحْفَلٍ
مَجْرُوزٍ يَزِدُّهُ انُّ بِهِ الْمَقْنَبُ*
له تليلٌ مثل ما ينشني
غَضَنُ بِهِ رِيحُ الصَّبَا تَلْعَبُ*
وحافرٌ ان يك ذَا خُضْرَةٍ
فَالْجَوْ مِنْ عَثِيرِهِ أَكْهَبُ*

وهو ابن خفاجة الفرس على طريقة القدماء ، إلا انه يتناولها في البيت
الأندلسية الجديدة ، بيئة الورد والزهر ، والروض والشجر ، فيصورها على نحو طريف ،
يصورها أشجاراً ملتصقة مضيئة ، فحمرة اللون من الجَلَنَارِ والأُثْن من ورق الآس ، وجعل
هذا التصوير اللطيف محاطاً بمعنى من الطرب والنشوة حيث جعل من الغمرة
البيضاء في الوجه الأحمر حياءة تضحك في كأس الخمرة ، يقول (١) :

وَأَشْقَرُ تُضْرَمُ مِنْهُ الْوُغْصَى
بِشُعْلَةٍ مِنْ شُعْلِ الْبِاسِ
من جَلَنَارٍ نَاضِرٍ لَوْنُهُ
وَأُذْنُهُ مِنْ وَرْقِ الْآسِ
يُطْلِعُ لِلْغَمْرِ فِي شَقَرَةٍ
حَبَابَةً تَضْحَكُ فِي كَاسِ

أما في الأعشى التطيلي فالخيل في المعركة شعث النواصي ، شَيَّيَهَا النَقْعُ
وعلى متونهم أبطال أقوياء أشداء ، يقول (٢) :

وَالْخَيْلُ شَعَثُ النَوَاصِي فَوْقَهَا بِهِمْ
خُمْسُ الْعِزَائِمِ وَالْأَخْلَاقِ الْمَرَرِ

- (١) الديوان ١٢٢ . (٢) الديوان ٤٨ .
* المرب : جماعة الخيل والفرسان . اللسان : مادة قنَّب .
* الظنن : العنق ، اللسان : مادة تَلَل .
* الظنن : الغبار ، والعثيرة : الصجاج الساطع ، اللسان : مادة عَثَر .
* الظنن : الغبار والكهبة : غبرة مشربة سواداً في ألوان الأبل . اللسان : مادة كَهَب .

شابت من النقع وارتاب الشباب بها
فغيرت من دم الأبطال بالشَّقَر

وتختال الخيل زهواً في المعارك عندما تستمر الهيجا ويشتعل أوارها
وتضطرم نارها ، وتقطر الخيل عرقاً من شدة الحرب وسرعة العدو ، يقول أبو بكر
ابن العطار الياس من قصيدة أنشدها ابن بسام الشنتريني سنة ٤٨٦ هـ (١) :

والجيش قد جعلت أبطاله مرحاً
تختال من خيلاء السَّبَقِ العتق
إذا تسَّمرت الهيجا أحمدها
ما في مماطفها من ندوة العرق
هي البحور ولكن في كواثبها
عند الكريهة منجاة من الفرق

ويذكر أبو بكر الداني حماداً للمعتمد بن عباد يطير إلى المعركة فان بسبه
يسابق الرياح وينقض كالعقاب ، مزهواً بنفسه ، يقول (٢) :

وأقرب تحمله الرياح أربع
لولا اللجام لطار في الميدان
من جملة العقيان إلا أنه
من حسنه في طلعة الفزنان
يمشي إلى ميدانه متبختراً
من تيهه كتبختر النشوان

ويذكر أبو بكر بن الملح المتوفي سنة ٥٠٠ هـ الخيل في المعركة محدداً
ألوانها ذكراً مهابتها ، فإن بها تصهل صهيلاً كسجع الحمام وتنقفز على الأعداء
انتضاخاً عقبان ، يقول (٣) :

خوافق قد ريشت بجنده الهدى
فطارت ببحر الروم كل مطار

(١) الذخيرة ٢: ١: ٤٦٥ - المصدر نفسه ٣: ٢: ٨١٣ .
(٢) المصدر نفسه ٢: ١: ٤٦٣ - ٤٦٤ .
(٣) المصدر نفسه ٢: ١: ٤٦٣ - ٤٦٤ .

فهنَّ بشدِّ الجرى عِقْبَانُ شاهقٍ
 وهنَّ بألحان الصهيل قمارى
 فمن سابحٍ وردٍ تجلَّيبُ خلقه
 ينسج دم قبل النتاج مزار
 وابلق كالريم المدسى مفضَّضٍ
 تخال بشقيه مسال نضار
 وأشهب تجلوه المعاني كأنما
 تزين منه زندها بسوار
 وأشقر نوري يهَّبُ كأنه
 وقد قدَّحته الحربُ مقبسُ نار
 وأد هم كالليل البهيم تعلَّقت
 به تحت كمَّ الفجر كُفَّ نهَّار
 إذا ما علاه راكبٌ فكأنه
 بفرته تحت المطالب سار
 بلبته خيط المجرة فصلت
 له موهناً أوساطه بسد رارى
 سفينة برَّ سخرت غير أنبها
 تجوب من الالهاب ليج غبار
 تطأطأ من عون الطباع بجاذ فيه
 وتهنأ من لون الأديم بقار
 له خلق لولا توارد غديره
 على عتقه لم ينحرف لنضار

وتخرج الخيل من المعركة ضامرة البطون كأنها فضلات أرسانها ، تخرج
 مسرعة وقد عقد النقع سحابة من دخان وكأنها الشرر ، يقول الاعمى التطيلي (١) :

والخيل لأحقه البطون كأنها
 فضلات ما جرَّت من الأرسان

في غمرة ملء الفضاء حبالها
قصد القنا وجماجم الفرسان
يخرجن من خلل الفبار كأنها
شرر تطاير من خلال دخان

والجواد أصيل عتيق عند أبي محمد بن السيد البطليوسي ، وهو أسود اللون
محجل القوائم ، يفتن النظر ويخلب اللب ، سريع العدو كأنها الرياح تحملها ، والجديد
في الأبيات أن جواد الشاعر يفرح إذا علاه المسلم مجاهداً مقاتلاً في سبيل الله
يقول (١) :

وأدهم من آل الوجيه ولا حق
له الليل لونٌ والصباح حجول
تخير ما الحسن فوق أديمه
فلولا التهاب الخضر ظل يسيل
كأن هلال الأفق لاح بوجهه
فأعيننا شوقاً إليه تميّل
كأن الرياح العاصفات تقلّبه
إذا ابتل منه محزّم وتليّل
إذا عابد الرحمن في متنه علا
بدا الزهو في العطفين منه يجول
فمن رام تشبيهاً له قال موجزاً
وان كان وصف الحسن منه يطول
هو الفلك الدوار في سهواته
لبدر الدياجي مطلع وأفول

وهو عند أبي امية بن عبد العزيز أشهب اللون كالصباح ، يحسده الحاسد

(١) ازهار الرياض ٣: ١٠٩ ، الخريدة ٤: ٢: ٥١٥-٥١٦ ، القلائد ١٩٩ .

عليه ، لسرعته وجماله ، يقول الشاعر (١) :

وأشهب كالشهاب أنحى
يجولُ في مذهب الجلال
قال حسودى وقد رآه
يَجْنُبُ خلفي الى القتال
من أَلجم الضبح بالثريا
وأسرج البرق بالهلال

فالشاعر يربط في هذه الابيات بين وصف الفرس الأشهب وبين مظاهر الطبيعة من الثريا والشهاب والبرق والصبح والهلال .

ويحتفي ابن خفاجة بالخيل وقد انتصرت في المعركة ، فيضفي عليها من الصفات ما يجعلها نشوى بلذة النصر ، فأعطافها تهتز فرحا وكأن الخمر لعبت بعقولها وهي تلعب بأعنتها ، ووجوهها كالمصابيح المنيرة ، يقول (٢) :

وَتَخَايَلَتْ بِهِمُ الْجِيَادُ كَأَنَّمَا
شَرِبَتْ مَعَاظِفُ كُلِّ طَرْفٍ رَاحَا
من كل منصور اللواء اذا سرى
مَثَلَتْ لَهُ عَقَبَى السَّرَى فَارْتَاخَا
وانصاع يضحك وجهه عن غرّةٍ
سالت ويلعب في العنان مَرَاخَا
يَسْرَى بِأَبْلَجٍ مَا أَدْلَهَتْ رَوْعُهُ
الَّا تَلَالُءُ وَجْهِهِ مُصْبَاحَا

(١) عيون الانباء في طبقات الأطباء ، تأليف موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن ابي أصيبعة شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥ م ص ٥٠٩ .

(٢) الديوان ٢٥٢ .

وله من قصيدة قالها حين استرجع المسلمون مدينة بلنسية من العدو، واصفاً الخيل معدداً ألوانها، سابفاً عليها الصفات المعهودة من السرعة وشدة الانقضاض يقول (١) :

ما بين ريح طرادٍ سُميت فرساً
جوراً وليث شرى يدعونه بطلاً
من أدهم أخضر الجلباب تحسبه
قد استعار رداء الليل فاشتعل
واشقر قاني الشربال ملتهب
قد جال يوقد نار الحرب فاشتعل
وأشهب ناصع القرطاس مؤتلق
كأنما خاض ماء الصبح فاغتسلا
تري به ماء نصل السيف منسكباً
يجرى وجاهم نار البأس مشتعل

وهذا حصان أسود كليلة الهجر، طويل شعر العرف، قصير شعر الذيل وهذه من الصفات الحميدة في الخيل تدل على العتق وكرم الأصل، يقول ابن خفاجة (٢) :

وأدهم لولا أنه راق صورة
لما عرفته العين من ليلة الهجر
طويل سبيب العرف والعنق والشوى
قصير عسيب الدّيل والأذن والظهر
له غرة تستحب النصر طلقسة
كفاك بها في سورة الحسن من عشر

وكما وصف الشعراء الخيل في ساحات الوغى وميادين القتال، وصفوها بعيداً عن ذلك في أسفارهم ورحلاتهم، فهذا ابن خفاجة يحدثنا عن سراه فسي

(١) الديوان ٢٠٨ . (٢) المصدر السابق ٢٦ .

ليلة شديدة الظلام ، حيث خفيت نجومها ، فلا ترى فيها شيئاً يلعب إلا السيف وحده
السنان وحصانه ، حيث كان يمتطي صهوة جواد أشهب اللون لا طم به لجة الليل
السوداء ، فسال حصانه غرة في وجد الظلمة وكأن الليل في لون الحصان الأدهم
فكان حصانه ورمحه وسيفه ثلاثة نجوم تضيء وتلمع وسط الظلام ، إذ ثار غبار الحرب
وارتفع مثار النقع ، يقول (١) :

وظلام ليل لا شهاب بأفقه
إلا لنصل مهتدٍ أو لهذم
لا طمت لجته بموجة أشهب
يرمي بها بحر الظلام فيرتعي
قد سال في وجه الدجّة غرة
فالليل في شية الأغر الأدهم
أطلعت منه ومن سنان أزرق
ومهتدٍ غضب ثلاثة أنجم
ان يعتكر ليل العجاجة تستنير
أو يعترض شيطان حرب ترجم
جاذبته فضل العنان وقد طفى
فانصاع ينساب انسياب الأرقم

فحصان الشاعر يمدو مسرعاً إلا انه يجازيه فضل العنان ليهدي من غلوائه
فينساب انسياب الأقمى .

ويمدح أبو بكر يحيى بن بقر قائد حرب ومعه أبطاله وقد انعقدت السماء من
فوقهم دخاناً وتمكن الفرسان من سهوات جياد مضرة ، خوافتها أحق بالتقبيل من
شفاه الحسان لما لها من فضل حماية الوطن والذود عن حياضه ، يقول (٢) :

ترى السماء دخاناً مثلما خلقت
والأرض قد شرقت بالخيل والابل

(١) الديوان ٢٤٤ . (٢) الذخيرة ٢ : ٢ : ٦٢٠ - ٦٢١ .

تمشي بها الخيل لا جرد مطهمة
شني الكواعب في خلوى وفي حلال
من كل مضطمر الكشحين خافرة
أحق من مبسم الحسناء بالقبيل

ولابن خفاجة في وصف جواد الأمير العرابي أبي اسحق ابراهيم بن يوسف
قوله (١) :

وأبلى خوار العنان مطهم
طويل الشوى والشأ وأقود أتلعا*
جرى وجرى البرق اليماني عشية
فأبطأ عنه البرق عجزاً وأسرعاً
كان سحاباً أسحمت تحت لبدته
تضاجك عن برق سري فتصدعا
وحسب الأعدى منه أن يزجروا به
مغيراً غراباً صبح الحي أبقيما
كان على عطفه من خلع السرى
قميص ظلام بالصباح مرقعاً
ركضت به بحراً تدفع مائجاً
وأقبلت أم الرال نكباء زعزعا
يؤلل من أذن فأذن تشوفاً
الى صرخة من هاتف وتطلعا
كان له من عامل الرمح هادياً
منيفاً ومن ذلق الأسته مسمعاً

(١) الديوان ٥٧ .

* الشوى : قوائم الفرس ، اللسان : مادة شواء ، الشأو : الشوط والمدى ،
اللسان : مادة شأى . التلع : طول العنق ، اللسان : مادة تلغ .

فالجواد ضخم كبير عبل الشوى ، سريع في عدوه يسابق البرق فيسبقه ، خالط
لونه الاسود بياض ، فكأنه الليل وقد اقترب الصباح ، ليس له من هم الا اغاثة ملهوف
أو نصره مظلوم ، فيرخي أذنيه مسترقاً السمع الى مثل ذلك .

وصورة خيل الأمير علي بن يوسف بن تاشفين عند الأعشى التطيلي جليية
واضحة فهي كآرام الصريمة أو المها ، وهي بين الرماح المشرقة اللامعة في أيدي
الفرسان كالسفن في لجة الماء ، يقول (١) :

جَلِبَتِ الْخَيْلُ مُشْرِقَةَ الْهَوَا دِ
تَمِزُّ عَلَى قِيَادِكَ أَوْ تَهْسُونُ
كَآرَامَ الصَّرِيمَةِ أَوْ مَهَا هَا
وليس سوى الرماح لها قرون
سوابح من غمار في حديدٍ
فما تدري أخيل أم سفين

وتمتاز الخيل بسرعة العدو ، فهي تسابق الرياح وتدهش البرق وتسبق الطرف
فهذا ابن خفاجة يصف حصاناً أشهب اللون ، سريع العدو ، كأنه الأقعى في الصحراء
أو الدراري لونا في الليلة الظلماء ، يقول (٢) :

رَبِّ طَرْفٍ كَالطَّرْفِ سُرْعَةَ عَدْوٍ
لَيْسَ يَسْرَى سُرَاهُ طَيْفُ الْخِيَالِ
أَنْ سَرَى فِي الدَّجَى فَبَعْضُ الدَّرَارِ
أَوْ سَمَى فِي الْفَلَاحِ دَى السَّمَالِ
لَسْتُ أَدْرِ أَنْ قِيدَ لَيْلَةٍ أَسْرَى
أَوْ تَمَطَّيْتَهُ غَدَاةً قَتَّالِ
أَجْنُوبٌ تَقْتَادُ لِي مِنْ جَنْبِ سَبَبِ
أَمْ شَمَالٌ عُنَانُهَا بِشَمَالِ سَبَبِ

(١) الديوان ٢٠٠ . (٢) الديوان ٣٦٠ .

جال في أنجم من ألى بيض
وقميص من الصباح مزال
أشهب اللون أشقلىته حلبي
خب فيهن وهو ملقى الجلال
فبدا الصبح ملجماً بالثريسا
وجرى البرق مسرجاً بالهلال

أما ابو محمد بن السيد البطليوسي فيصف الحصان وصفاً حسياً ظاهراً
ويمنحه من الصفات ما يجعله مالكا للنواظر حائزاً على حب القلوب ، فهو أصيل عتيق
رحب المنخر ضيق الصدر ، سريع العدو ، لا يسهى الناظر اليه الا التأمل فيه ، يقول (١) :
وأقب من نسل الوجيه ولا حسي
قيد العيون وغاية المتأمل
ملك النواظر والقلوب بحبه
فمتى ترق العين فيه تسهل
ذي منخر رحب وزور ضيق
وسماوة خصب وأرض محمل
قصر له تسع وطالت أربع
وزكت ثلاث منه للمتأمل
وكأنما سال الظلام بمتنه
وبدا الصبح بوجهه المتهلل
وكأنما راكبه على ظهر الصبا
من سرعة أو فوق ظهر الشمال

فهو أسود اللون كالليل في جبينه بياض كالصبح .
وخيولهم في الاغلب سوداء اللون ، يشبهونها بالظلام ، والغرة البيضاء
في الناصية تأتي كالصبح في مقدمة الليل تجمله ، فأبو الفضل جعفر بن شسرف يصف
(١) القلائد ١٩٣ ، الذخيرة ٣: ٢: ٨٩٣-٨٩٤ ، ازهار الرياض ٣: ١٠٨ ،
ومنها ثلاثة أبيات في النفح ٤: ١٥٧ .

فرسه بذلك بالاضافة الى عفة السرعة ، يقول (١) :

لبست أعطافه ثوب الدجى
وتحلّى خدّه بالفلسق

وانبرى تحسبه اجفل عس

لَسَمَةً أَوْ حَيَّةً أَوْ وَلَقْ *

ويصف أبو بحر يوسف بن عبد الصمد فرسا ليحيى بن فانو ابن أخت علي بن يوسف بن تاشفين وقد سرح بروضه مخضرة ، ازدانت بالزهر وكان السماء منحتها نجومها وجادت عليها بكواكبها ، يقول (٢) :

وأصمّ مسودّ القميص كأنما

خلعت عليه ثيابها الظلما

وكانما خاض الصباح فأرضه

مبيضة وسماو دهماء

سامي التليل يروق تحت لجامه

فرع أحم وغرة بلجساء

أطفيت فمشى العرضنة تائها

بيد وعليه الكبر والخيلاء

وخلعت عنه عنانه في روضه

شطأ النبات بها وقاضى الماء

مخضرة زهرت كواكب نورها

فكانها تحت السماء سماء

فهو يتجاوز الصفات المعروفة لدى شعراء العصر من سواد لون وبياض جبين وضخامة جسم الى بعض الصفات المعنوية من خيلاء وتكبر .

(١) الخريدة ٢: ٢٣ .

(٢) الذخيرة ٢: ٨١٢ .

* الولق : الطمن بالسيف وهو أخفه . اللسان : مادة ولق .

وينفخنا ابو بكر يحيى بن بقى بتشبيه جديد ، اذ يشبه الفرس بأنثى المقاب
والفارسان بالأسد ، يقول (١) :

تلك الظباء عراب الخيل دونكم
نهدٌ ووردٌ وذبالٌ ومنجـرد
من كل سابحة طارت بفارسها
كأنها لقوة في عطفها أسبد

ويصف أيضاً فرس القائد المرابطي ابي بكر يحيى بن سبر ، فاذا به أسيل الخد
واسع الشدق ، قوى الصوت ، سريع الجرى ، يتقدم على سواه من الخيل الضامرة ، يقول (٢) :

يا ملكاً لم يزل قديماً
بكل عليها جدٌ وامـق
وسابقاً في الندى أتننا
جياره في المدى سوابق
لله منها أسيل خـد
هريت شدق مثل الجوالق*
ذو وحشة في الصهيل حلت

منه على أكرم الخلائق
أشهب كالرجع مستطير
كأنه الشيب في المفارق
خب غداة المرهان حتى
أجهد في أثره البوارق
ما أنفل أنيساً شاها
متربات مثل البواشق
ويذها شذبا عتاقسا

لم يرضى من حضرها العواتق
فقم يـرـشـحـن منه رشحا
مطيات به المخائسـق

(١) القلائد ٢٢٩ . (٢) الخريدة ٤: ٢٤٤ - ٤٢٥ .
* الجوالق : الاوعية الكبيرة ، معرب ، اللسان : مادة جلق .

أفديه من شافع لبيـ
قد كُنَّ عن بغيتي عوائق

ولم يكن شعراء الطبيعة في عصرنا ليقصروا شعرهم في وصف الخيل على
وصفها في المعارك ، أو بعدها وقد انتشت بالنصر ، أو وصفها وحدها بعيدة عن
جَوِّ الحروب ، والخيل في هذه الحالات الثلاث سريعة العدو ، رحية المناخير ، ضيقة
الصدور ، ضخمة الاعضاء ، محجلة القوائم ، قصيرة الشعر ، وهم يعرفون عتق الجسود
من نظرتهم ويتفرسون أصله في مقلته وليس في عدوه ، يقول ابن عارة الشنتريني (١) :
والطَّرْفُ يَعْلَمُ عَتَقَهُ مِنْ طَرَفِهِ
قبل احْتِمَاءِ الْخُضْرِ فِي أَفْخَادِهِ

والفرس عند شعراء العصر شأنه عند الشعراء الاوائل ، كريم مبرز ، يحافظ عليه
ويقدم له ما يلذ للعربي شربه وهو اللبن ، فهم يقدمون لخيولهم الماء الزلال واللبن
الصافي ، يقول ابو بكر بن بقسى (٢) :
لكن علي سابع نهدي مراكله
موالل الجيد والارساغ والاذن
أقام في الحي أحوالاً وآونة
يُسْقَى الْخَلِيطِينَ كُنْ ماءً ومن لبن
فجاءه ان صنموه وهو مضطمر
سامي التليل ممر الخلق كالشطن
يهوى من الارض أتى شاء راكبه
ويترك الريح في الارى والرسن

وهو أشقر اللون كأنما هو الخمر أو الجمر ، خفيف الحركة كطيف النسيم لا تشعر
به القطا رغم حذرهما وشدة تيقظهما وقلة نومها ، يقول ابو محمد بن عبد الغفور كاتب

(١) الخريدة ٢ : ٢٦٤ .

(٢) الذخيرة ٢ : ٦٣٥ .

علي بن يوسف بن تاهن (١) :

بأشقر وقاد الالهاب كأنما
تجسم من جمر صريح ومن خمر
أطل بهاديته على كل ربيعة
كما نهبت نار المعالم للسفر
خفي السري كالطيف لم يسم الندي
يوقع ، ولم يشعر به نوم الكدر
تود الثريا ان تكون عقيقه
وان كان الوى السماكين والنسر

أما جواد ابن الزقاق فهو شديد العدو يلهب الارض فيتطاير الحصى والشرر
من وقع اقدامه ، يفوق الرياح الهوجاء السريعة سرعة ، وقد حذوه الحديد ظلماً
وكان الاولى ان يحذوه الذهب الخالص ، يقول (٢) :

وأد هم لولا سنا غسرة
له لكسا البدر منه سرارا
تلهبت الارض من عدوه
فأورى بزند الصفا الصلد نارا
أقرب اذا ما تعاطى السبق
مع الهوج أوشقهن اسارا
حذوه الحديد اهتضاماً وظلماً
ولو أنصفوه حذوه النصارا

ويمدح الاعمى التطيلي الامير علي بن يوسف بن تاشفين ، فيسبغ عليه كثيراً من
الصفات التي اعتاد الشعراء مدح الامراء بها ، كما يهب الممدوح الخيول المضمرة
التي تشبه العقبان ، يقول (٣) :

- (١) الخريدة ٤: ٢: ٤٢٧ .
- (٢) الديوان ١٧٥ .
- (٣) الديوان ٢١٩ .

الواهب الخيل عقباناً مسومة
لو سُومت - قبلها في الجوّ - عقبان
من كل ساغ أمام الريح يقدّمها
منه مناة وإن شئت فسرّحان
مجنّة تصف الانوار غرّتُها
ونبّة يدعى أعطافها البسان

وان كان الاعى التطيلي يأمل ان تكون الخيل من عطايا الممدوح وهباته
فابن خفاجة يعتبرها هدية أخ لأخيه ، يقول (١) :

تقبل المهر من أخي ثقة
ارسل ريحاً به الى مطر
مشتلاً بالظلام من شيسة
لم يشتعل ليلها على سحر
منتسباً لونه وغرّتُها
الى سواد الفؤاد والبصر
تحسبه من علاك مسترقاً
بهجة مرآى وحسن مختبر
عن الى راحة تفيض ندى
فمال ظلّ به على نهـر
ثرى به والنشاط يلهمُّه
ما شئت من فحمة ومن شرر
لو حمل الليل حسن دهمته
أمتع طرف المحبّ بالسهر
أحي من النجم يوم معركة
ظهراً وأجرى به من القدر

اسودَّ وَابيضَّ فَعَلَهُ كَرَمًا
فَالْتَفَتَ الْحَسَنُ مِنْهُ عَنْ حُورٍ
كَأَنَّهُ وَالنَّفُوسُ تَعَشِقُهُ
مَرْكَبٌ مِنْ مُحَاسِنِ الصُّورِ

فالشاعر يهدى المدح مهرأً أسرع من الريح ، وهو جواد قد تسربل بالظلام
كثير النشاط ، وافر الحركة .

لقد حظيت الخيل بشعر وافر لدى شعراء العصر ، ولا عجب في ذلك ، فلها
من الأهمية الشيء الكثير ، فعلى ظهورها يحاربون الأعداء ومن فوق سهواتها يخوضون
المعارك والمعارك ، أضف على ذلك أنها حيوان أليف سريع ، صلة العربي به قديمة
جداً .

وقد اهتم الشعراء بالصفات الجسدية الظاهرة للعيان وأسبغوها على
خيولهم ، فهي عندهم بين أدهم اللون أو أشبهه ، ضامرة البطون طويلة القوائم
سريعة العدو ، تتساب في القلوات وبين الهضاب وفي السهول انسياب الأراقم .

كما حظيت الخيل عندهم بكثير من العناية والرعاية ، واستحوذت على
قلوبهم وفتنت أنظارهم ، فحوافرها أحق من شفاء الحسان بالقبل ، وجوران تحذى
بالحديد بل هي تستحق أن تحذى بالذهب ، وتشرب الخيل من أفضل ما يشربه
الإنسان وأهمه الماء واللبن .

الذئب والكليب

ليس وصف الذئب والكلب جديداً على الشعر العربي ، فالذئب حيوان
صحراوي ، وبيئة العرب الاولى بيئة صحراوية ، لذا كثر وصفه عند الشعراء ، وقد وصفه
الفرزدق في قصيدته (١) :

وأطلس عسال وما كان صاحباً
دعوتُ بناري موهناً فأتانسي

كما وصفه البحتري في قصيدته التي مطلعها (٢) :

وأطلس ملء العين يحمل زوره
وأضلعه من جانبه شوى نهْدُ

وكذلك وصفه الشريف المرتضى في قصيدته (٣) :

وليلة بتنا بالثنية سهدا
وما حشوها إلا ظلام وحندس

وقبل هؤلاء جميعاً وصفه الشنفرى في لاميته المعروفة بلامية العسرب .

وكذلك الشأن بالنسبة للكلاب عامة وكلاب الصيد خاصة ، فقد أكثر الشعراء
من وصفها وهي تلاحق الصيد أو وهي تهاجم الثور الوحشي فتصرعه تارة ويصرعها
أخرى .

أما في الشعر الاندلسي فقد قلَّ وصف الكلب وندر وصف الذئب ، وأرى أن ذلك
يعود للبيئة الطبيعية الاندلسية نفسها ، فهي بيئة زراعية بالدرجة الاولى ، فقلَّ
وجود الذئب فيها ، ولم يكن أهل الاندلس مولعين بالصيد نظراً لاشتغالهم في الزراعة
وقضاء أوقات اللهو والاستمتاع - التي كان يقضيها المشاركة في طريدياتهم - في

(١) ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ م . المجلد الثاني ص ٣٢٩ .

(٢) ديوان البحتري ، تحقيق كامل الصيرفي ، المجلد الثاني ، الطبعة الثالثة ،
دار المعارف بمصر ، ص ٧٤٣ .

(٣) ديوان الشريف المرتضى ، تحقيق رشيد الصفار ، القسم الثاني ، طبع بدار
أحياء الكتب العربية ، ١٩٥٨ ، ص ١١٨ .

الرياض والحدائق بين الازهار ، يأكلون الفاكهة وينعمون بالثمار ، فلا غرو والحال
هذه ان قل وصف هذين الحيوانين في أشعارهم ، فالبيئة الطبيعية هي العامل
الاول في ذلك .

الا أننا عثرنا على بعض مقطوعات فيهما ، جاء معظمها على لسان شاعر
الطبيعة الملمهم ابن خفاجة .

ومن أوائل الذين وصفوا كلاب الصيد ابن المرعزي النصراني الاشبيلسي
الذي ظهر في دولة المعتمد بن عباد حيث وصف كلبة صيد ، فهي ملهى للمقتضين
صفراء اللون ، نحيفة في قوة ، تنفذ كالسهم خلف صيدها وقد اتخذت أنفها دليلا لها
ومرشدا ، يقول (١)

لم أر ملهى لذي اقتناصٍ
ومقنع الكاسب الحريص
كمثل خطلاء ذات جسدٍ
أغيد تبرية القميص
كالقوس في شكلها ، ولكن
تنفذ كالسهم للقتيص
ان اتخذت أنفها دليلا
دل على الكامل العويص
أو ارسلوها وراء برق
لم يجد البرق من محيص

يرصف ابن خفاجة كلبا مطوق العنق بالبياض ، أسود الوجه وقد حاط البياض
برقبته وكأنة الليل لفه الصباح ، والشاعر يستخدمه في الصيد لذا فهو سريع العدو
وحاسة الشم عنده قوية ، يقول (٢) :

وأخطل لو تعاطى سبق برقٍ
لطار من النجاح به جناح

(١) المغرب (١: ٢٦٩) . (٢) الديوان ٥٤ .

يسوف الارض يسأل عن بينها
فتخبر أنفه عنها الرياح
أقْبُ اذا طردت به قنيصاً
تنكَب قوسه الأجل المتاح
أضل برأسه ليل بهيم
فشد على مخنقه صباح

ويرسم ابن خفاجة صورة جميلة بأسلوب سهل ميسر لمطاردة كلب الصيد المحجل
الأربع، المطوق العنق بالبياض لأرنب فرّ هارباً أمامه وهو يلاحقه في الصباح الباكر
يعلو الرنب والوهاد، يقول (١) :
وأطلس ملء جاشعفة خسوف
لأشوس ملء شدقيه سلاح
نجا هارباً يطير حذار طاووس
له ركض يفض به السبراح
وأعجب ان يقلب ذيل ليل
أخم وقد أجد به الروحاح
يجول بحيث يكشر عن نصال
مؤلفة وتحمله رُمساح
فطوراً يرتقي حذب الروابي
وآونة تسيل به البطساح
جرى شداً وللصبح التساع
بحيث جرى وللبرق التماسح
فخلخله وسوره وميها
جرى معه وطوقه صباح

وكذلك الشأن بالنسبة للذئب ، فقلما كان يرد في شعر العصر ، يصف ابن خفاجة ذئبا ، فإن به مراوغ ، مغبر اللون ، حاد السمع ، حذر في السير ، يقول (١) :
ولرب رواغ هناك أنبط

ذلقر المسامع أطلس الأطمار
يجرى على حذر فيجمع بسطه
يهوى فينعطف انعطاف سوار

ويسرى ابن خفاجة ليلاً ، حيث لا جارا إلا الحسام ، ولا دار إلا زهور الركائب فيفاجئه ذئب أغبر اللون ، أخذت عيناه تلمعان كالنجم الثاقب في كبد السماء ، وقد كثر عن أنيابه وهمم بافتراسه ، إلا أن ابن خفاجة لا يصور لنا عراقاً ولا يحدثنا عنه بأكثر من بيتين من الشعر ينتقل بهما إلى وصف الجبل ، يقول (٢) :

فَمَزَّتْ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْ شَخْصٍ أَطْلَسَ
تَطَلَّعَ وَضَّاحَ الْمَضَاحِ قَاطِبَ
رَأَيْتَ بِهِ قِطْعاً مِنَ الْفَجْرِ أَغْشَا
تَأَمَّلَ عَنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ ثَاقِبَ

ويجتاز ابن خفاجة فلاة موحشة ، وقد أرخى الليل عليه سدوله فاشتمل به بظلامه الدامس ، فات بذئب يسرى مع الصباح الباكر وقد اقشعر جلده من البرد وعيناه تلمعان كالنار ، يقول (٣) :

قَدْ لَفَّنِي فِيهَا الظَّلَامُ وَطَافَ بِي
ذئبٌ يَلِمُ مَعَ الدَّجَى زَوَّارُ
طَرَّاقُ سَاحَاتِ الدِّيَارِ مَقَاوِرُ
خَتَّالُ أَيْنَاءِ السُّرَى عَدَّارُ
يسرى وقد نضح الندى وجه الصبا
فِي فَرَوَةٍ قَدْ مَسَّهَا اقْشِمَرَارُ
فَعَشَوْتُ فِي ظُلُمَاءٍ لَمْ تُقَدِّحْ بِهَا
إِلَّا لِمَقْلَتِهِ وَيَأْسِي نَسَارُ

(١) نهاية الارب ٩ : ٢٧٢-٢٧٣ . (٢) الديوان ٢١٦ . (٣) المصدر نفسه ٨٦ .

وأرى أن التوفيق لم يحالف الشاعر كثيراً ، حيث التناقض باد في البيئات
 فالشاعر في الصحراء والذئب جواب ساحات الديار قاصداً افتراس الأطفال والصفار
 الذين باكر آباؤهم إلى أعمالهم ، وهو - الذئب - يسرى ، والسرى هو السير في
 أواخر الليل مع بدايات الصباح حيث تكون الظلمة أقل حلكة وسواداً ، لكنه في البيت
 الأخير يجعل الوقت شديد الظلام ، عشاء ليس من مضي ، إلا بريق عيني الذئب وقوة
 عزيمة الشاعر .

وان كان الذئب يلتمس الزاد عند الفرزدق ويطلب القرى عند البحترى ، فيقاسمه
 الأول الزاد ويشاطره فيه (١) ويصرعه الثاني (٢) فان ابن خفاجة لم يصور صراعاً
 بينه وبين الذئب ولم يقرى ذئبه إطلاقاً ، فان زاره في الليل وقد طواه الجوع فأخسذ
 يتلوى من شدته فيعوى تارة ويتثأب أخرى ، فيفريه الجوع بالشاعر ويكاد يفعل لولا
 تخوفه من سيف الشاعر الذي يلعب بين يديه كالشرر ، فيخشى الذئب ذلك ، فينثني
 دون أن يصل إلى أمانيه ، يقول ابن خفاجة (٣) :

وأطلس زوار مع الليل أغش

سرى خلف أستار الدجى يتنكر

تثأب من مس الطوى فهو يشتكي

فيعوى وقد لفته نكباء صرصر

ودون أمانيه شرارة لهم

يقلب فيها مثلها حين ينظر

فمن جوعة تفريه بي فهو يدني

ومن روعة تنيه عني فيقص

(١) الديوان ٣٢٩ : ٢ ومطلع القصيدة

وأطلس مسال وما كان صاحباً

(٢) الديوان ٧٤٣ : ٢ ومطلع القصيدة

وأطلس مل العين يحمل زوره

(٣) الديوان ١٨٠٠ .

دعوت بنارى موهنا فأتاني

وأضلاه من جانيه شوى نبت

إذا كان الحيوان الصحراوي كالثعلب والنمر والحمار الوحشي والظباء والوعول . . . قد قلَّ وجوده في البيئة الاندلسية ، فإن الطيور كثرت فيها لأنها بيئة شجرية تجد فيها - الطيور - أماكن تبني فيها أعشاشها بين الفصون الملتفة ، كما تجد فيها مكاناً رحباً للفناء والصداح حيث الطعام المتوفر في الفاكهة والثمار ، ومن أهم هذه الطيور الحمام والزرزور والعقاب والأجدل - الصقر - والنسر .

وقد وصف شعراء الطبيعة في العصر هذه الطيور وتحدثوا عنها في أشعارهم - وإن كان اهتمامهم بوصف الطبيعة الصامتة أكبر - فالحمام عندهم يقترن بحدِيث البكاء والنواح ، وهي تشير ببكائها ونواحها فيهم الشاعر والأحاسيس والشجون .

فالحمامة تبكي فتهمز عاطفة الشاعر أبي بكر بن سوار وتزيد له لوعة وغراماً ، وهي كثيرة البكاء حيث نضب دمها فبكت دماً ظهر على نحرها ، يقول (١) :

بكت لم تُسل دمعاً وهي أمرت
ولا أفصحت معنى بلحن كلام
ولم أر أشجى من بكاء بعثته
فزد دمه في لوعتي وغرامسي
نوائح ما غاضت دموع جفونها
على السكب الآ والخلوع حوام
وما ذ لك المحمر فيهن خلقة
ولكنها ما بكين دوامسي

وهي تؤثر تأثيراً كبيراً في الشاعر أبي بكر محمد بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة الملتصين فتثير فيه الغرام والهوى المحب إلى النفس (٢) :

لقد صدعت قلبي حمامة بانة
أثارت غراماً ما أجل وأكرما

(١) الذخيرة ٢: ٢: ٨٢٤ .
(٢) المفهرج ٢: ١٦٣ .

وبهيج الحمام ابن خفاجة ، حيث بات ضانا بسرّه يناجي الليل وحده
شاعراً بالحسرة واللوعة ، فيهيج حمام يياكر صادحاً ، يقول (١) :

وبتٍ وسرى راكبٌ ظهر مدسجٍ
طليقٌ إذا ما أنجد الراكب أتهما
أناجي سواد الليل فيه بلوعةٍ
تحدث عنها الطير فهينما
وأسحب أنيال الدجى فيهبجني
حمامٌ تداعى سحرة فتكلمنا

وبلي القاضي عياض (١٤٥ هـ) القضاة بمدينة (داي) فيشعر بالغربة
والبعد عن الأهل ، فيحس بتعاطف مع الحمام الذي أثار ببكائه لواجع القاضي ، ذلك
البكاء الذي قد يكون بسبب تغرب الحمامة عن وطنها ، فهما مشتركان في الاغتراب عن
البلد الأم ، فلتطارحه بشدوها ولتسعه بنواحيها ، يقول (٢) :

أقمرية الأذواح بالله طارحي
أخا شجن بالنوح أو بفننا
فقد أرقنتي من هديك رنة
تهيج من شوقي ومن برحائي
لعلك مثلي يا حمام فأنني
غريب بداي قد بليت بداي

وسجع الحمام وحفيف الراك يشوق ابن خفاجة ، فيشتركان في البكاء فيختلط
الأمر علينا فلا نعرف أيهما يبكي حرقة الحب ولوعة الوجد ، أهو الشاعر الباكسي أم
الحمام المترنم ؟ يقول (٣) :

وما شاقني إلا حفيف أراك
وسجع حمام بالفميم ترننا

(١) الديوان ١٧٢ .

(٢) أزهار الرياض ٤ : ٢٦٧ . (٣) الديوان ٢٣٦ .

وحسبك من صَبِّ بكي وحمامسة
فلم تدرِ حقاً أيما الصبِّ منهما

وتبكي الحمام في جناح الظلام بكاءً مرّاً تُمزّقُ له القلوبُ فكأنها تنوح في مأتم لها
فيشير هذا في نفس الشاعر - ابن خفاجة - ذكريات الصبا ويحيي عنده عهد الهوى
المتقادم والحب المنصرم ، يقول (١)

ألا أطربتني والكريم طروبُ
حمام تبكي والبكاء ضروبُ
لها خلف أستار الظلام مأتمُ
تُمزّقُ فيها للقلوب جيوبُ
سجمن وعهدى بالهوى متقادم
فعاودت شجوى والخطوب تنوبُ

أما أبو بكر بن بقلّى فالمطوقة تعلمه الشوق بهدي يلها الذي لم تفصح عنه
وقد أخذت في الفناء سحراً والذي يتساقط عليها ، وهي على ذرى الأفنان تصدح
بشدوها فيحرك في الشاعر احساسه ويشير لواعجه دون ان يفهم له سرّاً كأنه حديث
روم ، يقول (٢) :

لم أعلم الشوق إلا من مطوقةٍ
فهست عنها الذي قالت ولم تبين
لا مثلها وسقيط الطلّ يضرّ بها
في عاتقي حلّة من سندس اليمين
تذگرت ساق حرّ وهي تندبُه
بالأخضرين من الظلما والفسن
كأنهن بأعلى الدوح ان سجمت
روم تراطن بالألفاظ من فسدن
والنجم منهزم أولى كتائبه
والصبح يفسل ثوب الليل من درن

(١) الديوان ٢٩٨-٢٩٩ . (٢) الذخيرة ٢: ٢: ٦١٩ .

والروض يرشف ريقَ الطلُّ عن ترف
وليت لي مثله ممَّن يعذبني

ويهبز لحن الحمام ابن خفاجة حيث شرعن في الغناء فجراً ، فهش الشاعر
الى ذلك الغناء الشجي ، واحتفى به لأنه نعمة وبشرى خير (١) :

ونشوان غنَّته حمامةً أَيْكَةً
على حين طُرفُ النجم قد همَّ أن يكرى
فهبَّ وريحُ الفجرِ عاطرةُ الجنى
لطيفةٌ مَسَّ البَرْدِ طَيِّبَةُ الْمَسْرِى
وطافَ بها والليلُ قد رثَّ بَرْدُهُ
وللصبح في أخرى الدجى مَنكَبٌ يعرى
وأصغى الى لحنِ فصيحٍ يهبزه
كما هزَّ نشرَ الريحِ ريحانةً سَكَسَرى
تهشُّ اليه النفسُ حتى كأنَّه
على كبدٍ نَمَى وفي أذنٍ بَشَرى

وتغني حمامة ملونة وتأخذ في النوح ، وقد لمع البرق ، فتشهد عين ابـن
الزقاق لبكائها ويأرق لنوحها ويطلب اليها ان تخبره عن مكان له فيه ذكريات جميلة
لا يسمعه الا أن يبكي عهوده فيه ، يقول (٢) :

ومرَّنةٌ قد حثَّ زنادُ صبابتي
والبرقُ يقدحُ في الظلامِ شرارهُ
ورقاءُ تَأْرُقُ مقلتي لبكائها
ليلاً اذا ما هَوَّمتُ سُسَمَّارَهُ
ايه بعيشك يا حمامةُ خبرى
كيف الكتيبُ ورنده وعِرارُهُ

أَتَنَفَسْتُ بِتَنَفْسِي أَثَلَاتُهُ
أَمْ أَيْنَعْتُ بِمَدَامَعِي أَزْهَارُهُ

وتبكي الحمامة الفها المفارق وتبكيه بنواحيها ، فلا يملك أبو بكر يحيى بن بقى
أن يوقف دموعه عن الانهمار استجابة لذلك الصوت الشجي الذي يفوق اشراً غناءً معبد
الشهير بفضله هذا ، فهو غناءً مستقى من النفس المكشوفة لفقد الأليف ، يقول (١) :

طُفْتُ بِالْأَيْكِ فَاسْتَهَلْتُ دُمُوعِي
لِحَمَامٍ تَبْكِي فِرَاقَ حَمِيمٍ
تَتَفَنَّى الثَّقِيلَ حَتَّى كَأَنَّ قَدْ
نَشَرَ اللَّهُ مَعْبِدًا مِنْ رَمِيمٍ
عُجْمَةً أَعْرَبَتْ بِوَجْدٍ دَقِيقٍ
وَكَلَامٍ مُقَطَّعٍ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ

ويشبهه الشاعر عبد الجليل بن وهبون رؤوس الأعداء الذين سقطوا في واقعة
الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ وقد ربطت الى جذوع الأشجار وعلقت فيها بالحمام ، يقول مادحاً
الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي (٢) :

رَفَعْنَا هَامِهِمْ فِي كُلِّ جَسَدٍ
كَمَا ارْتَفَعَتْ عَلَى الْإَيْكِ الْحَمَامُ

ولولا سجع الحمام وشدو الهديل لما كان ابن خفاجة منشداً أو شاعراً ،
فالتجاوب كبير والتعاطف شديد بينه وبين الحمام ، يقول (٣) :

سَجَعْتُ وَقَدْ غَنَى الْحَمَامُ فَرَجْعًا
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْ تَفْنَى لَأَسْجَعَا

(١) الذخيرة ٢: ٢: ٦٣١ .

(٢) المصدر السابق ٢: ١: ٢٤٧ .

(٣) الديوان ٥٦ .

ويغترب ابن خفاجة عن بلده ويبتعد عن جزيرة شقر موطنه ، فيحن إليها
فما بكاء الحمام ولا نوح الورق التي فقدت الفها وابتعدت عنه ، فبكته وبكت أعشاشها
بأكناف المشقر ، بأشد ألماً وجزعاً ، وأعمق حنيناً وأصدق شوقاً الى ذلك من الشاعر
الى وطنه ، يقول (١) :

فما بنت أيك بالعراء مرنة
تنادى هديلاً قد أضلته نائياً
وتندب عهداً قد تقضى برامة
ووكراً بأكناف المشقر خالياً
بأخفق أحشاء وأبني حشية
وأضرم أنفاساً وأندى مآقيا

وتشاطر الحمام شعراء العصر المصاب ، وتبكي معهم الحدث ، وترثي المتوفي
وتشارك الشاعر الحزن ، يقول أبو بكر بن سوار في رثاء الأمير يوسف بن تاشفين المتوفي
سنة ٥٥٠ هـ (٢) :

وانا سمعت حمامة في أيكسة
تبني الهديل فانها ترثيه

وكذلك تشارك الاعشى التطيلي في رثائه ، فتنوح على أغصانها ، وتلبس الحداد
باكية الهديل جدها الاول . فسالت دموعها دما كسا مناقيرها وسوقها الحمرة
المشوبة بالسواد ، فهي آخذة في البكاء على أغصان الحدائق ، يقول (٣) :

واعد عليه بنات الهديل
علون فنونا ونحن افتنانا
شكالى يرددن من شجوهن
اسى عز فيه التأسى وهاننا

(١) الديوان ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٢) الاحاطة ٣٥٣ : ٤ .

(٣) الديوان ١٩٠ .

لبسنَ الحِدادِ مكانَ الحُلِيِّ
فَقُمْنَ يحاسِنَ فيه الحسانا
وكم حاسدٍ ظَنَّهُ زَيْنَسَةً
ويأبى لها تُكَلِّها أن تُزانا
وهل هو إلا شجى لم تُسِفِّه
فلاح بأجيادها واستباننا
وسال بها سَيْلٌ دمع الفراق
فَرَدَّه تُرد كبدًا أو جناننا
كسا سوقها ومناكيرها
وأَعْيَنَها عَنَدَ ما أَوْرقاننا *
والا تَكْفِكُهُ شَيْئًا يَضُرُّج
جَاجِئِها والفصون اللداننا *
وقد حسدتك القيانُ الحنينُ
فهلَّا حسدت السُرورَ القيانا
صواحٍ أن فرعت أَيْكُةً
حسبت لها كل عُصْنٍ كَراننا *

ووصف الشعراء بعض الطيور الجارحة ومنها الباز ، فهذا عبد الجليل بن وهبيون
يصف بازياً ، فازا مخالبه كالسيف حدة ، وعيونه متوقدة وبصره حديد ، يفوق الرياح
سرعة ، يقول (١) :

وصارم في يدك منصلت
لو كان للسيف في الوغى روح
يجتاب ما لبست ضافية
لها على معطفيه توشيح

(١) التلائد ٢٤٤ .

- * الرنان : الحناء ، اللسان : مادة رغن . * فرعت : اعتلت ، اللسان : فرع ،
الكران : العود ، اللسان : مادة كرن .
* جَاجِئِها : عدورها والجوء جو : الصدر وقيل عظامه ، اللسان : مادة جَاجَأ .

متقدُّ اللحظ من شهامتِه

فالجو من ناظريه مجروح

والريح تهفو كأنما طلبت

سليها في يمينك الريح

ويستهدى أبو بكر بن القبطرنة بازياً للصيد ، طالباً الى مدوحه أن يُمَنَّ عليه به — كما طوق عنقه بعطاياه الكثيرة — ليتمكن من ممارسة الصيد ، فيستطيع ببازيه اقتناص صيده ، يقول (١) :

حَلَيْتَ بِالنِّعَمِ الْجِسَامَ سَمَاحَةً

عُنُقِي فَحَلَّ يَدِي كَذَاكَ بِأَجْدَلٍ

وَأَمِنَ بِهِ صَافِي الْجَنَاحِ كَأَنَّمَا

خَذَيْتَ قَوَادِمَهُ بِرِيحٍ شِسْمَالٍ

أَغْدَوْ بِهِ عَجْباً أَصْرَفُ فِي يَدِي

رِيحاً وَأَخَذَ مُطْلَقاً بِمُكَبَّلٍ

وكانوا يستخدمون الباز — الأجدل — في الصيد ، حيث يهجم على الفريسة فيصمِّل فيها ظفاره ومنقاره فيقتنصها ليعود الى صاحبه ، يقول ابو غالب بن تمام (٢) :

وَأَجْدَلٍ أَقْلَقَهُ فَرَطُ الْقَرَمِ

أَطْلَقَتْهُ بَيْنَ الْكِرَاكِي وَالرَّخَمِ

فانتهرز الفرصة لما ان هجم

فعاد للكب وما شكا أَلْسَمِ

يسح منقاراً علاه نضح دم

ككاتب يسح حبراً عن قَلَمِ

ومن الطيور الجارحة العقاب والنسر ، وهي طيور قوية تهجم على الفريسة بعنف وشدة ، يقول ابو غالب بن تمام واصفا العقاب في انقضاضه على فريسته (٣) :

(١) الذخيرة ٢: ٢: ٧٦٩ (٢) المصدر السابق ٣: ٢: ٨٣٢

(٣) المصدر السابق ٣: ٢: ٨٣١

ان العقاب له بطشٌ يهابُ به
 للطير عنه بذاك البطش تكميش
 كأنه في اختراق الجو مندفعاً
 الى الفريسة ريحٌ ضمها ريش

أما النسور فتقع على القتلى فتمزق منهم الأجساد ، وتصطبغ بالدماء وكأنها
 النساء وقد خضبت صفائرهما بالحناء ، يقول الشاعر نفسه (١) :
 ترى النسور والقتلى على عدد الحصى
 وقد مزقت إحشائها والترائبها
 مخرجةً مما أكلن كأنهن
 عجائز بالحناء خضبن ذوائبها

ومن الطير الزرزور وهو طائر متوسط الحجم يألف الأشجار ويصدح على
 أغصانها ، ومن الذين وصفوه أبو القاسم المنيشي المعروف بعض الأعمى ، فيصوره
 على أنه خطيب مفوه بليغ ، قد امتلى قضيباً في شجرة فوعظ بخرسه ما يُعجز
 الفصيح ، يقول (٢) :

أمنبرُ ذاك أم قضيبُ
 يقرعه مصقع خطيبُ
 يختال في بردتي شباب
 لم يتوضح بها مشيبُ
 كأنما ضمخت عليه
 أبراده مسكنة وطيبُ
 أخرس لكنه فصيحُ
 ابله لكنه لبيبُ
 جهم على أنه وسيمُ
 صعب على أنه أريبُ

أما الطيور الأخرى عامة فهي تغرد في ندى الأغصان وأعالى الأفنان كأنها
القيان يعزفن ويعنّين بأصواتهن العذبة ، يقول أبو محمد بن عبدون (١) :
والطيرُ في ورق الأشجار شاديةٌ
كأنهنَّ قيانٌ خلف أسستار

ويقول ابن خفاجة (٢) :
ومناهر الأشجار قد قامت بهـا
خطباءٌ مفصحةٌ من الأَطيار

(١) الذخيرة ٢: ١٠٣٠ .

(٢) الديوان ٣٤ .

أحياء أخرى :

ونجد عند شعراء العصر وصفا لأحياء أخرى ، وإن كانت هذه الأحياء لم تنل من العناية حظا كافيا ، ومن هذه الأحياء النوق والضان والبقر والهرم والنعام وبعض الهوام مثل البعوض ، وأرى أن قلة الشعراء فيها تعود لقلّة وجودها في البيئة الطبيعية الاندلسية ، فالجمال حيوان صحراوي لم يعرفه الاندلسيون إلا في عهد المرابطين ، وهم في وصفهم لهذا يسبقون عليها الصفات التقليدية التي نجدها عند الشعراء الجاهليين ، فالأعشى التطيلي يسبق على ناقته من الصفات الجسدية ما يفيد القوة والشدة والضخامة والقدرة على تحمل مشاق السفر ومعاناة متاعب الصحراء فهي عرّمسٌ وجنّاء ، سريعة السير ، يقول (١) :

أما ترى العرّمسَ الوجنّاء كيف شكت
طول السّفار فلم تعجز ولم تخسر*
تسرى ولو أنّ جَوْنَ الليل معرّكة**
من الرّدى كاشرا فيها عن الظفر
باتت توجّى ، وقد لانت مواطئها
كأنها انما تخطو على الأبرس*
من كل ناجية الآمال قد فصلت
من الرّدى فحسبناها من البكر
تخشى الزمام فتثنى جيدها فرقا
كأنه من ثنى حيّة ذكر
تجرى فللما ساقا عائم درب
وللرياح جناحا طائر ذكر

(١) الديران ٥١ - ٥٢ .

* العرّمس: الناقة الصلبة الشديدة. اللسان : مادة عرّمس. الوجنّاء : التامة
الناق الفليضة لحم الوجنة ، اللسان : مادة وجن . خارت : الخور : الضعف
اللسان : مادة خور .
* توجّى : ألوجا ، أن يشتكي البعير باطن خفه والفرس باطن حافره لكثرة السير
والزعج ، اللسان : مادة وجا .

قد قَسَمْتُهَا يدَ التدبيرِ بينهما
 على السواءِ فلم تسبح ولم تطر
 أُمَلَّتْهَا فاستبانَتْ نصفَ دائرةٍ
 لو كَلَفْتُ شأوها الأفلاك لم تدر
 بهيمة لو توقَّى كنهَ شَرِّتها
 لفاتت الخيل بالاحجال والفرر

والأبيات من قصيدة قالها الشاعر يمدح فيها الطبيب الأندلسي أبا العلاء
 ابن زهر المتوفي سنة ٥٣٥ هـ ، وهو ينهج نهج الشعراء الجاهليين في تصويره
 لمشاق الرحلة ومعاناة السفر وقسوة الصحراء وما لقيته مطيته من التعب وما لحقها
 من الإرهاق والنصب ، على أنها تجعله نحو المدوح مسرعة في لهفة للوصول اليه
 حيث الراحة والخير .

أما أبو الفضل جعفر بن شرف فيحث مطاياها من الأبل بسوطه لمزيد من السرعة
 فهو متوجه الى ديار الأحبة ، ويكاد الشوق يقتله في حين الأبل لا تعاني مما
 يعاني ولا تحس بما يحس ، فهو شديد الزجر لها ، يلهبها سياطاً ، يقول (١) :
 ما الرسمُ من حاجة المهرية الرسمُ
 ولا ترام المطايا عند نى أرم*
 رَدِّي لنا اللحظ تهدين الركاب فما
 بالبيد للركب من هائل ولا علم
 حُثِّي المطيَّ وشدي في دوائرها
 هذا أوان انقضاء الشد من زيم*

(١) المغريدة ٤: ٢: ٣١ ، القلائد ٢٥٣ .

* المهرية : نسبة الى مهرة ، والصحيح كما جاءت عند ياقوة بالتحريك وهي قبيلة

مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة باليمن تنسب اليها الأبل
 معجم البلدان ٥ : ٢٣٤ . مهرة . الرسم : الأثر ، اللسان : مادة رسم ،
 الرسم : التي تؤثر في الأرض من شدة الوطء ، اللسان : مادة رسم . أرض : مكان
 اللسان : مادة أرم . *

* زيم : اسم فرس جابر بن حنين ، قال الحجاج في خطبته (هذا أوان الشد
 فاشتدي زيم) والزيمة : القطعة من الأبل ٢-١٥ بعيرا . اللسان : مادة زيم .

ريعت لبنة سامي السوط فالتفتت
صغر الخدود الى سواقة حطم
ثبت على صهوات الناجيات وقد
أخفت سروج المطايا صولة اللحم

فالشاعر يتكى على التراث الأدبي العربي كما يخلع الصفات التقليدية
للنوق بأسلوب جزل رصين فيه كثير من الوعورة والغموض ، وهذه ظاهرة واضحة عند
شعراء العصر في وعفهم للنوق ، يسبقون عليها من الصفات التي استخدمها
الجاهليون الشيء الكثير ، فهي عنتريس وجنا ، ضخمة السنام ، صلبة السنام ، صلبة
الاخف ، صبور على تحمل الأسفار ، يقول أبو بكر يحيى بن بقى (١) :
أوضعت بي اليه وجنا حرق

أكلتها السفار أكل القنيم *
ترك الريح خلفها وهي حيرى
بين ايضاعها وبين الرسم
ظلت أطوى القفار منها بلام
طبعتها بالميم بعد الميم *
فاتته والمرو قد نال منها
فهي تخطو على وظيف رثيم *
وقليلا تمتعت في الفياضي
بسنام كالمارض المركوم

- (١) الذخيرة ٢ : ٢ : ٦٣١ - ٦٣٢ .
* الحرف من الابل : النجيعة الماضية ، اللسان : مادة حرف .
* الميم حرف الهجاء وهو مهجور ، قال ذو الرمة :
كأن عينها منها وقد ضمرت
اللسان : مادة موم .
* الوظيف : خف البعير ، اللسان : مادة وظف .
الرثم : كسر من طرف منسم البعير ، اللسان : مادة رثم .

فأنخذنا الى فناه جـ واد
ماله نهبة لكل عديم

وبالصفات نفسها يصفها لنا ابن السيد البطليوسي المتوفي سنة ٥٣١ هـ، فهي
أمون عنتريس، كالقوس في شكلها، سريعة في سيرها، وهي خير ما يقدم للضيف من
قرى، يقول (١) :

نبه الليل بالوجيف ولا تو
كع بدار الهوان بالاغماض
وأقر ضيف الهوم كل أمون
عنتريس وبازل شـ رواض*
أنقذتني من الردى وطأتني البيد
ونقض الهوم بالانقاض*
شكلها كالقسي وهي سهام
للفلا والرغاء كالانباض*
خلتها حين خاضت الليل سباحاً
فمست من دجاء في خضخاض*
صدعت عرماً في الدياجر حتى
كرعت في ماء الصباح المقاض*
حين راع الظلام وخط مشيب
قد سرى في سواده ببياض

- (١) أزهار الرياض ٣ : ١٤٥ - ١٤٦ .
- * الأمون : ناقة أمون ، وثيقة الخلق قد امتت ان تكون ضعيفة ، اللسان : مادة آمن .
 - * البازل : البعير الذي استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة ، اللسان :
 - مادة بزل . الشرواض : الفخم ، اللسان مادة شروض .
 - * الانقاض : أصوات صفار الابل . اللسان : مادة نقض .
 - * الانباض : رنين القوس عند جذب الوتر ، اللسان : مادة نبض .
 - * الخضخاض : نوع من النفط أسود ، تهنأ به الابل الجربى ، اللسان : مادة خضض .
 - * العررض : الطحلب في الماء ، اللسان : مادة عررض .

والناقة عند الأعمى التطيلي قد ألفت السرى وسير الصحراء واعتادت بها فلا
تميل الى سقبانها ولا تحن اليها ، انما شوقها وحنينها الى السفر والارتحال
يقول (١) :

ولو أني أشاءُ لا بُلِّغْتَنِي
ذُرَّكَ وَأَنْ أَسَاءَ بِهَا فَعَلَا
قَلَائِصُ مَا رَحَلْنَا هُنَّ إِلَّا
رَأَيْتُ بِهِنَّ عَصْمًا أَوْ رِثَالَا
كَأَنصَافِ الْبَرَى وَتَدَقُّ عَنْهَا
شَوَاهِدُ دِقَّةِ تَسْعِ الْخِلَالَا
إِذَا انْبَعَثَتْ رَأَيْتُ قِسِيَّ نَبْعٍ
وَتَحَسَّبُهَا إِذَا بُلِّغَتْ مُحَالَا
تُنَاسِبُهُ شَدَقْمًا أَوْ أَنْكَرَتْهُ
وَصَارَ لَهَا السَّرَى عَمَّا وَخَالَا
تُرَاعُ مِنَ السَّقَابِ إِذَا رَأَتْهَا
وَتَشْتَاقُ الْإِزْمَةَ وَالرَّحَالَا
وَقَدْ أَلْفَتْ بَنَاتِ الْقَفْرِ حَتَّى
جَسِبَتِ الْفُؤَالُ يُحْذِيهَا النِّعَالَا
إِذَا لَمَعَ السَّرَابُ تَبَادَرَتْهُ
فَأَحْسَبُهَا تَرِيدُ بِهِ اشْتِمَالَا

ومن الطريف أن يشبه أبو بكر يحيى بن بقى الناقة بالجان الذي ولى
من المعركة متستراً بغبارها ، وذلك لسرعتها وقد خالت الحبل المتدلي من مخطمها
أفعى ، يقول (٢) :

إليك تَرَامَتْ بِي قُلُوصُ كَنْبَعَةٍ
مُعْطَفَةٌ فِي دَقِّهَا وَالْحِيَازِمِ

(١) الديوان ٢٤٤ . (٢) الذخيرة ٢: ٢٦٦ .

لعوب إذا رقص السراب استغزها
 ببيض الراح في النقا المتراكم
 تبارى الصبا في سيرها فكأنها
 جبانٌ تولّى في غبار الهزائم
 وما راعها إلا الزمام تظنّه
 إذا ما تدلّى حيّة في المخاطم

ويمتطي أبو الفضل جعفر بن شرف ناقته ليلاً فتأخذ في السير سريعاً حيث
 يلمع الشرر من وقع أخفافها فكأنه البرق يبدد ظلمة الليل ، والناقة عازمة على المسير
 لا تهدأ حتى تصل بالشاعر إلى غايته ومنيته ، فينظر إليها وقد حققت الأمل ضاحكاً
 وهي مطرقة ساهمة ، يقول (١) :

إذا أعرضت نحو الصباح لوى بها
 من الليل مسود الجوانح أسحم
 كأن على أخفافها كلما سكرت
 بروقاً تعق الليل والليل مظلم
 إذا قطعت غلّ الظلام بعزيمة
 مضت ورداء الصبح بالفجر معلّم
 نظرنا إليها ضاحكين إلى المنى
 بها وهي من أين عوابس سهم

ويصف لنا ابن خفاجة نعجة سوداء ، حمراء الجيد ، متمنيا لو ذهبت لناله
 حظ من لحمها وشحمها ، يقول (٢) :

وسوداء تدعى به منحراً
 كما اعترض الليل تحت الشفق

(١) الذخيرة ٢: ٢٠٨٨٣ .

(٢) الديوان ١٥٢ .

وأقسم لو مثلت ليلــــــــــــــــة
لَعَفْتُ الكرى واستطبت الأرق
ستخلع من فروها صَحْوَةً
سواد الدجى عن بياض الفلق
فيا حسنَ خَصَرٍ لها أحمر
ومثزرٍ شحمٍ عليه يقسب
وما رفلت في قميص الدجى
ولا اشتملت برداء الفسق
ولكن تسيل عليها القلوب
هوى وتذوب عليها الحدق

وله يصف كبشاً أملحاً جاعلاً من اليته كتيبَ رمل لضخامتها وكبرها ، والس
جانبه نعمة سوداء ضخمة قد عني صاحبها بها وأعدّها للصيد فهي تجهل ما
يخفيه لها وما ستناله منه أذى ، يقول (١) :

ألا حبذا عيدٌ تلاقت به المعنى
فجدد من عهد الشباب مشيب
وأعرض من حسن الطليحة أملح
يلعب ربّات الحجال ربيب
تهارت تشنى وهو يذعر فالتوى
قضييبُ بها وارتيح منه كتيب
وسوداء أما نسبة فهي نعمة
تروق وأما نصبة فنحييب
أقام بها ما بين ظلٍ ومورد
مراد ببطن الواد بين خصيب
أنتك وأفياء الشباب تظللها
وهل زار الآ في الظلام حبيب

فطفت بها تمش الهوينى وانما
تمشى اليها وهي تجهل ذيب

ووصف ابو بكر بن القبطرنة بقرة أخذها الفونسو صاحب قلمرية ، فاذا هي
أم حفية يكيها بكاء مرّاً لامته أمه لأجله ، في حين يرى هو انها قد تفوق والدته
التي أرضعته مكرهة عامين في حين أرضعته هي - بقرته - طائفة اربعة أعوام
يقول (١) :

وأفقدنيها الريق أمّا حفيّة
إذا هي ضقت ألقت بين رُفدين*
تعتني أمي على أن رثيتها
بشعري وأن اتبعتها الدم من عيني
لها الفضل عندى أرضعتني اربعاً
وبالرغم ما بلغتني رأس عامين

وله فيها أيضاً قوله (٢) :

وفجعتني ذا الريق لادرّدر
بأمّ عيال ما عرفنا بها الجديبا
تري فخذها يحملان خزانة
إذا فتحتها إصبعاً ملائ وطبسا

فهي أم العيال لا يعرفون منها الجذب لما تمنحهم من المطاء.

ويصف ابن خفاجة النعامة بخفتها وسرعتها ، فان بها تمشي متبخرّة مشي
الفتاة المعجبة بنفسها ، ومنقارها أحمر اللون كأنما خضب بالدم ، يقول (٣) :

ولرب طيار خفيف قد جرى
فشلا بجار خلفه طيار

(١) الذخيرة ٢: ٢: ٧٦٩ . (٢) المصدر السابق ٢: ٢: ٧٦٩ .
(٣) الديوان ٣٦ .

* ضفت: حلبت باليد كلها لضخامة الضرع. والضف: الحلب بالكف كلها وذلك لضخم
الضرع. اللسان: مادة ضف. الرود: القدح العظيم الضخم، اللسان: مادة رود.

من كل قاصرة الخطى مختلفة
 مشي الفتاة تجر فضل ازار
 منضوبة المنقار تحسب أنها
 كرفت على ظمأ بكأس عفار
 لا تستقر بها إلا نأحي خشية
 من ليل ويل أو نهار سوار

ونجد ابن صارة الشنتريني يصف هراً يسمى رشيقة مقرباً الى نفسه فهو قط أليف
 يعانقه ابن صارة ويقلبه ، يقول (١) :

تبنت الهزير فبات شيلبي
 وأقصيت الفلامه والغلاما
 أوسد ساعدي غدي رشيق
 وأوسع امتناقاً والتزاما
 وأطوى طول ليالي ذكر كلبلي
 ولا أقرأ على سلى سلاما

وأرى ان الشاعر يصف حاله من خلال وصفه للهـر .

ومن الطريف ان يصف ابن طالب عبد الجبار البعوض ، فان به يمتص دم الشاعر
 منتشياً وكأنه القيان تخني وقد أخذت من عروقي الشاعر أوتاراً لها ، يقول (٢) :

بعوض جعلن دمي نهزة
 وغنينني بضروب حسان
 كأن عروقي أوتارهن
 وجسمي رباب وهن القيان

(١) الذخيرة ٢ : ٢ : ٨٤٤ .

(٢) الخريدة ٤ : ٢ : ٩٧ .

الموشحات لون جميل من ألوان النظم في الأدب العربي ، اتخذت سمياً معيناً بالنسبة لتعمد الأوزان الشعرية (١) . وقد نشأت في الأندلس (٢) في أواخر القرن الثالث الهجري (٣) ، وبلغت قمة ذروتها الفنية في القرن الخامس الهجري حيث أصبحت مجالس الأدب لا تخلو من ذكرها ولا شعر إلا بأشادها (٤) ، فاستوت الموشحات بذلك على سوقها (٥) .

وقد كانت الموشحات في أول الأمر قاصرة على الغزل والخمرة والمدح ولكنها ما لبثت أن أخذت تطرق كل الموضوعات (٦) ، واشتملت على أغراض الشعر التقليدية من غزل ومدح ورثاء وزهد وتهنئة ووصف ولم تترك لشعر القريض ميداناً يحتكره من دونها ولا مسلكاً يسير فيه منفرداً عنها (٧) .

ومن الأغراض التي تناولها وشاحوا الأندلس ، البثية الطبيعية الأندلسية حيث حظيت برعايتهم ونالت حظاً وافراً من عنايتهم فوصفوها في مجالس أنسهم ولهوهم

-
- (١) دار الطراز في عمل الموشحات ، ابن سينا ، الملك ، تحقيق جودة الركابي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر بدمشق ١٩٧٧ م . ص ٣٢ .
 فن التوشيح ، د . مصطفى عوض الكريم ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٩ م . ص ١٧ ، ص ٧٣١ .
 الادب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، الدكتور مصطفى الشكعة ، دار العلم لللايين - بيروت ط ٣ ، ١٩٧٥ م . ص ٧٣١ .
- (٢) الذخيرة ١ : ٢٠١ .
 توشيح التوشيح ، صلاح الدين خليل بن أبيك الصغدي ، تحقيق البير حبيب مطلق ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦ م . ص ٢٠ .
 مقدمة ابن خلدون ١ : ١١٣٧ .
- (٣) الأدب العربي في الأندلس ٣٤٣ .
 (٤) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ٣٧٤ .
 الأدب العربي في الأندلس ٣٤٤ .
- (٥) فن التوشيح ١١ .
 (٦) المصدر السابق ٣٨ .
 (٧) المصدر السابق ٣٨ .

مثلة في ورودها وأزهارها ، في أشجارها ورياضها ، ببساتينها وأنهارها ، وبروقها وسحابها ، وطيورها الصادحة وورقها النائحة ، ولم يتخلفوا كثيراً عن اللحاق بركب الشعراء في هذا الميدان الرحب ، إذ حاولوا اللحاق بالشعراء ولكنهم قصروا عنهم ولم يصلوا الدرجة التي وصل اليها الشعراء في مجال وصف الطبيعة الاندلسية فكانت مكانتهم تالية لمكانة أولئك .

ذلك أن كبار شعراء الطبيعة من أمثال ابن خفاجة وابن الزقاق البنسسي وابن صيرة الشنتريني وابن العطار ازدروا الموشحات واحتقروها ورفضوا أن يسلكوا طريق الموشاحين إذ اعتبروها غرضاً فسلماً (١) يجرى على غير أوزان أعاريض أشعار العرب (٢) ، فرأى فيها المحافظون خروجاً على القديم وبدعة شعرية لم يألفوها (٣) ولا غريبة في موقفهم هذا ، فالمحافظون دائماً يخشون على القديم ويقفون من الحديث موقفاً فيه الكثير من التحفظ .

الموشح فن حديث استحدثه المتأخرون كما يقول ابن خلدون (٤) وأما أهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهدبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح (٥) وكان عبادة بن مسعود السلمي قد أقام صناعته ، يقول ابن بسام في ذلك (٥) (وكان أبو بكر عبادة بن مسعود السلمي في ذلك العصر شيخ الصناعة وإمام الجماعة ، سلك إلى الشعر مسلكاً سهلاً فقالت له غرائبه مرحباً وأهلاً ، وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الاندلس طريقها ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود ولا منظومة المقود ، فأقام عبادة هذا منادها وقوم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالاندلس إلا منه ولا أخذت إلا عنه واشتهر بها بها شهرة غلبت على ذاتها وذهب بكثير من حسناته) ولهذا كله انصرف بعض الموهوبين من الشعراء عن النظم على طريقة الموشحات في احتقار لها وازدراؤها ، وبذلك

(٢) الذخيرة ١: ١: ٤٧٠ .

(١) المظمح ٢١٠ .

(٣) في الادب الاندلسي ٢٩١ .

(٤) المقدمة ١١٣٧ .

(٥) الذخيرة ١: ١: ٤٦٨ — ٤٦٩ .

فقدت الموشحات عاملاً هاماً من عوامل تطويرها (١) ، على أننا واجدون في هذا العصر وشاحين بارزين نظموا في الموشحات التي جانب نظمهم القريض ، ومن أبرزهم هو هـ ٥٤٠ هـ ، والأعني التطيلي المتوفى ٥٢٥ هـ وأبو بكر محمد بن أحمد المعروف بالأبيض المتوفى ٥٣٠ هـ وابن باجة الصايغ المتوفى سنة ٥٣٣ هـ .

وقد وصف وشاحو العصر طبيعة بلادهم وصفاً رائعاً ، وكلما جاء هذا الوصف وفقاً على الطبيعة وحدها ، فغالبا ما كان يمتزج بالخمرة والفزل ، ولا غرابة في ذلك على الإطلاق ، فهذه الموضوعات الثلاثة : الطبيعة والخمرة والفزل ، يستلزم بعضها بعضاً ويستدعيه ، فجالس اللهو والطرب والشرب كانت تقام في أحضان الطبيعة وبين خمائلها الجميلة ، يدور على القوم فيها الساقى ذو الوجنة الوردية ، والقائمة اللدنة الطرية ، والشعر الاحواني الباسم والانامل الرقيقة الرخصة ، فاذا ما شاربت شاعرية الوشاح في مثل هذا المقام ، جاءت موشحته صورة ناطقة حية عنه ، فيصف المجلس بما فيه وما احتواه واشتمل عليه ، ويتذكر محبوبه وقد لعبت الخمرة بلبسه وسحره المجلس بجماله وحسنه ، فتجود قريحته بالخالد من القول والرائع من الكلم .

ومن الموشحات النادرة التي جاءت وفقاً على الطبيعة وحدها ، موشحة لآبى الحسن علي بن مهلهل الجلياني مازح ابي بكر بن سعيد صاحب أعين غرناطة في مدة المثلثين ، حيث وصف الطبيعة وصفاً رقيقاً ، يقول (٢) :

النهر سلّ حساماً	على قدود الفصوص
وللنسيم	مجال
والسروض فيه	اختيال
مدّت عليه	ظلال
والزهر شقّ كما ما	وجداً بتلك اللحون

(١) فن التوشيح ٣٦٣ .

(٢) المفرب ١٥١:٢ .

أما ترى الطير صاحها
والصبح في الأفق لاحا
والزهر في الروض فاحا
والبرق ساق الغماما
تبكي بدمع هتسون

فهذه الموشحة خلو من الغزل والخمر، فقد رسم الشاعر فيها لوحة فنيّة جميلة للطبيعة ، فزينها بالنهر الذي سال رقراقاً بين الأشجار، وجملها بالزهر المتفتح طرباً للفناء الحاني المنبعث من ترنيم الطيور الصادحة على أغصانها وقد أخذت خطرات النسيم العليل تلاعب الروضة فانتشت واختالت بما جاد عليها الفيم من مطر طرى وظلّ ندى وقت أن أخذت تباشير الصباح تبدو على الأفق، فانبعث من الزهر الروائح العطرية وفاح الشذى المبيق .

ويجمع أبو جعفر أحمد بن عبد الملك المتوفي ٥٥٠ هـ . بين وصف الروض ووصف النهر، ولا عجب في ذلك فالنهر جزء من المنظر الطبيعي والمياه سر الحياة فسي النبات ، ويخلق أبو جعفر على نهره عدداً من الألوان البهيجة حين سلط الشاعر شمس الأصيل على مائه فصيّره خمراً (١) ، كما جعل منه سيفاً عقيلاً يضحك من الزهر الأكام ويكي الغمام وينطق الحمام ، وذلك في موشحه الذي يصف فيه (حور مؤمل) أحد متنزهات غرناطة ، مصوراً جمال الحور وفتنة الروض التي توهي بالشرب الذي يدفع إلى الغزل بالساقى ، يقول (٢) :

ذَهَبَتْ شمسُ الأصيل فُضَّةَ النهر
أى نهر كالدماصة
صَيَّرَ الظل فدماصة
نسجته الريح لا مـهـ
وتشتت للفصن لا مـهـ

(١) الأثاب الاندلسي موضوعاته وفنونه ٤٢١ .

(٢) المغرب ١٠٣: ١٠٤ - ١٠٤ .

* اللامعة: الدرع، اللسان مادة لأم . وتركزت الهمزة تخفيفاً .

فهو كالقصن المصقيل حَقَّ بالسُّتْمِ
مضحكاً شَفَر الكمام
مبكياً جفن الفمام
منطقاً ورق الحممام
داعياً الى الممدام
فلهذا بالقبول خُطَّ كالسَّطْر

انها بيئة جميلة ، تبعث الراحة في النفس ، وتدعو الى اللهو والانس ، الى
الطرب والشرب ، لتذهب عنهم الاحزان بعيداً فينعمون بمجالسهم ويلتذون في أوقاتهم
بالخمرة التي تذهب بالعقول ، فلا يدرون شيئاً عما حولهم ، يقول (١) :

حبذا بالَحُورِ مَفْنِي
هي لفظٌ وهو مَفْنِي
مَذْهَبُ الاشْجَانِ عَنَّا
كم دَرَيْنَا كيف سِرْنَا
ثم في وقت الاصيل لم نكن نَسْـدِرِي
قلت والمزج استدارا
بذري الكأس سوارا
سالياً منّا الوقارا
دائراً من حيث دارا
صاد أطيّار العقول شَبَّك الخمر
وَعَدَ الحَبِّ فَأُخْلِيفُ
واشتهي المظل فسوف
ورسولي قد تَعْرِفُ
منه ما أدري فَخَرِّفُ
بالله قل يا رسولي لَشَّ يَغِيْبُ بِسَدْرِي

ويصف أبو بكر يحيى بن الصيرفي ت ٥٥٧ هـ روضة زيرجدية نضرة، حيث الورد
عقد اللؤلؤ، وجوهر، وقد انساب النهر رقراقاً بين خمائلها كالحية يذره هبوب
الرياح فيكسر أمواجه، وقد جعل وشاحنا هذا الوصف مقدمة لمدح الأئمة
تأشفين أسد العرين وحامي البلاد، يقول ابن الصيرفي (١) :

روضة زيرجدية ونسيم يتبختر في غلائل نديّة أشربت سكاً وعنبر
سحباً من لا زور وبروق من نضار
كلما أتت بوعد كحلت بمثل نار
فبكت من ماء ورد في خدود من بهار

أطلعتها في عشية لبة وعقد جوهر وأرت في النهر حية لهبوب الريح تدع
انما الحرب الزبون روضة الأسد الحماة
حيث بلقنا غصون أثمرت بالباترات
والأئمة تأشفين في ظلال خافقات
من رماح سمهرية تنظم الشكل وتنثر بسيوف مشرفية كل هامات ومنففر

فالطبيعة في موشحات المصنوعة متكاملة الأجزاء، متسقة المكونات، من سحب
وأكنة وبرق لامعة ورياض جميلة فتانة ونهر يتلوى كالافعى أو يسلك كالحسام الصقيل.

وشأن الراح شأن الغزل كما أسلفنا، كلاهما وثيق الصلة بالطبيعة ووصفها
فهم يتعاطونها في بساتينهم ومنتزهاتهم، يدور عليهم بها الفلمان فيتغزلون بهم
فيجتمع الغزل والشرب والوصف معا في موشحة واحدة، ويستعير الشعراء ألفاظ
الطبيعة فيمنحونها الحياة عندما يصفونها على من يحبون، فالأعشى التطيلي يحث
نديمه على المباكرة في تعاطي الراح وسط خضرة البساتين لأنها حياة الكرام وهي
— الخمرة — الدم الذي يجري في عروقهم، أما الساقى فدوغة جميلة وألحاظ حادة
البصر كألحاظ الصقر، يقول (٢) :

(١) جيش التوشيح، لسان الدين بن الخطيب ت ٧٧٦ هـ . حققه وقدم له، هلال

ناجي، مطبعة المنار، تونس، ص ١٢٤ .

(٢) الديوان ٢٥٨ — ٢٥٩ .

حَتَّ الكُوَّوسَ رَوَّيَهُ عَلَى رِوَاءِ البَسَاتِينِ مِنْ فَهْوَةٍ بَابِلِيَّةٍ أَرْقُ مِنْ دَمْعٍ مَحْزُونٍ
 بِاللَّهِ قُمْ يَا نَدِيمُ وَأَنْتَ خَيْرُ نَدِيمٍ
 بِأَكْرَ نَبَاتِ الْكُرُومِ حَيَاةَ كُلِّ كَرِيمٍ
 مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ رَخِيمٍ وَأَيُّ ظَبْيٍ رَخِيمٍ
 ذُو غُرَّةٍ قَمَرِيَّةٍ يَرْنُو بِالْحَاظِ شَاهِينٍ لَمَّا رَأَى الْحُسْنَ زِيَّهَ صَبَا الِیْهَعْلَى الْحِینِ

وَيَتَحَسَّرُ وَشَاحِنَا التَّظْلِيلِي عَلَى أَيَّامِ خَلَّتْ وَأَوْقَاتِ سَلَفَتْ كَانَ قَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا مَعَ
 مِنْ يَحِبُّ وَانْتَضَمَ الشَّمْلُ فِي رَوْضَةِ جَادَ عَلَيْهَا هَاطِلُ الْمَطَرِ وَقَدْ دَارَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ
 فَتَقَلَّ الِیْنَا تَعَابِيرَهُ وَبَثَّنَا أَفْرَاحَهُ بِالْفَاطِ عَذْبَةٍ رَقِيقَةٍ لَمَّا لَهَا مِنْ إِيْقَاعِ مُوسِيقِي وَلَمَّا لَهَا
 مِنْ مَعْنَى بِلَافِي ، یَقُولُ (١) :

لِلَّهِ أَيَّامٌ دَارَتْ بِهَا الْخَمْرُ
 وَصَلَّ وَالْمَامُ وَأَوَّجَّهَ زَهْرُ
 وَالرُّوْضُ بِسَامُ وَقَدْ بَكَى الْقَطَرُ

فَقَدْ قَدَّمَ لَنَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ الْبَدِيعَةَ لِلْمَجْلِسِ ضَحْكَةَ الطَّبِيعَةِ وَابْتِسَامَتَهَا
 السَّاعِرَةِ عِنْدَمَا يَبْكِي الْقَطَرُ .

وَكَذَلِكَ يَبَاكِرُ الْوَشَاحُ ابُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ بَقِي الرِّیَاضِ النَّضْرَةَ فِي فَصْلِ الرِّبِیْعِ
 وَقَدْ تَشَتَّتَتْ نَوَاطِيرُهَا وَتَوَشَّتْ بِزَاهِي أَرْزَاهِيرِهَا حَيْثُ تَضَوُّعُ الشَّدَى وَفَاحُ الْمَطَرِ، وَانْسَابَتْ
 الْمِيَاهُ الْعَذْبَةُ الصَّافِيَّةُ ، يَبَاكِرُ وَشَاحِنَا لِيَنْعَمَ فِي هَذَا الْجَوِّ الْمَسْبُوقِ بِشَرْبِ الْخَمْرِ
 وَبِتَمَاطِي الرَّاحِ ، یَقُولُ (٢) :

دَعْنِي أَبَاكَرُ رَاحًا كَسْفُوحِ النَّجِيعِ
 وَالرُّوْضُ زَاهِرُ نَجْوَاهُ ذَاتِ طُلُوعِ
 وَأَيُّ زَاهِرُ أَجْمَلُ مِنْ زَهْرِ الرِّبِیْعِ
 هَلَالٌ وَسُلْسَالُ عَذْبُ زَلَالٍ وَالرُّوْضُ حَالُ نَاهِيكَ حَسَالِ

(١) الديحان ٢٦٧ .

(٢) جيش التوشيح ١٠ .

فالمشاحون حريصون على اختلاس أوقات اللذة واقتناص ساعات الأنس واللهو
كما حرص على ذلك الشعراء ، وليس هذا غريباً لأنهم شعراء وشاحون زادهم فن
التوشيح وما يصاحبه من غناء وموسيقى اقتراباً من الخمر والغزل ، لأن الموشح وضع
أعلا للغناء ، والغناء بطبعه يستدعي الشرب والمجالس اللاهية بين أحضان الطبيعة
الحانية حيث تعزف القيان وتعبت الأنامل بالأوتار وتصدح البلابل وتفرّد الطيور
فتلتقي الموسيقى الانسانية بالموسيقى الطبيعية لتكوّنا معاً سيفونية جميلة عذبة
تنطلق لتحي النفوس في تلك المجالس وغالباً ما يقوم الساقى وهو بالاجمال فستى
أمرد بصب الراح وتقدّم الكؤوس ، ومن هنا كثر ذكر المذكر والغزل فيه في الموشحات.

أما الوشاح ابو بكر احمد بن مالك السرقسطي -
عطرة الشذى ، مسكّة النثر ، ويحث الساقى ليصب الراح ويدور بالخمرة ، مسبقاً
عليه صفات جسدية تزيد حسنا ، فهو رقيق الخصر ، ظريف الشكل ، يقول (١) :
قم حشها مدامه والروض مشقوق الكمام نشره الأعطّر
كأنه مسك الختام شابه عنبر

فاكر الى الرحيق	فقد دنا الصباح
مع شادن أنيسق	تصبوله الصباح
من خصره الدقيق	قد علق الرراح

والرياض عند ابي بكر يحيى بن الصيرفي أكثر جمالاً وعناصرها أكثر انسجاماً
فالنسيم العليل أدى الى تفتح أزهارها وقد علت أغصان أشجارها فناحت بجميل
تفريدها وردت لحن موسيقاها العذبة ، وكسرت الرياح مياه النهر ونسجت منها
دعاً له وقت الاصيل وقد انهمر المطر وهطل الفيث ، وازدانت الروضة بالترجيس
وتوشيت بالبهار ، فتألف من هذا كله جو طبيعي فاتن أحسن الوشاح استفلاله للمتعة
واللهو غير مغفل الخمر ، يقول (٢) :

شقّ النسيم كمامه عن زاهر بيتسم فلا تصخ للمامه وانصت الى الزير والبنم

(١) - نيس التوشيح ٢١٥ . (٢) المصدر السابق ١٣٢ - ١٣٣ .

حاكت على النهر درعا ربح الصبا في الاغائل
وأسبل القطر دمعاً على شقيق الخمائل
فاسمع مع العود سجماً تشف منه الفلائل
مارنمته همامه من فوق غصن منعم ولا ادعته أمامه بنت الحسين بن مخدم
حيّ النسيم بمنزل وزهر ورد أنيق
ونرجس الروض يخجل من بهار الشقيق
فقم الى الدن واقبل . . . منه سوار الرحيق
وفض منه ختامه عن مثل مسك مختم تكاد منه المدامه للشرب ان تتكلم

ولذة الحياة وبهجتها تتجلى في كأس معتقة من يد غلام رخصة في روضة قد
عقد البطل على زهرها تيجان فضية وقد صدحت الطيور على أغصان الأشجار التي
أخذت تميس بفعل الرياح وتأثيرها كأنها سكرى وما بها سكر ، وتبشير الصباح قد
لاحت فيستقبلها الوشاح ابو بكر السرقسطي بالشرب وكأنه غير مستعد لتحمل تبعات
يومه ومسؤوليات نهاره ، ولذا فهو حريص على تناول الراح ليبعد عن نفسه الهمم
والكدر والحزن ليقضي نهاراً سعيداً مع غلامه ، يقول (١) :

حُثَّ كَأْسُ الطَّلَا عَلَى الزَّهْرِ
وَأَدْرَهَا كَالْأَنْجَمِ الزَّهْرُ
أنسيم يفوح أم عطر وغصون أمالها القطر
وطيور نطقن بالسحر تتثنى وما بها سكر
حين هبَّ النسيم في السحر
أطرد الهم بابتة العنب
وامزج الراح من لى الشنب
انما طيب عيش ذى أدب
قطع أيام دهره الفـر بسلاف وشادن فر

ويحلو الشراب تحت ظلال السحاب، حيث تلتع البروق ويتساقط القطر فيروى الزهر، فيتكون من هذا كله يوم جميل يبعث على الراحة والطمأنينة، إنها الطبيعة بجمالها مبعث نشاط الأصدقاء وتحيينهم الفرص لادخال المتع الى نفوسهم في ظلال الحدايق وجمال الخمائيل .

ففي مجلس زاء يضم ثلة من أصدقاء الوشاح ابن بقى حيث يحثهم على السكر ومعاقرة الشمول واختلاس ساعة ليهو ومجون في مثل ذلك اليوم الذي يدفعه، لينشدنا قائلًا (١) :

ساعدونا مصبحينا نرتشفها قد ضمينا كنضار في لجين نعم أجر العالمينا
قم بنا نجلو الكؤوسا تحت ظلال السحاب
نتعاطاها عروسا حليها در الحبيب
قهوة تعطي النفوسا عز أيام الشبيب
تفصب الليث العرينا ويرى كسرى قرينا حين يسقى باليدين جامها حيناً فحيناً
ويومه يوم جميل، ألبسه ثوباً أظهر أناقته، والبروق قد شاركت في ذلك
حينما طرزته وجاء الغيم الرقيق ليسقيه ماء الورد وقد بدا سحر ذلك اليوم عندما
رّش الياسمين حيث بكى من دون عين وضحك هو فاكها مسروراً (٢)، يقول (١) :

يومنا يوم أنيسق يوم شرب والتذان
طرزت فيه البروق لا بسا أثواب لان *
وسقى الغيم الرقيق ماء ورد برزان
أظهر السحر الصينا حين رّش الياسمين وبكى من دون عين فضحكنا فاكهينا

وهم — الوشاحون — لا يملكون إلا ان يتعاطوا الراح في فصل الربيع، حيث السماء الصافية والشمس الدافئة، والارض الخضراء الموشاة بالزهور والورود المختلفة الألوان المتباينة الاشكال حيث تنساب المياه في رقة ووداعة خلال الأشجار والبساتين

(١) جيش التوشيح ١٣ .

(٢) موشحات ابن بقى الطليطلي وخصائصها الفنية، عدنان محمد آل طعممة .

المراق، وزارة الثقافة والفنون ١٩٧٩م، ص ١٤٧ .

* لان : أثواب حريرية تنسج في الصين واحدها لانه، اللسان مادة لوز .

في خفة الافعى وهدوء انسيابها وحركتها ، يقول الاعشى التطيلي مصوراً هذا كله (١) :

هذا زمانُ الربيع يا يحيى فاسقني من يمينك العليا
مدامة ملكتني الدنيا أما ترى الأرض ألُبت وشيا
والزهر في فضة وعُقيان والماء يحكي انسياب شعبان في مذنب بستان

وتكو مثل هذه الايام الوشاح نفسه فيتذكر أياماً سعيدة خلت ، فيحن الى
أصدقاء ضمه معهم وقت الطرب واللهو وساعات الشرب والمجون ، في ليلة مقمرة على
خليج ماء وقد أخذ القمر يرسل أشعة فضية كابية ، وهم يلهون في مراكبهم ويمتطون
قواربهم في البحر وقد ازدانت الأرض من حولهم وزادت جمالا وبهاء بزهورها التي
انتشرت عليها فكانها النجوم اللامعة سقطت على الأرض فاحتضنتها هذه . فكانت
الدنيا في عيونهم عروساً رائعة الجمال أخاذة الحسن ، تحلقت حولها الارواح متلذذة
بحلاوتها منتشية بجمالها ، انها عروس تجلت ليلة عرسها ، وليلة تعدل ملك العراق
ان لم تفوقه ، يقول الاعشى التطيلي (٢) :

وجدى على الوجد زاد ذكرت والذكرى شجون اخواننا
ذوى حواشٍ رقاق عاطيتهم بنت الكروم أزماننا
وليلة بالخليج والبدر قد ألقى شمعاً
عليه ضوء بهيج وفلكنا تجرى سراع
أحسن بها من سروج نركبها على اندفاع
بحر إذا مدَّ كاد من كثرة الفيض يكون طوفاننا
أحشاؤه في اصطفاق ان جرّدت خيل النسيم فرهاننا
دنيا تجلت عروس على بساط السندس
فاشرب وهات الكؤوس فهي حياة الأُنفس
وان أتيت الفروس فاعدل اليها وأجلس
حيث الرياض نجاد لصارم راق الميرون عرياننا
وللكمام انشقاق عن زاهرات كالنجوم ألواننا

وصاحب صلحا للأنس محمود الخلال
تلقاه مصطحباً بين المياه والظلال
وان عذول لحا في القهوة الصهباء قال :
سكره على شاطي واد قد عانقت فيه الفصون أغصاناً
تعدّل ملك العراق عندى مساعد يا نديم ندماً

ويندفع ابو بكر يحيى بن بقى نحو محبوبه كالسيل يطلب وده ويخطب قريبه
في حين يقف قلبه أمام حسنه خانساً صامتاً عابساً كالأسد وقد بهره الجمال ، وألجمه
الحسن ، فلم يستطع حراكاً ولا من أسره فكاكاً ، ومحبوبه هذا رائع الجمال ، قامت به
كالغصن ووجهه مشرق. الأديم يعكس ضوء البصر ، يقول (١) :

ما ردني لابس ثوب الضنا الدارس الأ قمر
في غصن مائس شعاعه عاكس ضوء البصر
أسير كالسيل اليه لا بساغ الا ودا د
والطيف في خيل لهن اسراع مع الرقاد
ياكوكب الليل ان كنت ترشاع فلم فوادي
كالأسد العابس لكنه خانس من الحور

أما ابن زهر فيطلب الى نديمه صب الكؤوس في جو طبيعي جميل ، ووسط
روضة مسكية النشر ، في يوم هبت رياحه فصنعت من مياه النهر درعاً ألبيسته له في حين
أخذ البرق يلعب من كل مكان ، الشرق والغرب معا ، فابتسمت الأ زاهير لبكاء الفيسوم
يقول (٢) :

شحن قارنت بدرا راح ونديم
أو أكوس الخمر عنبرية النشر ان الروض ذو بشير
وقد درع النهر هبوب النسيم

(١) نفح الطيب ٥ : ٣٧١ .

(٢) دار الطراز ٦٠ - ٦١ .

وسلت على الافسق يد الغرب والشرق سيوفاً من البسرق
وقد أضحك الزهرا بكاء الفيسوم

أما المحبوبة عند ابن رحيم فهي غصن يميل مع خطرات التسميم (١) ، التي
تلهب وجدانه ، يقول في النساء (٢) :
نسيم الصبا أقبل من نجد
لقد زادني وجداً على وجد
يا ريح الصبا بالله داريني بمعرف شذا مسك دارين

وتهزهم الخمرة ، فيجدون فيها لذة الدنيا ومتعتها ، وما يزيد في ذلك
تعاطيها في الرياض والبساتين الوارفة الظلال ، يقول ابن رحيم (٣) :

هزّ ارتياحي راح براحي مسكية الانفاس سحب الوشاح
ما لذة الدنيا سلافة تحيا
تديرها سقيها لنا شمس
في روض راح غفر النسواهي يهديك عرف الآس مع السرواح

وينهل المطر على الرياض في يوم تكاثفت سحب الداكنة السوداء بحيث حجب
أشعة الشمس ، فابتسم الزهر له وفك الغيث أكام النواوير فانبعثت من الروضة رائحة
عطرة شذية لم يستطع إذا ابن زهر أن يكبح جماح نفسه ، فلا يسمعه إلا أن يحث
نديمه ويدعوه الى الاستمتاع ببهجة ذلك اليوم ، يقول (٤) :

حلت يد الأمطار أزرة النوار فيا خدني
اشرب طاب الصبح في ذا اليوم
في روضة تفوح لدى الغيم
قد أشرقت تلوح لدى القوم
ووجه ذا النهار مفطى بخمار من الدجن

- (١) جيش التوشيح ١٢٩ . (٢) الفصدر السابق ١٧٥ .
(٣) نفسه ١٧٢ . (٤) دار الطماز ٦١ .

ويطلب الأعمى التطيلي الى صاحبه أن يمرّج به الى روض فاشق نغم بالمطر
 زمانا طويلا فأخضبت أرضه واعشوشيت أنحاوه ، وتحلت بالزهور وتوشت بالسورود
 يطلب الى صديقه اصطحابه الى مثل ذلك الروض ليعاقر الخسر ويتذكر تدانيسه .
 الأوفياء الذين لم يستطع قلبه سلوانهم ، يقول (١) :

ان اِطْلَعْتُ أَنْجَمُ أَزْهَارِ	فَهِجِّي عَلَى حَانَةِ خَمَارِ
وَمَرَّ بِي إِلَى رَوْضِ رَبِّي	سَقَاهُ وَلِيَّ بَعْدَ وَسْمِي
وَأَلْبَسْتَهُ مِنْ كُلِّ مَوْشِي	وَبَشَّتْ بِهِ خَضِرَ زُرَابِي
أَبَى الْقَلْبُ أَنْ يَسْلُو عَنْ ذِكْرِ	نَدَامِي كَمَثَلِ الْأَنْجَمِ الزُّهَرِ
عَلَيْهِمْ أَكَالِيلُ مِنَ الزُّهَرِ	قَطَعْتُ بِهِمُ وَالْدَهْرَ لَا يَدْرِي
أَصَائِلَ سِتًّا بَعْدَ أَصْحَارِ	كَأَنَّ مُدَامَنَا مِنْ جُلْنَارِ

وتبتسم الأزهار ضاحكة لهطول المطر وانهمار الفيث ، فتدور على القوم
 بالراح عذراء مشوقة القد ناعمة الكف وقد ارتدت نوعا من الفراء زادها جمالا
 وزادهم بها هياماً ، ثم ينتقل الوشاح بعد هذه المقدمة الى مدح الأمير أبي الطاهر
 المرابطي - كما يفهم من الخرجة - (٢) فيخلع عليه من الصفات ما يليق به فهو
 رب السيف والقلم وجنوده أسود شرى ، يسرون الى الممارك وقد هتكت رماحهم
 وأسنتهم غياهب الليل بنضائها ولسانها ، يقول (٣) :

هَمَّتِ الْأَزْهَارُ بِالضَّحِكِ فَرَحًا بِأُدْمَعَ الدِّيمِ
 هَاتِمَا نَارًا تَرُوقُ وَمِــا
 أَلْبَسَتْ ثَوْبَ الدَّجَى عِلْمَا
 وَكَأَنَّ الْجِسْمَ قَدْ نَظَّمَا
 حَوْلَهَا مِنْ أَنْجَمِ الْفَلَكَ شَهْبَاً مِنْ ثَفَرِ مَيْتَسِمِ

- (١) الديوان ٢٨١ .
 (٢) نسب صاحب توشيح التوشيح هذه الموشحة لأحد المفاربة ولم يذكر اسمه ،
 ومن خرجتها علمنا أنها قيلت في الأمير أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين
 الذي حكم شرقي الاندلس أيام أخيه علي بن يوسف . ٥٠٠ - ٥٣٧ هـ . وقد عزله
 أخوه علي عن الإمارة سنة ٥٢٠ هـ . حيث جاء في الخرجة قول المشاح " بهلال
 منك في اللثم " .
 (٣) توشيح التوشيح ١٤٢ - ١٤٤ .

أَيَا تَبْرُ وَصَهْبَاءُ
 جُمْعًا مِنْ كَفِّ عَذْرَاءُ
 ضَمْنًا مِنْ نَسِجِ عِنْمَاءُ
 غَصْنٌ يَهْتَزُّ فِي فَنَنِكَ* مَشْرِعًا بِالنُّورِ وَالظُّلُمِ
 إِنَّمَا رَوْضُ الصَّنِيِّ الزَّاهِسِرِ
 حَيْثُ يَمْضِي الْمَرْهَفُ الْبَاتِرِ
 مِنْ سَطَا الْمَلِكِ أَبِي الطَّاهِرِ
 دَرُّهُ مِنْ مَلِكِكَ جَامِعٌ لِلسِّيفِ وَالْقَلَمِ
 أَسَدٌ تَحْمِيهِ أَسَدٌ شَسْرِي
 زَحَفَتْ أَجْنَادُهُ زَمَرًا
 وَكَانَ الْإِنْجَمُ الزَّهْرًا
 نَزَلَتْ لِلْأَرْضِ فِي سَدِّكَ وَمَشَى بِهَرَامٍ* بِالْقَلَمِ
 الصَّبَا رَوْحٌ وَقَدْ نَفَحَا
 هَبَّ فِي أَحْشَاءِ الْبُرْحَا
 فَشَدَا كُلُّ مَا فَرَحَا
 هَكَذَا يُجَلِّي دَجَى الْحَلَكِ بِهَلَالٍ مِنْكَ فِي اللَّثَمِ

وهذه رياض تجري خلالها غدران مياه حيث أينعت النباتات وأزهرت السورود
 فتكونت من هذه العناصر لوحة فنية جميلة ، هام بها أبو الفضل جعفر بن شرف
 فأخذ يدعو أصدقاءه إلى معايرة الخمر في خماثلها ، يقول (١) :
 لقد نشط الخليج إلى تلك الهنات
 وقد بسط الربيع درانكا من نباتات
 وطرت الربوع فجاءت مذهبات

(١) جيش التوشيح ٩٩ - ١٠٠ .
 * الفنك : ضرب من الفراء ناعم اللمس ، جلد يلبس . اللسان مادة فنك .
 * بهرام : اسم للكوكب المريخ .

رياض في غدير قد انفجرت عيوننا تسر الناظرينا
فباكرها خمورا تدين بها الدنان
ولكن الأميرا له في المجد شان
فقلدها أمورا يضيق بها الزمان

وأى نزهة أجمل من تلك بين الزهر وقد أخذ يمس تحت حبات القطر وقطرات
المطر التي تساقطت عليه سحراً ، فتضوع شذى السوسن ، تحمله حبات نسائم الصباح
يقول ابو بكر الصيرفي (١) :

طلعت من مباسم الزهر نزهة الأعين
وانثنت عن سلافة القطر أعطف الأغصان
يا صبا نبتهها مع الفجر نفحة السوسن

وهم يتمتعون بجمال الطبيعة في كل الفصول ، ويجدون فيها مكاناً هادئاً
وميداناً رحيباً آمناً للشراب المشعشع الذي يعوضهم عن نور المصابيح في الليالي
الظلماء الحالكة فيأنسون به ، فهذا ابو بكر يحيى بن الصيرفي يباكر روضة في الصباح
تنهل زهرها وانهد غيثها ، طالباً الى أصدقائه عدم انارة المصابيح والاكتفاء بشمع
الصباح ، فيقول (٢) :

ذاك ضوء الصباح قد لاح ونسيم الرياض قد فاح
لا تقدر في الظلام مصباحا خل عنه وشعشع الراجح
حين تنهل أد مع القطر وترى الروض باسم الزهر

وان كانت الرياض ضاحكة عند أبي بكر يحيى بن الصيرفي ، منتشية بالمطر المنسكب
عليها ، فرز ان الندى هو الذي يوقظها عند أبي الفضل جعفر بن شرف ، حيث يطيب
لهم الشراب في تلك الحدائق الجميلة المنظر ، الطيبة النشر ، فيطلب الى الرزان

(١) جيش التوشيح ١٢٠ .

(٢) المصدر السابق ١٢٣ .

أن يمسك قائلها (١) :

نم يا رن ان	هذي الربا والرياض	من هواك أيقاظ
طاب الصبوح	في حدائق الزهر	
وهبت ريح	عنبرية النشـر	
يا من يروح	قل لكاتم السر	

ويمدح أبو بكر يحيى بن الصيرفي صاحب أعمال غرناطة في مدة المثلثين بأب بكر ابن سعيد جاءه الوصف سبيلا الى ذلك ، فإذا بالمطر قد انهل والقطر قد انهمر على الارض بشدة حتى لا تمرى من ربيعها الجميل وزهرها البديع ، ويتلاعب النهر ناشبا - وقد ملته حبيبات الماء - في جريه كأفعوان منقط تألم من حر الهاجرة ورمضاء الصحراء فأخذ ينساب مسرعا ليخفف عن نفسه بعضاً مما يعانيه وشيثاً مما يقاسيه ، يقول (٢) :

مدّ الحبا بسطا	فالارض لا تمرى	حدائق سمطا	تخترع الزهرا
الروض مرتباب	لما صفا وشيه		
والنهر نشاب	حبابه حليه		
تراه ينساب	منعطفاً جريه		
كالحيّة الرقطا	التهبت حمرا	فحيث ما خطا	عبابه مـرا

ومن ثم يصف ليلته تلك ، فإذا بها قد ازدانت بالنجوم المتلألئة والكواكب اللامعة وقد أحاطت بالبدر احاطة الجواهر بوسط ، عقد العذراء البضة الصدر ، وأبو بكر يدبج مدحته بهذه المقدمة ليحظى باعجاب المدوح وينال رفته ، ان قصده دون سواء فالطبيعة مثله في أرضها وسمائها ، في أزهارها ونجومها فرحة مستبشرة بالمدوح ، يقول الوشاح (٣) :

لله من هبّا	وقربه مسعد
تخاله قطبنا	في دارة الأسعد
في ليلة شهبنا	سماؤها توقد

(١) جيش التوشيح ١٠٣ . (٢) المصدر نفسه ١٣٠ - ١٣١ .

قد نظمت سمطا . أجما الزهرا والبدر كالوسطى بلبّة الصندرا
 قد جنحت خيلى الى أبي بكر
 فلا الى النيل ولا الى مصر
 أما ترى ليلسي حيران لا يسرى
 كأنما خطّا من ذيله مجرى وكلّما شَطّطا جرّ الدجى جرّا
 وهي صورة لليل جميلة لا شك .

وصورة النهر في الموشحات صورته في الشعر - شعر القصيد - فلا يعدو
 الوشاحون تشبيهه بالافعوان المنساب أو السوار المتعطف أو السيف الصقيل ، ويأتي
 ضمن حديثهم عن الطبيعة ممثلة في الرياض والحدائق ، ولا عجب في ذلك ، فالمياه
 سر الحياة ، فأبو الفضل جعفر بن شرف يشبه النهر بالأفعى وذلك أثناء وعفاه
 لروضة تفتّحت أزهارها وعلا الغيم وردّها في فصل الربيع ، يقول (١) :

لا أنس لا رشف المدام فصل الربيع
 في روضة شقت كمام زهر مريع
 والنور في ظل الغمام غشى الفروع
 قد كسيت منه البطاح نجروان والنهر يخرق الاقاح كالافعوان

فهو يصف الطبيعة في أواخر فصل الشتاء وأوائل فصل الربيع حيث الضباب
 الخفيف والبراعم الوردية الطرية تطل على الحياة بخضر وحياء .

ونجد تباريح الفرام وحرقة الهوى في موشحة أبي بكر يحيى بن بقى ، فهو
 ينظر الى البرق ويبيكي مع الورق لبعده أحبابه ، في الوقت الذي أخذ فيه الليل
 يتراجع أمام فيالق الصباح القادمة من الشرق ، وشكل طلوع الشمس على الأفق نهراً
 فياضاً كأنه دم كدر ، فزاد الصورة روعة وبها ، وتألقاً وإشراقاً ، يقول (٢) :

يا ويح صبّ الى البرق له نظير وفي البكا مع الورق له وطير

(١) جيش التوشيح ١٠٧ . (٢) دار الطراز ١٠٧ .

من أجل بعدى عن صحبي بكيت دما
كم لي هنالك من سرب ووصل دما
وعسكر الليل في الغرب قد انهزما
والصبح قد فاض في الشرق له نهر وسال أنجم الأفق دم كدر

وهذه الصورة الجميلة نجد أخرى مماثلة لها عند الاعى التطيلي الذى جعل من الليل جيشاً منهزماً أمام فيالق الصباح ، وقد تفتحت أزهار الرياض وورودها التي تستدعي بالضرورة معاقرة الخمر في أجواء باسمة ، ورحلات متعة شائقة في أحسن خلجان الاندلس حيث الحمام تنوح على أغصانها ، والبساتين والرياض قد تزركشت بجميل وردها ، وتوشت بغائن زهرها ، يصف هذا كله الاعى التطيلي ويصوره في لوحة فنية قائلًا (١) :

جيش الظلام	بالصبح مهزوم	فقم يا نديم
لا بد لي على الوردة سن ورد	فهاثها معصرة البرد	
ناراً من الزجاجة في زئدر	كلما لثمتها لطمت خدى	
ولا كمثل خدد ملطوم	من بنت الكروم	
أرى على اسم ربك الفلك	الى الخليج ناهيك من ملك	
والوشيج* صفاً في الحبك	والورق في مأتمها تبكي	
والرؤس سره غير مكتوم	في صدر النسيم	

وكذلك نجد أبا بكر محمد بن عبد الملك بن زهر يدعو الى معاقرة الراح في الصباح بين الخمائل والأزاهر ، يقول (٢) :

شاب مسك الليل كافور الصباح
ووشت بالروض أعراف الرياح
فاسقنيها قبل نور الفلق
وغنا الورق بين الورق

- (١) الديوان ٢٦٦ . (٢) معجم الادباء ١٨ : ٢٢١ .
- * الوشيج : اشتباك القرابة ، والواشجة : الرحم المشتبكة ، اللسان وشج .
- * الحبك : الشد والاحكام ، اللسان مادة حبك .

كاحمرار الشمس عند الشفق
نسج المزج عليها حـ من لا ح
فلك اللهو وشمس الصباح

وأخيراً يقدم لنا أبو بكر يحيى بن بقى صورة جميلة عندما كثر حساده، فإن
به يصورهم كلاباً ويجعل من نفسه غزالاً، وقد استطاع أن يتخلص منهم عندما
قدمهم كلاباً تطارد - الغزال - وقد أطلقوا الصقور وسدوا الطرق أمامه وهذا
امعان في المضايقة وشدة الكراهية وتأصل الحقد، إلا أنه رغم هذا كله استطاع
أن يخترق جمعهم ويشق حشد هم، وينجو منهم، يقول (١) :

والكلاب ذات تمكين
سرعات كالبروق وعليها السونق
الغزال شق الحزيق والسلاق ترهق

والملاحظ أن موشحات العصر أكثر من استخدام معجم الطبيعة بحسب
استثري في أبينتها ومفرداتها (٢)، فالمدوح عند الاعى التطيلي مثلاً كالروض يهدى
من بعيد نشره الأعطر (٣) والمحبوبة غصن يميل على كتيان وهي شادن رخيم وكالطبي
وخدودها بستان ورياض (٤)، كما أكثروا من استخدام أسماء الورود والأزاهير كالياسمين
والآس والورد (٥)، وأسماء الحيوان كالطبي والضيفم والغزال والمها (٦)، إلى غير
ذلك من ألفاظ المعجم الطبيعي .

والتفاعل قوى وشيخ بين الطبيعة والحب والخمر، فهذه المواضيع الثلاثة
متداخلة متمازجة وألفاظها متقاربة، رقيقة جميلة، جمال البيئة الأندلسية الطبيعية

- (١) موشحات ابن بقى وخصائصها الفنية ١٠١ .
- (٢) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ٤١٩ وأنظر دار الطراز ٦٦، ٦٨، ٧٧،
المغرب ٢: ١٠٣، النفح ٥: ٣٧١، جيش التوشيح ٢٩٠، ١٠، وصفحات كثيرة
متفرقة في مصادر الموشحات. (٣) ديوان الاعى التطيلي ٢٧٦ .
- (٤) المصدر السابق ٢٨٦، ٢٥٥، ٢٨٨، ٢٦٤، ٢٦٩ .
- (٥) دار الطراز ٦٨، ٧٧، جيش التوشيح ١٠، ٢٩٠ .
- (٦) النفح ٥: ٣٧١، ديوان الاعى التطيلي ٢٧٥، دار الطراز ٦٦ .

ذاتها (١) .

وحقيقة أن خسارتنا كبيرة بالنسبة للموشحات عامة وموشحات العصر خاصة ذلك أن كبار مؤرخي الأدب ازدروها واحتقروها ، وترفع بعض المعاصرين عن تدوينها في مجلداتهم ومصنفاتهم ، متذرعين بأعذار مختلفة وإن كانت في جملتها واهية فالفتح بن خاقان في كتابه " قلائد العقيان " و " مطمح الأنفس " ترجم لعدد من الشعراء الذين اشتهروا بنظم الموشحات ولكنه لم يورد شيئا من موشحاتهم ، انمسا اكتفى بإيراد قصائد هم التقليدية ، بل لا يكتفي بذلك إذ نجده يلح للموشحات بطريق خفي فيه كثير من الازدراء والتحقير لها وذلك في ترجمته لأبي القاسم المنيشي المعروف بعصا الأعمى لملازمته الأعمى التطيلي الشاعر الوشاح المعروف ، يقول ابن خاقان (٢) " . . . ونكب عن المقطع الجزل إلى الفرض الفصل وليس من شرط كتابسي هذا اثبات بذائه ولا أن أقف هذا وقد أثبت له ما هو عندي نافق ولفرض موافق " ويمتدح المراكشي بطريقة لبقة فيها كثير من الظرف عن إيراد الموشحات فيقول (٣) : " لم تجر العادة بإيرادها - الموشحات - في الكتب المجلدة الخالدة " .

وقريبا من هذا صنيع ابن دحية في كتابه " المطرب " ، ففي ترجمته لابن زهر يقول عن الموشحات (٤) " هي زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق " ومع هذا لم يورد سوى موشحتين فقط وهما لابن زهر .

أما ابن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة فلم يدون منها شيئا في ذخيرته مع أنه يقول فيها (٥) : " تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب " وذلك لأن أوزانها كما يقول (٦) : " خارجة من غرض هذا الديوان ، إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب " .

-
- | | |
|--|---------------------------------|
| (١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ٤١٩ . | (٢) المطمح ٢١٠ . |
| (٣) المعجب ٩٨ . | (٤) المطرب ٢٠٤ . |
| (٥) الذخيرة ١ : ١ : ٤٦٩ . | (٦) المرجع السابق ١ : ١ : ٤٧٠ . |

وأمام هذه المواقف من مؤرخي الأدب ازاؤه الموشحات كانت خسارتنا من الموشحات كبيرة للغاية ، والآ فأتين هي موشحات ابن بقل شلاً الذي يروى أن لـه ما ينيف على ثلاثة آلاف موشحة ومثلها قصائد ومقطعات منقحة (١) ؟

ومع هذا كله فإن ما تبقى بين أيدينا من موشحات العصر ، استطاعت أن تقدم لنا صورة مشرقة عن مدى تعبیر أصحابها عن طبيعة بلادهم ، تلك الطبيعة الضاحكة الطروب ، ومن مدى تفاعلهم معها واهتمامهم بها ورعايتهم لها ، ولم تكن في ذلك دون شعر القريض كثيراً ، فالحكم على نوع الأدب وتحديد ه لا يختلف ضياعاً أو وجوداً فالمعین الدافق سائل واحد في الحاضر والفائب على السواء كما يقول الدكتور محمد رجب بيومي (٢) ، وما بين أيدينا من موشحات العصر يكفي لإصدار حكم على مدى عناية الوشاحين بوصف طبيعة بلادهم .

(١) الخريدة ٤: ٢٠٠: ١٣٠ .

(٢) الأدب الاندلسي بين التأثير والتأثير ٣٥ .

من خلال دراستنا السابقة للطبيعة في شعر القصيد والموشحات في عصر المرابطين ، تبين لنا بوضوح مدى اهتمام شعراء العصر ووشاحيه بطبيعة بلادهم وصدقهم في تصوير ما اشتملت عليه ، اذ ذكروا كافة عناصرها وكل مقوماتها ما دق منها وما جل ، فوصفوا الرياض والبساتين ، والأزهار والرياحين ، والشمار والأشجار ، والسحب والبروق والأنهار ، والهضاب والجبال والليل والنهار ، والكواكب والنجوم ، كما وصفوا الطبيعة الحية بما فيها من حيوانات وطيور ، كالفرس والذئب ، والناقة والكلب ، والحمام والطيور بأنواعه فرسموا كل هذا في لوحة فنية جميلة ، صادقة التعبير عن بيئة بلادهم الطبيعية وما فيها وما عليها .

وقد برز في هذا المضمار من الشعراء والوشاحين كثير من الأعلام حظيت الطبيعة بالقسط الأوفر من فنهم ونالت القسم الأكبر من شاعريتهم ، ومن هؤلاء الشعراء والوشاحين ، أبو اسحاق بن خفاجة والأعشى التطيلي وأبو الحسن علي بن عطية البلسني ، وابن صارة الشنتريني وأبو القاسم بن العطار وأبو بكر يحيى ابن بقي وأبو بكر محمد المعروف بالأبيض وأبو بكر يحيى بن الصيرفي وغيرهم .

ومن الملاحظ أن هنالك تبايناً في أساليب هؤلاء الشعراء والوشاحين ، وطرق تناولهم للبيئة الطبيعية في الأندلس في أشعارهم وموشحاتهم ، إلا ان هناك قدراً من السمات العامة والخصائص الفنية ينطوى تحتها نتاجهم الفني ويشترك فيها من حيث النسيج اللغوي وتأثرهم بمن سبقوهم من شعراء الأندلس واخوانهم شعراء المشرق خاصة أولئك الذين اهتموا بوصف الطبيعة في أشعارهم كأبي بكر الصنوبري ومهيار الديلمي وكشاجم الرملي وابن المعتز وغيرهم .

هذا الى جانب أوجه الابتكار ومجالات التجديد التي حاول كل منهم أن يسهم فيها بقدر طاقتهم .

فأبحث النسيج اللغوي عند شعراء العصر ووشاحيه عامة من حيث ألفاظهم ومعجمها الشعري ، والصورة الفنية ومدى صدقهم ووضوحهم في تناول مادة فنهم ، وكيف هضموها ورسموها لنا بعد أن أضفوا عليها كثيراً من عواطفهم

ومنحوها شيئاً من وجدانهم وأحاسيسهم ، فجاءت صادقاً في التعبير عن مشاعرهم
وخلجات نفوسهم وخفقات أفئدتهم تجاه تلك الطبيعة الجميلة الخلابة .

موضحاً — من ناحية — مدى تأثير هؤلاء الشعراء باخوانهم شعراء المشرق
الذين تجمعهم بهم وحدة اللغة والتراث الأدبي وعوامل أخرى ، الى جانب تأثيرهم
بالشعراء الأندلسيين السابقين عليهم ، كاشفاً — من ناحية ثانية — أوجه التجديد
ومجالات الابتكار عندهم في محاولة للوصول الى الحقيقة والانصاف ، إذ كثيراً ما
وُصِفَ شعراء الأندلس بأنهم لم يأتوا بجديد حتى في شعر الطبيعة سوى الكثرة
يقول الدكتور شوقي ضيف (١) وحتى شعر الطبيعة عندهم — الأندلسيين — لم
يأتوا بجديد سوى الكثرة) ، وعصر المرابطين لم ينل حظّه من الدراسة والبحث
فأغفل أدبه رغم أنه من أبهى الفترات التي مرّ بها الأدب الأندلسي ، حيث استطاع
الأدب فيه أن يتخلّص من القيود التي يوثقه بها اتصاله بالبلاط وخدمة السلاطين
والملوك ، فانطلقت قرائح الأدباء وتحرّرت نفوسهم ، وأصبح فنّهم أصدق تعبيراً
عن ذواتهم وبيئتهم وعصرهم (٢) .

فهل حقاً لم يأتوا بجديد في شعرهم سوى الكثرة ، أم أنهم أبدعوا
وبرعوا في التعبير الصادق عن حقيقة مشاعرهم وتجاربهم في تلك البيئة الجديدة
لدرجة انعكس معها الوضع العسكري للعصر فلم يخل شعرهم في الطبيعة — من
ظلاله ؟

-
- (١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الرابعة ،
دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠ ص ٤١٢ .
- (٢) الأدب الأندلسي في عهد المرابطين ، الدكتور مصطفى عوض الكريم ، مطبعة
مصر سنة ١٩٦٨ م ص ١ .

النسيج اللغوي :

الكلمة عنصر أساسي من عناصر البناء الفني للشعر ، وركن رئيسي للعمـل الأدبي ، يقول الدكتور عبد الحكيم بليغ عن الكلمة (١) : عامل من أقوى العوامل التي تتوقف عليها قيمته — العمل الأدبي — الجمالية . والأداء الفني الجميل أساسه الدقة في اختيار الكلمة ووضعها في بيئتها وامتزاجها مع معناها ، إذ ليس هو فـي مجموعه إلا طائفة من الكلمات الموثلفة المعبرة) ، وقد يكون للكلمة الواحدة مـن الفضل والمزية في موقع من مواقع الكلام ما ليس للكلمة نفسها في موقع آخر ، والكلمة هي الكلمة والجرس هو الجرس والحروف هي الحروف كما يقول الاستاذ ابراهيم سلامة (٢)

والشاعر العبدع الملهم والأديب الصادق الفنان هو ذلك الذي يستطيع أن يوفر للكلمة بيئة صالحة ومناخاً مناسباً من التلاوهم بحيث يسمح لها أن تشع أكبر شحنتها من الصور والظلال والايقاع وأن تتناسق ظلالها وايقاعاتها مع الجـو الشعوري الذي تريد أن ترسمه والا يكفي بدلالاتها المعنوية الذهنية (٣) ، وبهذا يستطيع الشاعر العظيم والفنان الموهوب أن يخلق من الكلمات العادية قطعاً ساحرة يهبها من ابداعه ويضفي عليها من فنّه وروحه ما يمدّها بزخم حيوي يوهلها لأن تلامس مشاعره وتعانق عواطفه وتمس شفاف قلبه وتدور حول مداره (٤) .

ومن هنا نجد حرص الشاعر على اختيار ألفاظه واهتمامه بانتقاء مفرداته لأن الكلمة مادة الادب ، تؤدى دورها في حمل جيشان العواطف الوجدانية وترجمتها والتعبير عنها بصورة دقيقة أمنية ، يساعد ها في ذلك كله ما تتمتع به من أبعاد نفسية وظلال موحية وهالة رقيقة شفافنة .

- (١) النشر الفني وأثر الجاحظ فيه ، الدكتور عبد الحكيم بليغ ، الطبعة الثانية ، طبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة سنة ١٩٧٥ م ص ٢١٤ .
- (٢) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ، ابراهيم سلامة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ٢٦٦ — ٢٦٧ .
- (٣) في النقد الأدبي ، دراسة وتطبيق ، الدكتور كمال نشأت ، مطابع النعمان ، النجف الاشرف سنة ١٩٧٠ م ص ٣٤ .
- (٤) الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي ، الدكتور عبد بدوى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وزارة الثقافة والاعلام ، مصر سنة ١٩٧٣ م ص ٢٧ .

والاهتمام باللفظة في الشعر يعني الاهتمام بالصوت الموسيقي الذي تحدثه اللفظة مستقلة بنفسها ومع غيرها من الألفاظ المجاورة لها ، ثم بالجمال الذي تضيفه على التركيب من جرّاء رونقها وسلاستها وبالتالي بالايحاء الذي تحمله طيّها والشحنات التي تختزن فيها .

وقد تنبّه زقّاننا القدّامى الى هذا الجانب من انتقاء الألفاظ وتخيّر الكلمات والعناية بالاسلوب الشعرى ، موضحين قيمة الأصوات فيها توافقاً وانسجاماً ، ان نجد عند ابن طباطبا في عيار الشعر قوله في وجوب كون الشعر (١) : كالسنيكة المفرغة ، والوشى المنظم والعقد المنظم ، واللباس اللائق ، فتسابق ألفاظه معانيه) ، ونجد مثل هذه العناية بالألفاظ والاهتمام بانتقاء المفردات عند أبي هلال العسكري في كتابه " الصناعتين " حيث نجد يقول (٢) : (وليس الشأن في ايراد المعاني ، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبيدوي وانما هو في جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف ، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً) .

وهذا يعني بوضوح تام أن النقاد العرب قد تنبّهوا منذ أمد طويل إلى ضرورة الاهتمام بالكلمة لما لها من أهمية كبرى في العمل الأدبي ، وأعتقد أن الشعر الخالد والأدب الباقي هو ذلك الذي يحرص فيه صاحبه على التوفيق بين اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون والعناية بهما على المستوى نفسه بحيث يتعدّد الفصل بينهما لشدة تلاحمهما وانسجامهما لتحقيق القيمة الجمالية التي تحقق الاحتياج الفني الذي هو غاية الأدب ومبتغاه (٣) ، والكلمة مجردة ليست بقادرة على صنع الأدب الجيد ، فلا بدّ لها من تضافر العناصر الأخرى ، كالموسيقى والصورة

(١) عيار الشعر ، ابن طباطبا ، تحقيق الدكتور طه الحاجري ، والدكتور محمد

زغلول سلام ، القاهرة سنة ١٩٥٦ م . ص ٤ .

(٢) كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد البحّاوى ومحمد أبو الفضل

ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٢ م . ص ٥٧-٥٨ .

(٣) النشر الفني وأثر الجاهظ فيه ، ٢٢٤ .

والمضمون لتكون قادرة على اعطاء الاسلوب للقصيدة الشعرية باتساقها مع مجاوراتها من المفردات وتآلف حروفها وموسيقاها الداخلية والخارجية ، فالى أى حد أدرك الشاعر الاندلسي أو الوشاح في عصر المرابطين هذه القومات للعمل الفني ؟

لا شك أن الشاعر الاندلسي أو الوشاح في عصر المرابطين أدرك كل هذا وأولى اختياره للألفاظ وانتقاه للمفردات والكلمات عناية كبيرة ، واستطاع أن يمنحها ظلالاً موحية لتعبر عن سابق انفعاله وعميق احساسه بتجربته الشعرية ، كما حرص حرصاً كبيراً على توفير الموسيقى الشعرية والنغم الصوتي والايقاع الموسيقي لكلماته ومفرداته ، التي عن طريقها وبواسطتها ينقلون الينا عواطفهم ويعبرون عن تجاربهم وقد بلغت العناية عندهم بالشكل درجة كبيرة أوحت للمستشرق غوسيا غومس أن الشعر الاندلسي ليس سوى كلمات منققة وأصوات موسيقية فحكم على بعض الشعراء بأنهم (١) :
(عاشوا أعمارهم مكبلين بقيود القوالب الشكلية الجامدة ، ومن ثم لم يستطيعوا أن يدخلوا على الشعر من التفسير إلا أشياء تمس المعاني . . . فحاولوا أن يعطوا هذه المعاني صوراً جديدة عن طريق تقطيرها في أنابيب بلاغية وأوغلوا في ذلك حتى استخرجوا منها تلك الزخارف الشعرية " الاريسكية " التي تشبه أن تكون " قصور حمراء " لفظية) .

الآن أن قرأنا في ومطالعاتي لشعر عصر المرابطين وخاصة شعر الطبيعة نقودني الى عدم موافقة غوسيا غومس فيما ذهب اليه ، إذ أن هناك أشعاراً كثيرة تقطر رقة وتفيض عذوبة ، وتأتي بعفوية وسهولة ، وتتدفق بهدوء وانسياب دون تصنع أو تكلف ، كقول ابن الزقاق البلسني في رياض الشقيق (٢) :

ورياض من الشقائق أضفى	يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها	زهرات تروق لون السراح
قلت ما زيتها ؟ فقال مجيباً	سرفت حمرة الخدود الملاح

(١) الشعر الاندلسي ٢٥

(٢) الديوان ١٢٥

فهذه الأبيات غاية في الرقة والمذوبة، ومثلها في ذلك قول أبي محمد ابن القبطرنة يحث أخاه أبا بكر على اغتنام مسرات أيامهم الممتعة بين أحضان الطبيعة (١) :

يا شقيقي وافئ الصباح بوجهه ستر الليل نوره وبهاؤه
فاصطحب واغتنم مسرة يسوم لست تدري بما يجس مساؤه

وقول أخيه أبي بكر مجيباً إياه بداهة (٢) :

يا أخي قم تر النسيم عليلًا باكر الروض والمدام شمولاً
لا تنم واغتنم مسرة ينسوم أن تحت التراب نوماً طويلاً

فهم حريصون على اغتنام كل ساعة من ساعات حياتهم في لذة متعة بسنين الرياض الزاهية الفاتنة .

وكثير مثل هذا الشعر عند شعراء العصر (٣)

وقد أرجع الدكتور محمد خفاجي هذه السهولة في الالفاظ، والسلاسة في التراكيب الى (٤) أن الشعراء لم يحملوا الالفاظ ما لا تطيق من المعاني المزدحمة ولم يباليوا في الأخذ بفنون البديع من تورية وجناس وغيرها ، وما كان يقع لهم منه في عباراتهم جميل مقبول ، لأنهم كانوا يأخذون من الانواع البديعية ما تجود به القرحة من غير تعمل ولا اجتهاد خاطر .

وهم حريصون على وقع كلماتهم في نفوس المتلقين ، مهتمون بما لها من أهمية صوتية ومعنوية ، ذلك أنهم لم يرموا من قولهم الى اقتناص المحسنات البديعية واثقال أشعارهم بالزينة اللفظية ، إنما كانوا يخرجون الى الطبيعة يعاقرون السراج

(١) الذخيرة ٧٧٣:٢:٢ المصدر السابق ٧٧٣:٢:٢

(٢) أنظر مثلاً : الخريدة ٤:٢:١٧ ، البدائع ٣٧٥ ، القلائد ١٥٠ ،

المطمح ٢٢١ ، المغرب ٢٦٧ ، وصفحات كثيرة في النفح .

(٤) قصة الأثب في الاندلس ، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، المطبعة

المنيرية بالأزهر ، ٥٨ : ٤ .

ويعجبون الشمول أو يستمعون الى الغناء ويتذوقون الجمال الرائع ، فيثير مشاعرهم ويهز عواطفهم ويحرك وجدانهم ، فيندفعون للتعبير عن ذلك بالألفاظ وكلمات هسي في جملتها رقيقة رقة الطبيعة الاندلسية ذاتها .

وهذا لا يعني أن شعر الطبيعة كله جاء على هذه الطريقة ، فهناك أشعار أثقلها أصحابها بالمحسنات البديعية ، كقول ابن خفاجة (١) :

سرى بين دَفَاعٍ مِنَ الْوَدَقِ مُفِيدٍ
يَسْخِرُ وَلَمَّا عَمِ السَّجَرُ مُحْرِقِ

ولكنها تبقى أشعار قليلة ، إذ أغنى الشعراء قصائد هم بالتشبيهات والاستعارات . والتشبيه ترميز المعاني الممثلة بالأوهام شبيهاً في الاشخاص الماثلة والأشباح القائمة ، في حين أن الاستعارات تبرز المعاني أبداً في صورة حية مستجدة تزيد قدرها نبلاً ، وأسلوباً التشبيه والاستعارة يدلان على خصب الخيال وسنموه وسعته وعمقه (٢) .

وان كانت الفاظ الشعراء قد رقت في وصفهم الورود والأزهار والرياحين وعذبت كلماتهم عندما ذكروا الرياض والحدائق والبساتين ، فقد كانت جَزَلَةً قَوِيَةً فَي وصفهم الصحراء والابل والخيول ، حيث أغربوا في ذلك واستخدموا ألفاظاً فيها الكثير من الفخامة والقوة ، وتلك الفخامة والقوة مستمدتان من قوة الموضوع نفسه ، فالبنون شاسع بين الزهرة في جمالها ورقتها ، وتضوع أريجها وفوح نشرها ، وبين الناقصة أو الفرس في قوتها وصلابتها ، في ضخامة أعضائها وكبر أجزائها . لذا لا نستغرب جزالة ألفاظهم وقوة تعابيرهم ، كقول الأعشى التطليلي يصف فلاة في مدحه الأمير يوسف بن تاشفين (٣) :

ودونك كل مَوَاةٍ فَيَسَّاح
كأن نهارها قلب حزين
إذا سَرَّحْتَ طرفك قلت بحر
يذل الطرف فيه ويستكين

(١) الديوان ٢٢٧ .

(٢) الأدب العربي في الاندلس ٢٩٣ .

(٣) الديوان ٢١٠ .

وقد لمع السراب فقلت : مياه
 كأن هضابها والال ينزرو
 وأخرى مثلها إلا غشاوش
 كأن عمادها كشبان رمل
 وجمال الضب فيه فقلت : نون
 بها موج تراقص أو سفين
 كأن قعيدها ميت دفين
 اليك وقد تكون لها شئون

وهم كذلك من حيث جزالة اللفظ ، وقوة العبارة ، ومثانة السبك في وصفهم النوق والخييل ، وأرى أنهم موفقون ومحققون في ذلك ، إذ أن الخيل صلبة قوية استخدموها في معاركهم وقتالهم الفرنجة ، فكانوا في كلامهم وألفاظهم يصورون قوتها وصلابتها ، فهم يستمدون جزالة اللفظ من قوة الخيل ، ويستمدون قوة العبارة من صلابتها ، ومثانة التعبير من مثانتها ، فهذا ابن خفاجة يصف الحصان مستخدماً ألفاظاً غير تلك التي عهدناه يستخدمها في وصفه الرياض والحدائق والسمورود والزهور ، يقول (١) :

وأقرب وردى القميص بمثلـه
 يمشي العرصة في الطريق كأنه
 فبدا وقد ملا النفوس مسرة
 مشطوف ما شاءه متمطـف
 ولرب يوم كربهة قد خاضه
 ومن الحميم بذفرته فضـف
 والشهب شهب والمعاجة سدفة
 خيض الظلام وريعت الظلمان
 أومى يجذب عنانه نشوان
 وجرى بما ملئت به الأجفان
 فكانما هو في العيان عنان
 سبها وبيض سيقه غدران
 ومن النجيع بصد ره عقيان
 والشقر جمر والقتام دخان

وكقول أبي بكر يخيل بن بقل في وصفه (٢) :

لكن على سابع نهدي مراكله
 أقام في الحي أحوالاً وأونسه
 فجاء إذ صنعوه وهو مضطرب
 يهوى من الأرض أتى شاء راكمه
 موئل الجيد والارساغ والأذن
 يسقى الخليطين من ماء ومن لبن
 سامي التليل مسمر الخلق كالشطن
 ويترك الريح في الأرى والرستن

(١) الديوان ٣٤٤ .

(٢) الذخيرة ٢: ٦١٩ .

فهم يستخدمون الالفاظ التي تقترب من الخشونة والوعورة مثل* :

مراكل ، موهلك ، التليل ، المقتب ، عبل الشوي ، وكذلك شأنهم في وصف الابل ان يستخدمون الفاظا مثل* : وجناه ، وظيف ، عنتريس ، بازل ، عرّس ، شرواض . . .

يقول ابن السيد البطليوسي المتوفي سنة ٥٣١ هـ . في وصف ناقصة (١) :

نَبَّهَ اللَّيْلَ بِالْوَجِيفِ وَلَا تَوَ لَعَبَدَارِ الْهَوَانِ بِالْأَغْصَاضِ
وَأَقْرَضِيفَ الْهَمُومِ كُلِّ أَمُونٍ عَنَتْرِيسٍ وَبَازِلٍ شَرَّ رَوَاضِ
أَنْقَذَتْنِي مِنَ الرَّدَى وَطَأَتِي الْبَيْدُ وَنَقَضَ الْهَمُومُ بِالْأَنْقَاضِ
شَكَّلَهَا كَالْقِسِيِّ وَهِيَ سَهَامٌ لِلْفَلَا وَالرَّغَاءِ كَالْأَنْبَاضِ
خَلَّتْهَا حِينَ خَاضَتْ اللَّيْلَ سَبْحًا غَمَسَتْ مِنْ دُجَاهٍ فِي خَضَخَاضِ
بَدَدَتْ عَرْمَقَ الدِّيَا جَرَّ حَتَّى كَرَعَتْ فِي مَاءِ الصَّبَاحِ الْغُفَاضِ
حِينَ رَاعَ الظَّلَامَ وَخَطَّ مَشِيبَ قَدْ سَرَى فِي سَوَادِهِ بَبِيَاضِ

فهذه الابيات تكثر فيها الالفاظ الغريبة التي يحتاج معها الى استخدام

المجسم .

وسبكههم متين وشمرهم رصين في وصفهم الزمانيات ، سيما ليل السفر والترحال

يقول ابو الفضل جعفر بن شرف (٢) :

أَرَحَ خَطَاكَ فَحَلِي النِّجْمُ قَدْ نَهَبَا

وقد قضى الشوق من وصل الدجى أربا

أَنَا رَكْبَنَا مِنَ الظُّلَمَاءِ جَانِحَةٌ

كَأَنَّنَا مِنْ دُجَاهِ تَمْطِطِي نَوْبَا

(١) أزهار الرياض ٣ : ١٤٥ - ١٤٦ . (٢) الذخيرة ٣ : ٢ : ٨٨٦ ، القلائد ٢٥٥ .

* أنظر ديوان ابن خفاجة ١٢٣ ، ١٩١ ، ٥٧ ، ٢٨٠ ، ديوان ابن الزقاق ٨٤ ،

الاعشى التطيلي ٨١ ، ١٠٢ ، ٢٠٠ ، ٢١٩ ، الذخيرة ٢ : ٢ : ٦١٩ ، ٩٣ : ٨٩٤ - ٨٩٥ .

* أنظر الخريدة ٤ : ٣١ ، القلائد ٢٥٣ ، الذخيرة ٢ : ٢ : ٦٣٣ ، ٦٣١ - ٦٣٢ ،

ديوان ابن خفاجة ٥١ ، الاعشى التطيلي ٢٤٣ .

إذا استمرت بمجرى النجم سالكة
 خَلَّتْ المجرة من آثارها ندبها
 تهفو الركاب فتهدى بها أسنتها
 كأنما عارضت أطرافها الشهبها
 وباتت الخيل يقدر حن الحصى حنقا
 حتى تضرم حبل الليل والتهبها
 والليل مثل عذار الكهل شبيهه
 جور الزمان على الأحرار فاختضبها

كما نلاحظ استخدامهم ألفاظاً ذات مدلولات حسية بصرية مثل السور
 والنور والزهر والنجم كقول عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي المتوفي سنة ٥٤٢ هـ
 في النجم (١) :

والنجم حيران في بحر الدجى غرق
 والبرق فوق رءوس الليل كالعلم

وألفاظاً ذات مدلولات حسية شمعية مثل العطر والنثر وهبات النسيم المضمخة
 بالندى كقول أبي بكر بن رحيم (٢) :

أمسك دارين حياك النسيم بهبه
 أم عنبر الشجر؟ أم هذى البساتين
 بشاطئ النهر حيث النور موهتف
 والراح تعبق؟ أم تلك الرياحين

وأخرى ذات مدلولات حسية سمعية مثل نوح الحمام وتغريد الطير وصهيل
 الخيل وخرير الماء وحفيف الشجر، كقول ابن خفاجة (٣) :

ومناير الأشجار قد قامت بهبها
 خطباء مفصحة من الأطيهار

(١) الإحاطة ٣: ٥٤٠، القلائد ٢٠٨، بنية الملثمين ٣٨، الخريدة ٤: ٢: ٥٢٩.

(٢) المغرب ١: ٢٤٨، الخريدة ٤: ٢: ٤٩٢، المطمح ٢٩. (٣) الديوان ٣٤.

والخلاصة ، أنه كانت للطبيعة ألفاظها الخاصة بها ، التي تميزت بالسهولة والوضوح ، والغذوية والرقّة بشكل عام ، ولكنهم اذا وصفوا الصحراء أو الابل أو الخيل فانهم يستعملون ألفاظا تميل الى الغرابة مع احكام في الوصف والبناء ، ولكنهم لا يرتفعون بها الى حد الخشونة والوعورة ، لأنهم جريصون على الموسيقى الشعرية التي هي (١) (عصب حيوى في بناء الاسلوب وتلاحم أجزائه) إذ أنه لمن الصعوبة بمكان أن نفصل بين الكلمة وما تحمله وتشتمل عليه من قيمة صوتية ، أى بين الاسلوب والموسيقى ، وقد استعان بعض شعراء عصر المرابطين على تحقيق الموسيقى الشعرية في أشعارهم بتقسيم عباراتهم وألفاظهم الى (٢) (جمل متوّجة تكاد كل موجة منها تعادل زميلتها و ترتبط بها أوثق ارتباط . . كقول الاعمى التطيلي في الخيل (٣) :

ضَمْرًا كَالْقِسِيِّ مُطَرَّدَاتٍ كَالْقَنَا مُسْتَشَقَّةً كَالنَّبَالِ
من منايا الأوابد المستفرا ت وأقوات الضيع الاغفال

كما استعان شعراء العصر على ذلك بتكرار كلمات مقاربة الحروف والنظم إذ أن العناية بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع يزيد من موسيقى الشعر وذلك لأن الأصوات التي تتكرر في حشو البيت مضافة الى ما يتكرر في القافية ، تجعل البيت أشبه بغضلة موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان (٤) . نحو قول أبي القاسم ابن العطار في حديقة (٥) :

لله حسن حديقة بسطت لنا منها النفوس سواف ومطاطف
تختال في حلل الربيع وحليه ومن الربيع قلائد ومطارف

ونحو قول ابن خفاجة يصف متفرجا (٦) :

وصقيلة التّوار تلوى عطفها ريح تَلَفْ فروعها مِعْطَارُ

(١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ٣٤٦ .

(٢) ابن زيدون ، حياته وعصره وأدبه ، الدكتور علي عبد العظيم ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة الرسالة سنة ١٩٥٥م ، ص (٤٧) .

(٣) الديوان ٢٠٠٢ . (٤) موسيقى الشعر ، الدكتور ابراهيم أنيس ، القاهرة ١٩٤٩ .

(٥) الخريدة ٤: ٢ : ٥٨٧ ، النفح ٤: ٣٠٢ ، القلائد ٢٨٤ .

(٦) الديوان ٢٨١ .

عاطى بها الصهباء أحوى أحور سحاب أنيال الصبي سحار
والنور عقد والفصون سواف والجزع زند والخليج سوار
رقص القضيبي بها وقد شرب الثرى وشدا الحمام وصق التيار

وان كان حرص شعراء الطبيعة في عصر المرابطين على الموسيقى شديداً فان حرصهم على الصورة الشعرية أشد ، إذ أن الصورة الفنية وسيلة من وسائل التعبير عن التجربة الشعرية ، ولأجل تحقيق غايتها تلك (١) تتطلب تضافر وتآلف الصور الجزئية في القصيدة فيما بينها لتكوين الصورة الكلية التي هي التجربة الشعرية .

والصور يوءى بعضها الى بعض ويحقق كل منها مع ذلك وجوده المستقل وفي هذه الحال كما يقول الدكتور مصطفى ناصف (٢) ذروة استقلال الصورة وخصومها وتبسميتها معا .

ونحن ننظر الى الصورة بكليتها ومجملها ، لا على أنها وحدات منفصلة ، إذ أننا لا نتلقى الصور فرادى ، وانما نعابنها في مساقاتها ، ونحن أميل الى أن نرى كل صورة وقد نبتت مما حولها ، واتسقت مع غيرها وانسجمت مع سواها وعادت تترك أثرها فيه ، بحيث تصبح العلاقة بين الاجزاء متبادلة ، وبعبارة أوضح ، نحب أن نرى الصور الفنية تنمو وتتجه بالقصيدة اتجاهها موحداً ، فاذا تضاربت تضارب اتجاهها . و (٣) المنطق الشعري يخلق كأي منطق آخر ، نظاماً ونسقاً ، قد نعجب بصورة مفردة ، فان نحن أرجعناها الى سياقها بدت غريبة وأقل جمالا .

وللخيال هنا دور كبير لأنه كما يقول الدكتور كمال نشأت (٤) العنصر الذي يساعد على تشكيل الواقع الخارجي تشكيلاً جديداً في العمل الادبي (ذلك لأن الصورة الشعرية تتضافر مع الخيال وتتضمن مع العاطفة لنقل التجربة الشعرية

(١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ٣٥٥ .

(٢) الصورة الادبية ، الدكتور مصطفى ناصف ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الاولى

١٩٥٨ م ص ٢٤٦ .

(٣) المرجع السابق ٢٥٤ .

(٤) في النقد الادبي ، دراسة وتطبيق ٢٩٩ .

المفضل بها ، حيث يرى بعض النقاد أن مقياس الصورة الأدبية هو قدرتها على نقل الفكرة والعاطفة (١) .

والنص الأدبي الخالد هو عمل تلتقي فيه العاطفة والفكرة والصورة وبقدرة ما يكون بين هذه العناصر من توافق وانسجام يتوفر للنص الأدبي القيمة الأدبية لأنها في الحقيقة هي المقومات الأساسية والدعائم الرئيسية لكل عمل أدبي ، فمما لا شك فيه كانت العاطفة صادقة والفكرة عميقة والصورة جميلة حسنة نجاح الأديب أو الشاعر أي يكون نجاحه ، إذ ما يحتاج لعاطفته من صدق وفكرته من عمق وصورتها من جمالية وحسن (٢) .

وقد كان الثقافة الدينية عند شعراء الطبيعة في عصر المرابطين أثر واضح في شعرهم ، حيث انعكست تلك الثقافة على شعر بعضهم في وصف الطبيعة ، حسن نحر قول أبي الفضل جعفر بن الأظلم في الزهوار (٣) :

أُظِرُّ لِي الزَّهَارُ كَيْفَ تَهَلَّلْتِ

بِسَاقِ الرُّوحِ الْمَجُودِ نَجُومًا
وَسَاقُطَتِ فَمَا كَانَ مُسْتَرْقًا دُرًّا
لِللَّيْلِ فَتَنَقَّصَتْ عَلَيْهِ رَجُومًا
وَالِي مَسِيلِ الدَّاءِ قَدْ رَقِمْتَ صَدًّا
عُ الرِّيحِ فِيهِ مِنَ الْحَبَابِ رَقُومًا
تَرَى الرِّيَاضَ لَهُ نَشِيرَ الزَّاهِرِ
فَنَعِيدُهُ فِي ضَفَّتَيْهِ نَظِيمًا

فالبيت الثاني مستمد من قوله تعالى في سورة الجن (٤) : (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا) .

- (١) أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٦٤ م ص ٢٥٠ .
(٢) النشر الفني ٥٢ . (٣) المغرب ١ : ٣٩٦ - ٣٩٧ .
(٤) سورة الجن الآية ٩ .

وكقول ابن زهر الحفيد يصف زهر الكتان (١) :

أهلاً بزهر اللازورد ومرحباً

في روضة الكتان تعطفه الصبا

لو كنت ذا جهل لخلت لك لجنباً

وكشفت عن ساق كما فعلت سباً

فالبيت الثاني مأخوذ من قوله تعالى في سورة النحل (٢) : (فلما رأته حسبه

لجة وكشفت عن ساقها) .

وكقول ابن الرزاق في وصف روضة قد هبت عليها نسائم الصباح فانمطفت

أشجارها على بعضها وثمايلت أغصانها (٣) :

هبت بها ريح الصبا سحرة

فالتقت الأشجار ساقاً بساق

فمجز البيت مأخوذ من قوله تعالى في سورة القيامة (٤) (والتقت الساق

بالساق) .

والصور تزدهم عند شعراء الطبيعة وواحيتها في عصر المرابطين وتكتظ

فهذا الاعى التطيلي مثلاً يستغل جزئيات الصور ليشكل منها ألوان لوحته الكبرى

فيجمع بين هبات النسائم ولمعان البرق وقهقهة الرعد وانهمار القطر ، وهو يصف

روضة حزنمة حيث تنمو اللوحة وتتشكل الصورة لتعطي منظراً طبيعياً خلّاباً ، يقول (٥) :

وروضة حزن بين طيب نسيمها

وبين ثنيات الجشا مخلص سهل

(١) النفح ٣ : ٤٦٨ ، جيش التوشيح ٢٧٥ .

(٢) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٣) الديوان ٢١٩ .

(٤) سورة القيامة الآية ٢٩ .

(٥) الديوان ١٠٧ - ١٠٩ .

تسيرُ بماتبين الأُحبة من هوى
رسائلُ منه لا تُضيقُ أورسُلُ
شدى تشهاده الأَصائل والضنى
تَصيحُ المنى في صفحتيه وَيَعْتَلُ
مع الريح ما هبت له فاذن و نبت
تخير في اكمامها هو والطلل
كأن المدامَ المرف بانت تعلّمها
فللطيب منها جانب قلما يخلو
أُتلك سقت أزهارها أم غما مة
إذا نفحت أيقنت أن سوفى تنهل
كأن التماع البرق في جنباتها
مصاييحُ تذكى أو صوارم تستل
وقبهه فيها الرعد من كل جانب
كما هدرت في الهجمة الفتق البزل
أرنت على ذي الأثل خير حلبة
فهل عندهما علم بما لقي الأثل
ومالت على أكناف لبنان ميلسة
فسحّ عليها ديمة كلها وبل
كذلك حتى كل مندوحة بها
قد ير ، وحتى كل مشرفة وحل
وحتى التقى في سبلها الصقر مخفقا
وليثُ الثرى غرثانُ والسرب والاجل

والصور الشعرية أكثر ايدحاما في شعرا بن خفاجة ، ان كان مفرما بالصور
البرانية من تشابيه واستعارات وكنائيات ، فقد (١) أقام القصيدة على قاعدة المقطوعة
(١) ديوان الرصافي البلسني ، أبي عبد الله محمد بن غالب ت ٥٥٧ هـ . جمعه وقدم
له د . احسان عباس ، دار الثقافة ، ط الاولى ١٩٦٠ ، المقدمة ص ١٦ .

فكان يحشد صوراً متراكمة متلاصقة يتعقب فيها القارىء وهو يجرى وراءه تخيلات—
وعصوره، كما ينص الدكتور احسان عباس .

ومن خير النماذج التي تمثل تخيلات الشاعر وعصوره قول—ه (١) :

والليل مشمط الذؤابة كبرة
خرف يدب على عصا الجوزاء
ثم انتنى والضبح يسحب فرقه
ويجر من طرب فضول ردا
تندى بفيه أفحوانة أجرع
قد غارلتها الشمس غب سماء
وتمس في أثوابه ريجانة
كرعت على ظمأ بجدول ماء
نفاحة الانفاس ألا أنها
فلويت مقطفها اعتناقاً حسيها
حذر النوى خفاقة الأثيا
والفجر ينظر من وراء عمامة
عنه مقلّة كحلت بها زرقاء
فرغيت عن نور الصباح لزورة
فيه يقطر الدمع من أنداء
عن مقلّة كحلت بها زرقاء
أغرى لها ببنفسج الظلماء

وقد يلجأ الشاعر أحياناً الى التخييم والمبالغات ، كقول ابن خفاجة (٢) :

وليل كما مدّ القراب جناحه
وسال على وجه السجل ممداد
به من وميض البرق والجوفحة
شرار ترائى والغمام زباد
سريت به أحبيه لا حية السرى
تموت ولا ميت الصباح يمداد
يقلب مني العزم انسان مقلّة
لها الاقح جفن والظلام سواد
بخرق لقلب البرق خفقة روعة
به ولجفن النجم فيه سهاد
سحبق فلا غير الرياح ركائب
هناك ولا غير الغمام مزار
كأنني وأحشاء البلاد تجنّني
سريرة حب والظلام فوهاد
أجوب جيوب البید والصبح صارم
له الليل غمد والمجر نجاد

كما يعمد ابن خفاجة أحياناً الى التشخيص ، وخير ما يمثل التشخيص عنده

قصيدته في الجبل ومطلعها (٣) :

بُعَيْشِك هل تدري أهوج الجنائب
تخب برحلى أم ظهور النجائب

(١) الديوان ١٥٤ . (٢) المصدر السابق ١٣٢ . (٣) المصدر السابق ٢١٥ .

على أنهم لم يوفقوا في كل صورهم الشعرية ، فكان التوفيق بجانبهم أحياناً
فأبو بكر بن رحيم لم يوفق تماماً في قوله مادحاً الأمير أبا اسحق ابراهيم بن يوسف
ابن تاشفسين (١) :

وللحياة ابتسام في جد أولها كما تشق جيوب فوق لبات
حدائق أحدها للمنى شجر خضر وأودية خفت بروضات
جنات أنس رعى الرحمن بهجتها حسبت نفس منها وسط جنات
منازل لست أهوى غيرها سقيت حياً يعم وحفت بالتحيات

فالتوفيق لم يحالف الشاعر في الصورة في البيت الاول ، إذ أن شق الجيوب
وتمزيق الشياح مقترن عادة بالبكاء ، والعيول المنبعث عن الألم والحسرة ، والشكل ، في حين
أن الابتسام علامة السرور والغبطة ، والرضى والبهجة .

ومن الصور غير الموفقة ما قاله الأعشى التطيلي مصوراً انبلاج الصباح من
الظلام ، كأنه شرارة نار في كومة فحم ، وإن بنوره يتوسع تدريجياً فيلتهم السواد حتى
يأثر عليه ، ثم يكتسح النجوم ويجرفها أمامه وجلة خائفة من شدة تدفقه وقوة عنفه
يقول (٢) :

والصبح في الظلما سقط في فحم
تنسل عنه تارة وتلتئم
حتى فرى تلك الدياجي فحسم
ومال بالنجوم سيلة القسرم
فأجفت مثل نعام أو نعسم
قد أوجست نبأة سواق حطم

فالصورة تزخر بالحياة والحركة ، ولكنها لا تخلو من عنف وشدة ، وقوة وحدة ، لا
ينسجمان مع ما نألفه في الصباح من هدوء ونعومة ، ونعمده فيه من رقة وعذوبة

(١) - الخريدة ٤: ٢: ٢٧٥ ، القلائد ١١٥ .

(٢) - الديوان ١٨٥ .

قال تعالى (١) : (والصبح اذا تنفّس) فأين السواقة الحام الشديد من النفس الهادي المطمئن .

ومن الصور القلقة المنفرة ، قول ابن خفاجة يصف زورقا ينساب في نهر (٢) :

وانساب بي نهر يعب وزورق فتحملني عقرب وحباب

فصورة انسياب النهر وفوقه المركب موحية شفافة ، تطمئن اليها النفس ويستريح لها الخاطر ، لكن الشاعر حرمانا من الاسترسال معه ان سرعان ما أدخل الرعب والهلع الى النفس عندما أتى بصورة العقرب والافعوان ، لما أثارته فيها من فزع وخوف وقلق ان كيف يتسنى لنا أن نتخيّل انساناً تحمله عقرب وأفعى دون أن يتبادر الى ذهننا اللسع والألم ، فالصورة الثانية لا تتسق مع الصورة الاولى ولا تتلاءم معها .

ومن الصور المنفرة التي لا يرتاح لها الذوق السليم أيضا ، صورة شهد التسكين التي رسمها ابن خفاجة عندما شبهه بریق حبيب وقد نعس فأخذ ينساب من فيسه يقول (٣) :

أما واهتصار غصون البلس
وقد قلّص الصبح ذيل الغلس
وما ل يسيل جنى شهيد
كما سال ريق حبيب نعس

ويكرر ابن خفاجة الصورة نفسها في الموضع نفسه (٤) .

على أن هناك صورا جميلة كتلك التي رسمها ابن عارة الشنتريني للنهر وقد ركب مع أصحابه في نهر أشبيلية في احدى العشيات ، يقول (٥) :

تأمل حالنا والجو طلق محيا وقد طفل المساء

-
- | | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة التكوين ، الآية ١٨ . | (٢) الديوان ٢٦٥ . |
| (٣) الديوان ١٩٦ . | (٤) ديوان ابن خفاجة ٣٦٦ . |
| (٥) الديوان ٣٧٤ . | |

وقد جالت بنا عذراء خبلى
تجانب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسججل كوشرى
تعبس وجهها فيه السماء

أو تلك التي رسمها ابن خفاجة نفسه للنهر في قوله (١) :
لله نهرٌ سال في بطحاء
أشهى وروداً من لى الحسناء

ومن الصور الجميلة تلك التي رسمها ابن خفاجة لشجرة منورة وما ساءح
حيث خلع على الشجرة عفات الأنثى في دلها ونثنيها وقد التفت بملاءة من السحاب
يقول (٢)

يا رب مائة المعاطف تزد هي
من كل غصن خافق بوشاح
مبتزة يرتج من أعطافها
ما شئت من كفل يموج رداح
نفضت ذوائبها الرياح عشيّة
فتملكنا هزة المرتساح
حطّ الربيع قناعها عن مفرق
شمط كما تزد كأس الراح
لفاء حاك لها الغمام ملاءة
لبست بها حسنا قميص عباح
نضح الندى نوارها فكانما
مسحت معاطفها يمين سماح
ولو الخليج هناك صفحة معرض
لثمت سوافها ثغور أقصاح

ويبني ابن الزقاق البلنسي معظم قصائده على طريقة العرب القديمة بمثلة فسي
الجرأة والستانة والحفاظ على عمود الشعر العربي ، مبتعداً عن الاغراق بالصـ
مجهوداً نفسه في توليد المعاني أو تحليل الظواهر ، مستنفذاً كل طاقاته التخيلية
واهتممه في سبيلها (٣) ، ان يقوم على تصيد الطرافة وجمال العرض في ابراز صور
الشعرية ، معتمداً على شي من الحوار وأسلوب القصة كقولـه (٤)

وأتميد طاف بالكؤوس ضحى
وحشها والصباح قد وضحا
والروض يبدى لنا شقائقه
وأسه الهنبرى قد نفحها

- (١) الديوان ٢٥٦ . (٢) نفس المصدر ٢٨١ - ٢٨٢ .
(٣) ديوان الرصافي البلنسي ، المقدمة ١٧ .
(٤) الديوان ١٢٤ .

قلنا وأين الاقحاح ؟ قال لنسا :
أودعته شفر من سقى القدحا
فظل ساقى المدام يجحد ما قال ، فلما تبسم افتضحما

وخاتمة شعراء الطبيعة بالمضمون لا تقل عن عنايتهم بالشكل ، إذ لا يكفى
الشكل وحده للحكم على جودة القصائد وجمالها ، دون أن يميز ذلك الشكل بأفكار
ومضامين تجعله ذا هدف ومغزى ، فالقصائد كما يقول الدكتور محمد السعيد (١) :
(لا تتغذى بالزنايق) لأن الشعر (٢) (فن يعبر عن وجدان الشاعر وأحاسيسه
أزاء تجربة إنسانية صادقة ، فهو يستلهم مضمونه من المواقف النفسية التي يعالجها
الشاعر نحو هذه التجربة) فالقصيدة وجدان وإحساس تنزلق في قارب الكلمات
في (٣) (نسق معين يحقق لها أداء المعنى وأداء الصورة ، وذلك خلال نغم صوتي
يلائم نوع هذه التجربة الشعورية) .

ويتجلى اهتمام شعراء الطبيعة في هذا العصر في الوضوح والصدق والبعد
عن التألف والتعقيد ، إذ أن جل شعر الطبيعة اتسم بالوضوح والاشراق وعدم
الغموض الموهى إلى انغلاق المعاني وضبابية الروميا ، فجاء شعرهم سهل الهضم
ميسر المباشرة واضح الفكر ، وإن كان بصح ما قاله غرسيا غومس من أن الشعر الاندلسي (٤)
(بلغ من حشد المعاني فيه أن استلصى معظمه على الحفظ والبقاء وكان يعسر
على الفهم الكامل) أقول إن كان هذا يصح على الشعر في بعض عصوره وفنونه
فهو لا يصح على شعر الطبيعة في هذا العصر لما اتسم به من وضوح وعدم غموض
وتعقيد .

وقد كان شعر الطبيعة معبراً خير تعبير عن واقع البيئة الطبيعية الأندلسية
صانقاً في نقل ما يعتلج في نفوس القوم وتضطرم به عواطفهم من حب بيئتهم ، وأعجاب

(١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ٣٦٩ .

(٢) أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، الدكتور عبد الحكيم بلبع ،

مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ، ص ٣٢٨ .

(٣) في النقد الأدبي ، دراسة وتطبيق ٤٩ .

(٤) الشعر الاندلسي ٢٦ .

بها مناقهم الى تفضيلها على سائر البيئات ، ورأى فيها ابن خفاجة ما يفضلها معه على الجنسات (١) :

يا أهل أندلس لله دركم ما وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم وهذه كنت لو خيّر أختار
لانتوا بعد هذا أن تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار

وقد صور الشعر في الطبيعة بعض العادات الاجتماعية كالرقص الجماعي للجواري مثلاً : يقول أبو بكر يحيى بن بقى (٢) :

سطر من اللوز في البستان قابلني ما زان شيء على شيء ولا نقصاً
كأنما تلّ غصن كدم جارية إذا النسيم ثنى أعطافه رقصاً

فالبستان يكشفان بعداً اجتماعياً ، كما يدلّان على اهتمام الأندلسيين في زراعة الأشجار وتنسيقها وتنظيمها في بساتينهم .

وقد بلغ بهم الصدق في التعبير عن تجاربهم وانفعالاتهم بالأجواء العسكرية المحيطة بهم درجة انعكست معها الصورة الدائمة للأندلس لما خاضته من حروب كثيرة مع الفرنجة ، أصبح منظر الدم معها مألوفاً لديهم ، فأتت تلك الصورة في شعر الطبيعة وبان وضع البلاد خلالها ، يقول أبو الحسن بن جودي المتوفي سنة ٥٣٠ هـ (٣) :

أدر كاس الماء فقد تغنى بقرع الأيك أوركها الصدوح
ونمّ على الرياض نسيم صبح يمر كما وري سار طليح
وسال النهر يشكو من حصاه جراحات كما أن الجريح

وكقول عيسى بن ليون (٤) :

والجلّ نار دماء تلتى معترك والياسمين حباب ماء قد طفا

(١) الديوان ٣٦٤ وانظر الديوان ١٣٦ ، النفح ١ : ١٤٨ .

(٢) النفح ٢ : ١٨ .

(٣) الاطاعة ٤ : ١٥٩ ، المطمح ١٢٢ .

(٤) القلائد ٩٩ .

وأيضاً قول ابن صارة الشنتريني في وصف شقائق النعمان (١) :
يهفو بها فرُّ النسيم كأنَّها حمرُ البنود تُشرن في الميدان

فالنهر يئن أنين الجريح والجلنار دماء معركة وشقائق النعمان رايات مخضبة
بالدماء أو جراحات تيدو في خامات الزرع التي تميس أمام الرياح كأنها الكتائب
المهزومة ، يقول أبو الفضل بن موسى بن عياض المتوفي سنة ٥٤٤ هـ (٢) :

أنظر الى الزرع وخاماتــــه تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتائباً تجفُّ مهزومــــة شقائق النعمان فيها جراح

وقد ابتعد شعراء الطبيعة عن التفلسف في أشعارهم وليس ذلك مأخذاً عليهم
ولا عيباً في شعرهم إذ لا نطلب من الشاعر أن يكون فيلسوفاً حكيماً ، سيما وهو يُغني
الطبيعة ويمجد فتنتها وجمالها ، قد رما نطلب منه الصدق في التجربة والسعة في
الخيال والروعة في الأسلوب الى جانب المضامين التي يتوجب أن تكون ذات غنى
وأصالــــة (٣) .

وهناك بعض المبالغة عند بعضهم في وصف الطبيعة ، كقول ابن الرزقراق
البلنسي في وصف روضة (٤) :

تأرجح مطلولُ الروابي فزرتــــها وأمال هاتيك الربى يقتني الزُّورا
وأتحفني منها الربيعُ بــــورده عبراً به الأنفاس إذ فتق النُّورا
حكمت نفحة من هويت ووجنــــة فأنشقها طوراً وألثمها طــــورا

فالمبالغة واضحة في البيت الأخير .

أما الموشحات في عصر المرابطين ، فقد اتّسمت بصورة عامة بما اتّسم به شعر
القصيد من الصدق في المضمون والسهولة في الأسلوب والرقّة في التعبير عن جمال

-
- (١) الذخيرة ٢: ٢: ٤٨١ .
(٢) الرايات ١٠٨ ، وفيات الأعيان ٣: ٤٨٤ ، المغرب ٨٧ ، الخريدة ٤: ٢: ٢٠٥٢ ،
المعجم ٣٠٦ ، أزهار الرياض ٤: ٢٤١ ، الاحاطة ٤: ٢٢٦ .
(٣) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ٣٧٢ . (٤) الديوان ١٧٨ .

الطبيعة الاندلسية وبهجتها ، وقد كان حظ الطبيعة الصامتة منها أوفر ، حيث انصرف معظم الوشاحين الى وصف الأزهار والورود والرياحين والبساتين ولائهم التي تحف بها . .

ولا أرى أن الصواب كان الى جانب أولئك الباحثين الذين رأوا في الموشحات انحذاراً وانحطاطاً في اللغة وضعفاً وركةً في العبارة وابتذالاً وسخفاً في المعنى فكانت — في نظرهم — علامة من علامات انحلال اللغة العربية وضياعها (١) .

صحيح أن الموشحات اتسمت بصورة عامة بالتساهل اللغوي وكانت كما يقول المستشرق ليفي بروفنسال فتناً مرناً وأكثر حيوية وأسلم سليقة من فنون الشعر الكلاسيكي المعقّد ، بعبارة أخرى ، فلا يمكن أن توصف بالعامية أو السوقية ، إنما مجال ذلك فن آخر ، هو الزجل (٢) .

والقراءة الواضحة والنظرة الفاحصة والدراسة المتعمقة لموشحات العصر دفعتني الى مخالفة الأستاذ أحمد ضيف فيما ذهب اليه من أنها — الموشحات — خليط من الشعر والكلام الدارج ، وأن عبارات عالية تتخلل أبياتها ، وانحرافات لغوية وامرأية تتخلل في بنائها وحشوها (٣) .

فالموشحات ان اقتربت من العامة في التعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم ابتعدت من العامية في الاستخدام ، ما خلا استعمال اللغة الاعجمية أو العامية في الخرجة فقط ، واستخدامها في الخرجة يُستحسن ويستحب ، بل يفضل فيها الاعدام واللين لأنها (٤) (ابزار الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره) .

يقول الدكتور جودت الركابي (٥) (فلغة الموشحات يغلب عليها الضعف والرككة وهي في لينتها وحريتها ، واثلافتها مع روح العامة قادت اللغة الشعرية الى الرككة

(١) أدباء العرب في الاندلس ٨٦ ، بلاغة العرب في الاندلس ٢٣٠ ، في الادب الاندلسي .

(٢) أدب الاندلس وتاريخها ٢٥ .

(٣) بلاغة العرب في الاندلس ٢٢٩ .

(٤) دار الطراز ٤٣ . (٥) في الادب الاندلسي ٣٠٥ — ٣٠٦ .

وأسماء من هذه الناحية الى اللغة العربية . . . وكانت الموشحات قفزة من القفزات التي أدت الى الشعر الشعبي العامي المسمى بالزجل (في حين نعلم أن الزجل فن قائم بذاته وهو موجود منذ زمن (١) ، بل ان الدكتور الركابي يعود ليقول (٢)، (ان الموشحات ليست السبب كله في ظهور شعر الزجل) ولم شهو الى هذا الدرك من الضعف والبهذ عن الأساليب الفصيحة الا في عصور الانحطاط .

الا ان قراءة موشحات العصر ودراستها تطمئننا الى أن لغتها كانت فصيحة قوية ، لا تقل كثيراً عن مستوى لغة شعر القصيد ، وبقيت لغتها خالية من الضعف والهذيان أو الاسفاف والعامية خلال عصورها المتقدمة ومنها عصر المرابطين ، وحافظت على فصاحتها وقوتها وان كانت دون لغة شعر القصيد مائة وجزالة ووعورة وغرابية وذلك لأنها وضعت أصلاً للغناء الذي يقتضي أن يكون اللفظ سهلاً لنا ، والكلمة عذبة رقيقة تنسجم مع النغم الموسيقي المنبعث من آلة الطرب والغناء ، كموشحة الابيض (٣) :

وجنة الورد المحللى	تفتدى السحر المبيننا
صبغت شغاه أحسوى	بد موع العاشقيننا

وموشحة ابن بقل (٤) :

ساعدونا مصحيننا	نرشفها قد ضمينا
كنضا في لجسين	نعم أجزر العالمينا

أما فيما يتعلق بالمضمون ، فقد أغنى الوشاحون موشحاتهم بوصف الطبيعة والديك عنها في مجلس أنسهم ولهوهم وطربهم وغنائهم بصور لطيفة رشيقة ، وان تمثروا أحياناً عندما شبهوا الزهر والورد بالماديات الجامدة كالفضة والعقيان ، كقول

-
- (١) الأرب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ٢٢٢ .
 - (٢) في الأرب الأندلسي ٣٠٦ .
 - (٣) جيش التوشيح ٤٩ .
 - (٤) المصدر السابق ١٣ .

الأعمى التطيلي (١) :

والزهر فتمّة وعقيان والماء يحكي انسياً شعبان في مذنب بستان .

فالوشاح جعل من الزهر فتمّة وعقيان وهي ماديّات جامدة لا تبحث في النفس
الراحة التي يبعثها فيها الورد والزهر بطيب نشره وذكي عطره وجمال لونه ، إلا أن
يكون الوشاح رمي من وراء هذه التشابه الى تداخل الألوان المختلفة في المنظر
الواحد من أحمر وأبيض وأصفر وغير ذلك ، وتبقى الصورة رغم هذا صادقة في التعبير
عن اعجاب الوشاح ببيئته الطبيعية ومدى هيامه بها وحبّه لها .

ب - التأثر بالمشاركة :

شعر الوصف يعتمد إلى حد كبير على قوة الإدراك وسعة الخيال ودقة الذوق واستيعاب المشهد الطبيعي وتصوره ، فهو ظل البيئة التي يعيش فيها الشعراء ومن هنا اختلف شعر الوصف باختلاف البيئات .

ففي الجاهلية نجد الشعراء قد وصفوا الخيل والابل والوحش والغزال والبرق والسحاب والجبال والتلال ، والأطلال والديار والفيافي والمفاوز والقفار ، أما ففي العصور التالية ، فقد تغيرت بيئة العرب واتسعت نظراً للفتوحات الإسلامية ، فشاهد العرب أشياء لم يكن لهم بها سابق عهد أو معرفة ، فوصفوها في قصائد هم وذكروها في أشعارهم .

وشأن شعراء الاندلس شأن شعراء العرب عامة ، فقد وصفوا ما هو جديد في بيئتهم ، وحكوا القدماء في وصفهم ما هو قديم ، وقد تأثر شعراء الاندلس باخوانهم شعراء المشرق ولا غرابة في ذلك ، فاللغة واحدة ، وبلاد الاسلام في حكم الرعايا والافراد بلد واحد ، يرحل الواحد من الاندلس الى المشرق ويتزود بالزاد الدسم من الثقافة والعلم والأدب ، ويرجع حاملاً نفائس المؤلفات والمصنفات ، وهم يحنون الى المشرق حنين حب وحنين رحلة وحنين علم وأدب ، وقد بلغ بهم الاقبال على الرحلة الى المشرق أن الشخص كان (١) (يعاب بأنه لم يرحل الى الشرق) فقد رأوا في المشرق استاذ يتهم التي يتكئون عليها في ثقافتهم ، وينهلون منها معرفتهم فيستلهمونها في أدبهم ويستوحونها في أشعارهم وقصائدهم .

وقد صرح بعض أدباء الاندلس وشعرائها بتأثرهم باخوانهم المشاركة ، فهذا ابن خفاجة يقول في مقدمة ديوانه (٢) : (ما تصفحت مثل شعر الرضي ومهيار الديلمي وعبد المحسن الصوري وما حذا حذوه وأخذ مأخذه ، حتى تملكني من تلك

(١) ظهر الاسلام ، أحمد أمين ، الجزء الثالث ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٢ م ، ٣ : ٢٤ .

(٢) الديوان ٦ .

المحاسن الرائعة الرائقة والألفاظ الشفافة الشائقة ما يناسب برد الشباب رقصة
وهرد الشراب ريقه ، فما كان إلا أن ملئت اليه وأقبلت عليه أروقة وأرويه ، وأحاول التشبيه
بواحد واحد فيه) . كما كان يقدم بعض قصائده بقوله (١) (في طريقة عبد المحسن
الصوري) .

وقد نعى ابن بسام الشنتريني في ذخيرته على شعراء الاندلس تقليد هم
لاخوانهم المشاركة واعتبارهم المشرق قبلتهم الأدبية ، يقول (٢) : (ألا أن أهمل
هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق ، يرجعون الى أخبارهم المعتادة ، رجوع
الحديث الى قتادة ، حتى لو نطق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق
ذباب لبحثوا على هذا صنماً وتلوا ذلك كتاباً محكماً) .

فالمشرق قبلة الشعراء ، ومحط أنظار الأدباء ، وشعراؤه أساتذتهم الاجلاء
وشعرهم المثل الاعلى وأدبهم الغاية القصوى التي رمى اليها شعراء الاندلس
مقلدين ومتأثرين .

فالى أى حد قلّد شعراء الطبيعة في عصر المرابطين اخوانهم المشارقيسة ؟
وهل التقليد دليل قوة أم دليل عجز ؟ وهل عيباً أن يقلّد بعض الشعراء اخوانهم
المشارقيسة ؟

لا شك أن هناك تقليداً عند شعراء العصر لاخوانهم المشاركة في بعض الصور
الفنية ، وان هناك محاكاة لهم في بعض التشابيه والاستعارات ، ولكنهم على هذا بقوا
صادقين فيما قالوه من أشعار في طبيعة بلادهم فجاءت تلك الأشعار تحمل قطعاً
من أنفسهم وكثيراً من خلجات أفئدتهم حيال تلك البيئة الجميلة التي وجدوا فيها
أمّاً زهواً وصدراً حانياً وحضناً دافئاً فشاطرتهم أحزانهم وأفراحهم وشاركتهم
أعيادهم وأفراحهم .

(١) أنظر ديوانه ١٢٥ ، ١٩٢ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١ : ١٢ .

ولم يكن شعراء العصر مقلدين فحسب وليس التقليد عيباً على الشاعر ولا دليل عجز أو ضعف ، يقول الدكتور سعد شلبي (١) : (التقليد شخصية وشخصية ايجابية يجب أن نعرفها للمقلدين ، فممنها ما يستعير أدب من أدب مقلداً أو محاكياً ، فأنما ذلك يدل على ايجابية الأديب ونمو شخصيته ، ففرق بين ذلك وبين أن تقف الأئمة أو الافراد مكتوفي الايدي ينظرون في زهول ودهشة الى النماذج الأدبية الرائعة ويكتفون بالتصفيق لها والتهليل ، ومن هنا يجب أن لا نقبل من شأن أخذ الاندلسيين من المشاركة أو نسجهم على منوالهم أو أن نبالغ فندمي الأ شخصية لهم) .

ولا أرى في الاتكاء على التراث واستلهامه عيباً على الشاعر ان هو يستعين بمخزونات من الافكار والمعاني التي يستمدّها من ثقافته اللغوية والأدبية والدينية والتاريخية لتغذية شعره ومدّه بما يبعث فيه القوة والحيياة .

وتأثر بعض الاندلسيين بالمشاركة ليس أمراً غريباً بل الفريب حقاً هو أن لا يتأثر الاندلسيون بالمشاركة الذين تجمعهم بهم وحدة اللغة والتراث والعقيدة من ناحية ، وكثرة الرحلة والنقلة من الغرب الى الشرق ومن الشرق الى الغرب ودخول بعض مصنفات المشاركة الى الاندلس في وقت مبكر ، بل أحياناً قبل أن تنشر في الشرق من ناحية أخرى .

اذن ليست الغرابة في التأثيرات بفقدان الاصاله وذوبان الشخصية ، وشعر الطبيعة في العصر قوى الدلالة على مشاعر أصحابه الوجدانية نحو بيئتهم وطبيعتهم بلدهم ، كما أن نبوغ عدد من الشعراء في هذا المجال ينفيان ذلك ، وان كان أصحاب الملكات العالية في الاندلس قد شعروا بحاجتهم الى أدب الشرق ، وقوى شعورهم هذا ما لمسوه من نفاذ وقوة في الادب المشرقي ، فمكفوا عليه وتأثروا به (٢) .

(١) البيئة الاندلسية ٢٠٨ .

(٢) الادب الاندلسي بين التأثير والتأثير ، د . محمد رجب بيومي ، أشرفت على طباعته ونشره ادارة الثقافة والنشر في جامعة الامام محمد بن سعود

الاسلامية ، مطابع جامعة محمد بن سعود ١٩٨٠ ، ص ٤٠ .

فهذا الاعشى التطيلي يقول في النجم سهيل والثريا (١) :

وَجَنَّ سَهِيلٌ بِالثَّرِيَا جَنُونُوسَهُ وَلَكِنْ سَلَاهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

فهذا من قول عمر بن ابي ربيعة فيهما وهو (٢) :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَا سَهِيلًا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

فالتأثير واضح جداً بلغ درجة أخذ معها الاعشى التطيلي بعض ألفاظ عمر
ابن ابي ربيعة .

وصورة ضحك الأزهار والنباتات ليكاء السحب وهطول المطر التي ألفناها عند
شعراء الطبيعة في عصر المرابطين ، نجد لها عند شعراء المشرق ، فكشاجم الرملبي
مثلاً يقدم لنا هذه الصورة في قوله (٣) :

إِلَى الرُّوْضِ الَّذِي قَدْ زَيَّنَتْهُ شَابِيبُ السَّحَابِ بِالْبُكَاءِ
بَكِينَ عَلَيْهِ فَاِبْتَهَجَتْ رِيَاءَهُ تَبَاهَى فِي زَخَارِفِ نَسْجِ مَا
كَأَنَّ الْأَقْحَوَانَ بِجَانِبِيهِ عَذَارَى يَبْتَئِمْنَ مِنَ الْحَيَاءِ

وهي صورة لطيفة عند كشاجم نفخ فيها الروح ومنحها الحياة .

وصورة تفتح النيلوفر نهاراً وأطباق أجفانه ليلاً ، أحس بها شعراء الطبيعة
في العصر كما سبق وأحس بها شعراء المشرق ، فتأثروا بهم فيها ، يقول ابن خفاجة (٤) :

وَنَيْلُوفَرٍ لَمْ يَدِرْ مَا مَسَّ حُرْقَةً بِحَبٍّ وَلَا مَا لَوْعَةُ وَغَرَامٍ
يَهَبُّ مَعَ الْأَصْبَاحِ مِنْ سِنَةِ الْكُرَى وَيَطْبِيقُ لَيْلًا جَفَتَهُ فَيُنَامُ

وكقول ابن وهبون فيه أيضاً (٥) :

وَبَرَكَةُ تَزْهُو بِنَيْلُوفَرٍ نَسِيمُهُ يَشْبَهُ رِيحَ الْحَبِيبِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ دَنَا وَقْتُهُ وَمَالَتِ الشَّمْسُ لَحِينَ الْمَغِيبِ
أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ عَلَى أَلْفِهِ وَغَاصَ فِي الْمَاءِ حَذَرَ الرَّقِيبِ

فهذه من قول ابن المعتز الشاعر المشرقي في بركة نيلوفر :
وَبَرَكَةُ تَزْهُو بِنَيْلُوفَرٍ أَلْوَانُهُ بِالْحَسَنِ مَعْوَتُهُ

(١) الديوان ٢٢٥ . (٢) الديوان ٤٣٨ . (٣) الديوان ٢٧ . (٤) الديوان ٣٦٢ .
(٥) فوات الوفيات ٢ : ٢٥١ .

نهاره ينظر من مقلوبة
كأن كل قضيب لـه
شاخصة الاجفان مبهوته
يحمل في أعلاه ياقوته

كما نجد مثلها عند مهيار الديلمي في قوله (١) :
ساهرة الليل نومه الضحى
ريانة والأرض تشكو الظما

أما قول الاعمى التطيلي في سحابة (٢) :
ريمة سحابة القياد تناهى
ريقها المحل وهو شوك القتاد

فهو مأخوذ من قول أبي تمام (٣) :
ريمة سحابة القياد سكوب
مستغيت بها الثرى المكروب

فالأول لم يكتف بأخذ الصورة انما تجاوز الى استخدام بعض ألفاظ الثاني .
وفي شعر ابن خفاجة كثير من التأثر والاستفادة والاخذ من التراث ، وذلك
موزع في أبيات متفرقة من الديوان ، ولم يخف ابن خفاجة ذلك بل صرح به في
المقدمة كما أنه كان يمهّد لبعض قصائده بقوله (٤) : (قلت على طريقة الصوري)
مثلاً .

وقول ابن عذارة الشنتريني في وصف النار (٥) :
لو ترانا من حولنا قلت شرب
يتعاطون اكوس الصهباء

فهو من مقلوب قول أبي نواس (٦) :
لو ترى الشرّب حولها من بعيد
قلت قوم من قرّة يمدّطوننا

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | الديوان ٨ : ١ . |
| (٢) | المصدر السابق ٣٧ . |
| (٣) | ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التهريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار
المعارف بمصر ١٩٦٤ ، الجزء الأول ص ٢٩١ . |
| (٤) | الديوان ١٤ ، ١٦ ، ١٢٥ . |
| (٥) | الخريدة ٤ : ٢٥٩ . |
| (٦) | الديوان ٥٩٣ . |

ومن تلك الصور التي استمدّها أصحابها من اخوانهم المشاركة قول ابن صارة في وصف حديقة (١) :

وحديقة من نرجسس وبهار رفعت لواء الحسن للنظار
فكأنما هذا ضحى متهلل وكأنما هذا أصل نهـار
اخوان أمهما معاً شمس الضحى وأبوهما قمر السماء السارى

فالبیت الثالث مأخوذ من قول ابن الرومي في حديقة (٢) :

هذى النجوم هي التي ربّتها بحيا السحاب كما يربى الوالد

وأساليب بعض الشعراء وصورهم في الوصف تكاد تكون نفس أساليب وصو المشاركة عندما يكون الموصوف نفسه ، فابن بقى يصف الناقة ويذكر زمامها ويشبهه بالحيّة في قوله (٣) :

وما راعها إلا الزمام تظنّنه اذا ما تدلّى حيّة في المخاطم

وكذلك يقول الاعى التطيلي في الغرض نفسه (٤) :

تخشى الزمام فتثنى جيدها فرقاً

كأنه بين ثني حيّة ذكـر

فقد سبقهما الى ذلك ابو العلاء المعرى ، فهما متأثران فيه (٥) :

يحاذرن من لدغ الزمّة لا اهتدى

مُخبرّها أن الزمّة أصلال

وكقول يحيى بن بقى في صفة صحراء (٦) :

بيداه كالمرحوم في أحواله لا ذأ أنيل وهذه لم تعمر

(١) الذخيرة ٢: ٢: ٨٤١ .

(٢) ديوان ابن الرومي ، ابو الحسن علي بن العباس بن جريح ، تحقيق : حسين

نصار ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٣ م . الجزء الثالث ص ٣٨٩ .

(٣) الذخيرة ٢: ٢: ٦٣٦ . (٤) الديوان ٥١ .

(٥) شروح السقط ١٢٥٧ . (٦) الذخيرة ٢: ٢: ٦٢٩ .

فهو من قول أبي تمام في نعت البلاد (١) :

وإذا تأملت البلاد رأيتها
تُشْرِى كما تُشْرِى الرجال وتعدم

ومن جميل شعر ابن الزقاق البلسي قوله وقد شهد لفناء ورقاء (٢) :

ومرنة قد حث زناد صابلي
ورقاء تأرق مقلتي ليكائنها
والبرق يقدح في الظلام شراره
ليلاً إذا ما هومت سسماره
ايه بعيشك يا حماة خبري
أتنفست بتنفسي أثلاثه
كيف الكئيب ورنده وعمراره
أم أينعت بمذامعي أزهاره

وأجمل منه وأرق قول يحيى بن بقى في الحمام وتفريد هنا (٣) :

طفت بالأيك فاستهلكت لموعي
تتفتى الثقيل حتى كأن قد
لحمام تبكي فراق حماميم
نشر الله معبداً من رميم
عجمة أعربت بوجدٍ دقيق
وكلام مقطوع من كل يوم

ويعلق ابن بسام على شعر أبي بكر بن بقى (كلام مقطوع من كلوم) بقوله (٤) :

(فأشفي للقلوب من اعتلال النسيم وأحلى على الأكباد من محاورة الطرف السقيم) .

الآن أبا العلاء المصري سبقهما إلى مثل هذا ، وذلك قوله في الأبل (٥) :

كأن المثاني والمثالث بالضحى
كأن ثقيلاً أولاً تزدهى به
تجاوب في غيد رفيع طسوال
ضائر قوم في الخطوب ثقال

ومن الصور الجميلة التي استلهمها شعراء الطبيعة في فترتنا من اخوانهم
المشاركة صورة الليل — الغراب — ينهزم أمام الصبح — الباز —

(١) الديوان ٣ : ١٩٥ .

(٢) الديوان ١٨٧ .

(٣) الذخيرة ٢ : ٢ : ٦٣١ .

(٤) المصدر السابق ٢ : ٢ : ٦٣١ .

(٥) شروح السقط ١١٨٨ — ١١٨٩ .

يقول ابو الحسن بن السيد البطلوسي (١) :

والليل منهقر يطير غرابه
والصبح يطرد به باز أشهب

فهو من قول ابي العلاء المعري (٢) :

بالله يا دهر أذق غرابها
موتاً من الصبح بباركها

وليس غريباً مثل هذا التوافق طالما ان الموضوع واحد ، وقد يتشابه احساس
الانسان وانفعاله مع احساس الآخر وانفعاله أمام الحدث أو الموضوع نفسه ، فإذا كان
شعراء الطبيعة في فترتنا قد انفرجت أساريرهم وخفقت قلوبهم لرياض بلادهم ، فكذلك
كان المشاركة ، يقول أبو بكر الصلوبي في حديقة زهر هامت بها نفسه (٣) :

غدوت على زهر الرياض مسلماً
وقد سمرت عن أوجه فيه مسفرة
فلم أر كخيرى فيما رأيت
إذا ما نغشت صفرة الشمس أضمره
وقد أصبحت أطرافه في محبس
من الطل يحكى منه أطراف أسوره

والبحر يهش لروضه الذي بعث الحياة في نفسه ، فأخذ في وصفه والحديث
عنه يقول (٤) :

وروض كساء الطل وشياً مجداً
إذا ما انسكاب الماء ماينت خلتها
وان سكنت عنه حسبت صفاءه
وغدت به ورق الحمام حولنا
فلا تجفون الدهر ما دام مسعدا
وإذا ما سقى بدراً تحلل مرقدا
فأضحى مقيماً للنفوس ومقعداً
وقد كسرت راحة الريح بسردا
حساماً صقيلاً صاغي المتن جرداً
غناء ينسبك الفريض و "معبد" *
ومد السرى ما قد حيأك به يدا
إذا ما سقى بدراً تحلل مرقدا

وليست التشابيه مقصورة على شاعر دون شاعر ، ورحم الله ابن بسام الشنتري في :

(١) الذخيرة ٣ : ٢ : ٨٩٢ . (٢) شروح السقط ٤٢٣ . (٣) الديوان ٧٥ . (٤) الديوان ٢ : ٢٥٠ .
* الفريض : عبد الملك ابو يزيد ، أحد رجال الفناء المبرزين في العهد الأموي ، وكان
معاصراً لمعبد المفضي المشهور . غنى سكينه بنت الحسين ، لقب بذلك لحمل
الأعلام ٤ : ٣٠٠ ، الأغاني ٢ : ٣١٨ .
معبد : نابغة الفناء في العصر الأموي ، نشأ في المدينة ، رحل إلى الشام بخدا أن ظهير
نبوغه في الفناء ، كان ادبياً فصيحاً . الأغاني ١ : ٤٧ ، الأعلام ٨ : ١٧٧ .

يقول (١) (ولحي الله قولهم الفضل للمتقدم ، فكم دفن من احسان وأخمل من فلان) .
والأندلسيون لا ينتقص من حقهم لأنهم استخذوا تراثهم واستعانوا بمخزونهم في
أشعارهم فجاءت بعض صورهم واستعاراتهم وتشبيهاتهم مماثلة لما نجده عند الشعراء
المشاركة كقول ابن خفاجة في وصف التين الأسود وتشبيهه بنهود فتيات الحبش (٢) :

وسود الوجوه كلون العسود	تَبَسَّمت تحت عبوس الغبش
إذا ما تجلى بياض الضحى	تطلعن في وجهه كالنمش
كأنني أقطف منها ضحى	ثُدَى صفار بنات الحبش

ومثله قول ابن السيد البطليوسي في الموضوع نفسه (٣) :

أهلاً بتين كالنهود حوالك	ضَمَخَ مسكاً شيب بالكافور
وكأن ما زرت عليه جيوبها	شهد يشاب بسمسم مقشور

فهما متأثران بوصف كشاجم الرمل للتين الاسود وذلك قوله (٤) :

أمرجنا المرجي أي مرج	في تينه البالغ غير الفج
يشبه في اللون وريح الأرج	نوافج المسك ويرد الثلج
مثل روءوس العلق سود نسج	أو كئدايا ناهدات الزنج

وأرى أن التوفيق كان الى جانب شعراء الاندلس وحالفهم أكثر مما حالـف
الشاعر الشرقي كشاجم الرمـلي .

وقد وصف بعض شعراء المشرق الذئب ولقائهم به في الفلاة وصعدوا لحظة
الصراع بينهم وبينه وحسموها لصالحهم إذ جعلوا النصر في جانبهم (٥) عندما صرعوا
الذئب الذي جاء يلتهم القرى (٦) ، ومنهم من لم يقلل ذئبه بل تركه ينصرف ملتصاً
القرى عند غيره (٧) ، وهم يخلعون على الذئب الصفات الحسيّة الظاهرة وكل هم

-
- | | |
|---------------------------------------|----------------------------|
| (١) الذخيرة ١: ١٤٠ . | (٢) الديوان ٣٧٤ . |
| (٣) أزهار الرياض ٣: ١٣٤-١٣٥ . | (٤) الديوان ٩٦ . |
| (٥) ديوان البحترى ٢: ٧٤٣-٧٤٤ . | (٦) ديوان الفرزدق ٢: ٣٢٩ . |
| (٧) ديوان الشريف المرتضى ٢: ١١٨-١١٩ . | |

الذئب التماس القرى، ولكن بأش الشاعر وقوة عزيمته ومضاه سلاحه كل هذه تحسب
دون افتراس الذئب له :

فالشريف المرتضى يزوره الذئب ليلاً وقد نزل به من الجوع ما بات يغيري
بافتراس الشاعر ولكنه لا يتمكن منه فينصرف باحشاً عن قوته ، يقول (١) :

وليلةً بتنا بالثنية سهداً	وما حشرها إلا ظلامٌ وحندٌ
وقد زارنا بعد الهد وتوصلاً	إلى الزاد فرثان العشيات أطلس
شد يد الطوى عارى الجناحين ما به	من الطعم إلا ما يظن ويحسد
أتاني مغبر السراة كأنه	من الأرض لولا أنه يتامس
تضائل في قطريه يكتم شخصه	وأطرق حتى قلت ما يتنقس
وضم إليه حسه متوجساً	وما عنده في الكبد إلا التوجس
يخادعني من كيسه عن مطيبيتي	ولم يد رائي منه أدهى وأكيس
وأقمى أزاء الرحل يطلب فررة	ويلقى إليه الحرص أن سوف أنصر
فقلت له لما توالى خداعه	تعرّ فما عندي لنابك منه
وما كنت أحميك القرى لو أردت	بفرق ولكن دار منك التفطرس
فلما رأى صبري عليه وانني	أضن على باغي خداعي وأنفس
عوى ثم ولى يستجير بشدة	ويطلب بهما نام منها المجبر

فيقلد هؤلاء الشعراء شعراً فترتأ وهم يصفون الطبيعة الجماعية في بلادهم
فهذا ابن خفاجة يزوره الذئب ليلاً ، وهو ذئب أغبش اللون قد طواه الجوع وآله
البرد فيحاول افتراس الشاعر الذي يشهر سلاحه ويستل سيفه فيقصر عنه الذئب
يقول (٢) :

وأطلس زوار مع الليل أغبش
سرى خلف أستار الدجى يتجسس

(١) ديوان الشريف المرتضى ٢ : ١١٨ - ١١٩ .

(٢) الديوان ١٨٠ وأنظر ص ٨٦ ، ٢١٦ .

* الحندس : الظلام الحال ك ، اللسان مادة حندس .

* الفرثان : الجائع ، شدة الجمع ، اللسان مادة فرث .

* الجناحين : نظام الصدر ، اللسان مادة جأجأ .

* أطرق : أخض جفني ، سكت . اللسان مادة طرق .

تثائب من مَسَّ الطوى فهو يشتكي فيعوى وقد لفته نكباء صرصر^٩
ودون أمانيه شرارة لهب ذم يَلْب فيها مثلها حين ينظصر^٩
فمن جوعة تغريه بي فهو يدني ومن روعة تُثنيه عني فيقصر^٩

وقد طلب شعراء الطبيعة في عصر المرابطين من الطبيعة مشاطرتهم أحزانهم
كما شاركتهم أفراحهم ، ونجد مثل هذا في الشعر الشرقي ، ولكنها تبقى تجارب
صادقة عند المشاركة وعند الاندلسيين على السواء ، إذ لا يعقل أن تكون تقليداً ، إنما
هو شعور انساني صادق فيه كثير من التعاطف مع الطبيعة ، فأبو فراس الحمداني
الشاعر الفارس يقع في أسر الروم ويلقى به في السجن ، فيسمع حمامة تتوح على غصنها
وهي حزينة باكية على ألفها الفارق ، فتثير شجونه وتهز شاعريته فينشد (١) :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة^٩ أيا جارتا هل تشمرين بحالي
معان الهوى ، ما دقت طارقة أقوى ولا خطرت منك الهموم ببالي
أتحمل محزون الفؤاد قسواً على غصن نائي المسافة عبال
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترى روحاً لدَى ضعيفة تردد في جسم يُمدَّب بالسـ
أضحك مأسور وتكي طليقة ويسكت محزون ويندب سـ
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّة ولكن دمعي في الحوادث غسال

ويقع المعتمد بن عباد ملك اشبيلية في أسر يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين
فيحبسه في سجنه ببر العدو بأغمت دون ان يرثي لملكه الضائع ومجده الفابر وجهانه
المشكور في واقعة الزلاقة ، بل يقيد يديه وقدميه ويلقى به في السجن ، فتمر به أسراب
القطا طليقة غير مقيدة ، فتثير شجونه وتهز شاعريته فينشد (٢) :

- (١) الديوان ٢٣٨ .
(٢) ديوان المعتمد بن عباد ، ملك اشبيلية ، جمعه وحققه أحمد أحمد بدوي
وحامد عبد المجيد ، أشرف عليه وراجعته د . طه حسين ، المطبعة الاميرية
بالقاهرة ، ١٩٥١ م ص ١١٠ - ١١١ .

بكيتُ إلى سرب القطا إذ مررن بي
 سوارح لا سجن يموق ولا كبـ^٥ـل
 ولم تكـ والله المعيدُ — حسادةً
 ولكن حنيناً أن شكلى لها شكـ^٦ـل
 فأسرح ، لا شملى صديق ولا الحشا
 وجهي ولا عيناى يكيهما شكـ^٧ـل
 هنيئاً لها ان لم يُفرّق جميعها
 ولا ذاق منها البعد من أهلها أهل
 وان لم تبت مثلي تطير قلوبها
 اذا اهتز باب السجن أوصلل القفل
 وما ذاك ما يعتريني وأنما
 وصفت الذى في جبله الخلق من قبل
 والحقيقة أن أبيات المعتمد هذه قطعة من نفسه تصورها خير تصوير .
 ويبلغ تعاطفه مع القطا الذروة في قوله :
 ألا عصم الله القطا في فراخها
 فان فراخي خانها الماء والظـ^٨ـل
 أما نعي ابن الزقاق للطبيعة عدم مشاركته أحزانه في قوله (١) :
 فيا حسرتا ان مال للبسين والنوى
 وأقوى من ليث المجال عريـ^٩ـن
 وصوّح غصن من ذرى المجد ناضر
 وأقوى من القصر الرفيع مكـ^{١٠}ـن
 فما للربى لا جادها بارق الحيا
 ترف أراهاير لها وفصـ^{١١}ـون

وما للجبال الصم لم تتصدع أسي
وللزهر خفق بعده وسكون

فهو متأثر برثاء الفارعة بنت طريف* أخاها الوليد بن طريف* مستنكرة على
شجر الخابور ونباته الأبراق والخضرة ، يقول (١) :

فيا شجر الخابور* ما لك مورقاً
كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى
ولا المال إلا من قنا وسوف
كأنك لم تشهد هناك ولم تقسم
مقاماً على الأعداء غير خفي
ولم تستلم يوماً لورد كريم
من السرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لا تح
وسمر القنا ينكرنهن بأنا سوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى
فان مات لا يرضى الندى بحليف

فשמراء العصر ينظرون الى (٢) عبارة المشرق وأسلوب المشاركة وحياتهم
الفكرية نظرة مثالية فيها كثير من الشوق وكثير من العز وكثير من عدم الرغبة في
الابتعاد عن تقاليدهم المرسومة .

- (١) وفيات الأعيان ٦ : ٣٠ . (٢) في الأدب الاندلسي ٥٦ .
* الفارعة بنت طريف : أخت الوليد بن طريف ، شاعرة تجيد الشعر وتساك سيرته .
الخنساء في مراتبها .
* الوليد بن طريف : بن المصلت بن طارق الشيباني ، كان رأس الخوارج وكان
مقيماً في نصيبين ونواحيها ، خرج في خلافة هارون الرشيد
وحشد حشوداً كثيرة ، فأرسل اليه الرشيد جيشاً كثيفاً مقدمه
أبو خالد يزيد بن مزيد الشيباني فقتله سنة ١٩٧ هـ .
* الخابور : نهر معروف أوله بن رأس عين وآخره عند فرفيسيا ، يصب في الفرات .
وفيات الأعيان ٦ : ٣٢-٣٤ .

فابن خفاجة في قوله (١) :

وليل كما مَدَّ الغرابُ جناحه^٢ وسال على وجه السجل مداد

متأثر بالبحترى ، مستمد منه في قوله (٢) :

على باب قنسرين والليل لا طخ جوانبه من ظلمة بمـدـاد

وانذا كان شعرا^٣ الطبيعة في عصرنا قد اتخذوا من وصفها مدخلا لقصائده المدح وتوطئة لها ، وأحلوها محل الاطلال ووصف الديار ، فهم متأثرون ببعض شعراء المشرق ، فأبو تمام يصف الربيع وهو يمدح المعتصم ويطيل في وصفه الى درجة غطت على غرض القصيدة وذلك في رأيته التي مطلعها (٣) :

رَقَّتْ وَاشَى الدَّهْرُ فَبِئْسَ تَمَرُّمٌ وَفَدَا الثَّرَى فِي حَلِيهِ يَتَكَسَّرُ^٤

والبحترى يصف الربيع في تضاعيف احدى مدائمه قائلا (٤) :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقَ يَخْتَالُ ضَاكِكًا ^٥	من الحسن حتى كاد أن يتكلم
وَقَدْ نَبَّهَ النِّيرُوزُ فِي غُلَسِ الدَّجَى	أوائل ورد كن بالامس نوم
يَفْتَقُهَا بَرْدُ النَّدى فَكَأَنَّـه	يبث حدينا كان قبل مكتما
وَمِنْ شَجَرِ رَدِّ الرَّبِيعِ لِبَاسـه	عليه ، كما نشرت وشيا منمنما
أَحَلَّ قَابِدَى لِلْعَيُونِ بِشَاشِـه	وكان قذى للعين ان كان محرما
وَرَقَّ نَسِيمُ الرِّيحِ حَتَّى حَسِبْتُهُ	يجى بأفاس الأعبة نصما

ولم يقتصر تأثر شعراء الطبيعة في فترتنا على المشاركة فقط ، بل تأثروا أيضا بالشعراء السابقين عليهم في الاندلس نفسها ، فنحن واجدون كثيرا من صور أوائلئك عند هؤلاء ، فقد سبق أن وصف الاندلسيون سجالي الطبيعة الصامتة والصائتة في أشعارهم ، فهذا الشاعر الاديب أحمد بن عبدربه المتوفى سنة ٣٦٨ هـ يصف روضة (٥) :

- | | |
|------------------------------|-------------------------------|
| (١) الديوان ١٣٢ . | (٢) الديوان ٥٦١ : ١ . |
| (٣) الديوان ١٩١ : ٢ . | (٤) الديوان ٢٠٩٠ : ٤ - ٢٠٩١ . |
| (٥) التبعة ٨٣ : ١ ، ٨٣ : ٢ . | |

وما روضةٌ بالحزن حاك لها الندى
بروداً من الموشى حمر الشقائق
يقيم الدجى أعناقها ويميلها
شعاع الضحى المستن في كل شارق
إذا ضاكتها الشمس تبكي بأعين
مكحلة الأجفان صقر الحمالق
حكّت أرضها لون السماء وزانها
نجوم كأمثال النجوم الخوافق

فهي صورة مألوفة عند شعراء فترتنا حيث شبهوا الأزهار في اختلاف ألوانها
وتباين أشكالها وكثرة وجودها وانتشارها على الأرض بالنجوم اللامعة في السماء
يقول أبو عبد الله محمد بن عائشة البهليسي كاتب علي بن يوسف بن تاشفين (١) :

ودوحية قد علت سماء
تطلع أزهارها نجوم
كأنما الجو غار لئلا
بدت فأغرى بها النسيم
هفا نسيم الصبا عليها
فخلتها أرسلت رجوما

وكوصف أبي الفضل جعفر بن محمد بن الإعلم لها (٢) :

أنظر إلى الأزهار كيف تطلعت
بساواة الرّوض المجود نجوم
وتساقطت فكان مسترقاً دنسها
للمسمع فانقضت عليه رجوما
والى مسيل الماء قد رقت عننا
عُ الرّيح فيه من الحباب رجوم
ترمي الرياض له نثيراً زاهراً
فتعيده في ضوئيه نظيم

(١) الخريدة ٤: ٢: ٦٧٢ ، الذخيرة ٣: ٢: ٨٨٧ ، المغرب ٤: ٢: ٩٨ ، المغرب ٢: ٣١٤ ،

النفج ٤: ١٥٧ ، المطمح ٣: ٢٠٠ ، الرّيات ١١٣ ، البدائع ٣٧٩ .

(٢) المغرب ١: ٣٩٦ - ٣٩٧ .

وزهرة النيلوفر التي لاقت اهتماماً من شعراء فترتنا، يصفها لنا الشاعر أبو الأصبع بن عبد العزيز وصفاً جميلاً في قوله (١) :

ونيلوفر فاق في فمـلـه	صنوف النواوير من مثله
وفاتهم بالذي حـازـه	كما قصّر الكّل عن نيـلـه
يبيح نهـاراً لـزوّاره	وحياً يرغّب في رصـلـه
ويمنع بالليل من وجـهـه	ليأخذ بالاحزم في فعـلـه
كبائع عطر يجـانـوتـه	ضياء النهار الى ليـلـه
فان جاء الليل أفضى بـه	الى سده والى قفـلـه

فقد تنبه الشعراء جميعاً الى أن زهرة النيلوفر تفتح في النهار، فيتضوع شداها ويفوح عطرها، حتى اذا جاء الليل انكشفت على نفسها ومنعت نشرها.

وان كان شعراء فترتنا يطربون لفصل الربيع، حيث ينعمون فيه بجمال الطبيعة وفتنتها، فان سابقهم من الأندلسيين فرحوا لمقدمه وهشوا له فوصفوا أزهاره ووروده، يقول ابو عامر محمد بن مسلمة القرطبي * مرحباً به (٢) :

أهلاً وسهلاً بوفود الربيع	وشفره البسم عند الطلوع
كأنما أزهاره حلـة	من وشي صنعا السرى الرفيع
أحبب به من زائر زاهر	دعا الى الأئس فكنت السميع

وكقول ابي الاصبع عيسى بن عبد الملك * فيه (٣) :

(١) البديع ١٤٣ . (٢) المغرب ٩٧ : ١ . (٣) المصدر السابق ١ : ٦١٠ .

* أبو عامر محمد بن مسلمة القرطبي : من بيت شرف يادخ ، أكثر من نعت الراح ، كتاب " حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح " انتجع المعتمد بن عباد ملك أشبيلية ، وعلى يديه لقي حقه . المغرب ١ : ٩٦ .

* أبو الاصبع عيسى بن عبد الملك بن قزمان ، الجد الأعلى لابن قزمان الزجال المشهور معدود في علماء الحديث والأدب ، وقد كان موعداً لهشام النوفلي ، بتكليف من المنصور بن ابي عامر . المغرب ١ : ٢١٠ .

لا شیء أحسن منظرًا ان زرتہ

ان جئته أعطاك أجمل منظريه

أو غبت زارك في النسيم الخاطر

وقول ابن راج القسطلي فيـه (١) :

رُعْتُ فَأَصْغِرُ لِدَاعِي الطَّيْرِ
وطاب لك الدهر فأشرب وطب

رُعَيْتَ وَأَصْبَحَ لَدَائِي الطَّيْرُ

وهذا بشير الربيع الجديت

بہارِ یروق بمسک نکسی و صنع بدیع و خلق عجیب

فصون الزبرجد قد أورقت
لنا فنة نورت بالذهب

إذا جمعت في جنال الحرير وقامت أمامك مثل اللعاب

فمن حقّها أن ترى الشاربين وقد نفقت سوقهم بالنخب

انها الفتنة بالهريص وجماله ، ونواره وأزهاره ، ودعوة الى شرب الصهباء والاستمتاع

بجمال المنظر والابتهاج بالطبيعة التي اكتست أبهى حللها وزدانت بأزهى شينها -

في فصل الربيع ، فمن حقها عليهم أن ينعموا بها فيعبون الراح عبا ، وهذا ما حدث

عليه ونادى به كثير من شعراء مصرنا * وعلى راسهم ابو بكر يحيى بن بقل وولدت لـ

قولیہ (۲) :

خذها على وجه الربيع المخضب لم يقض حق الروض من لم يشرب

وصورة الخليج وتشبيهه بالمعصم في قول يحيى بن يقطين (٣):

وبدا مَعَصُمُ الْخَلِيجِ فحطت فوقه الريح أسطراً من وشوم

(١) ديوان ابن راج القسطلي ، حققه وعلق عليه د . محمود علي مكي ، المكتب

(٢) الذخيرة ٢: ٢: ٦٣٥ (٣) المصدر السابق ٣: ٢: ٦٣٠

* أنظر ديوان الاعشى ١٠٨، ديوان ابن الزقاق ٩٣-١١٦، ابن خفاجة (١٨٨)

المغرب (١: ١٢٧ ، ٣٦٧ ، الذخيرة ٢: ٢: ٦٣٥ ، ٢: ٣: ٦١٨ .

نجدها عند ابن عمار في قوله (١) :

روض كأن النهر فيه معصم صاف أطل على رداء أخضرا

وصورة الليل — الغراب — يلاحقه الصباح — الباز — التي أكثر من استخدامها شعراء الطبيعة في عصرنا ووجدناها عند المشاركة، نجدها عند السابقين من الاندلسيين أيضا، يقول أبو أحمد عبد العزيز القرطبي * (٢) :

كأن ليلتنا والصبح يتبعها زنجية هربت قدام رومي

وكقول أبي عامر بن شهيد فيه (٣) :

فكأن النجوم في الليل جيش دخلوا للكمون في جوف غاب
وكأن الصباح قانس طير قبضت كفه برجل غراب

والخيل التي وصفها شعراء عصر المرابطين بالقوة والصلابة، والسرعة في العدو وغيرها من الصفات هي الصفات نفسها التي نجدها عند السابقين من شعراء الاندلس، فهذا أبو علي ادريس بن اليمان * يصفها بقوله (٤) :

خيل يمد الدهر عند هبوبها ميد القنيب بعاصف زعزاع
فكأن خطفا من نتائج أعوج تنقض من فرسانها بسباع

كما وصفوا الحمام، يقول أبو علي فيهما (٥) :

ورقا مطوقة السوالف سندسا

لم يحك صنعتها حياكة حاك

تشدو على خضر الفصون بالسن

صبغت ملائمها بلا مسواك

-
- (١) الذخيرة ٢: ١: ٣٨٢ . (٢) المصدر السابق ١: ٢: ٧٥٦ . (٣) الديوان ٨٥ .
(٤) الذخيرة ٣: ١: ٣٣٩ وانظر ص ٣٥٥ من المصدر نفسه .
(٥) المصدر السابق ٣: ١: ٣٤٥ وانظر الذخيرة ٣: ١: ٣٤٦ .
* أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة القرطبي، من اعلام شعراء البصرة في زمن ملوك الطوائف، كان يلقب بالمنفل، الذخيرة ١: ٢: ٧٥٤ .
* أبو علي ادريس بن اليمان: من يابسة من الجزائر الشرقية قرأ بدانية وبها نشأ . يقول ابن بسام في شعره: "سمر النادى، وتعللة الحادى"، تردد على ملوك الطوائف ومدحهم . الذخيرة ٣: ١: ٣٣٦ .

وكان أرجلها القواني ألبست
نعلًا من المرجان دون شـراك
وكانها كحلت بنار جوانحي
فترى لأعينها لهيب خشاك

ويخاطب ابن زيدون ابن جهور وهو في سجنه آملًا منه أن يفك أساره ويكسر
قيده ، طالبًا إلى الطبيعة مشاطرته آلامه وأحزانه ، فقد حان الوقت ليكيه الغمام
ويطلب ثأره البرق وتندب النجوم ما ضاع من مجده الفابر وعزه الدائر ، ولتكن الطبيعة
حزينة بأكية على حاله كما طلبت منها الفارعة بنت طريف في رثاء أخيها الوليد
وكما طلب اليها ذلك ابن الزقاق البلسي في رثاء أحد أصدقائه ، يقول ابن زيدون (١) :

ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي
ويطلب ثأري البرق منصلت النصل
وهلا أقامت أنجم الليل مأتمًا
لتندب في الاقاق ما ضاع من نبلي
فلو أنصفتني وهي أشكال همتي
لأقت بأيدى الذل لما رأيت ذللي
ولا فترقت سبعُ البشرى وغازها
بمجمعها ما فرق الدهر من شـملي
لعمرا الليالي ان يكن طال نزعها
لقد قرطست بالنبل مقتل النبـل

فشعراء العصر متأثرون بمن سبقهم من الشعراء ، سواء شعراء المشرق أم
شعراء الاندلس ، ولا ضير عليهم في ذلك ، فالشاعر يستوحي ماضيه وينتفع بمخزون
الفكرى الثقافي ويتكى على الصور الجميلة التي يجدها عند سابقه من الشعراء
ولكنه يبقى مخلصا لفنه وفيا لشعره ، فيأتي شعره في مجال الوصف عدى للبيئة التي
يعيش فيها ، ومرآة صادقة لطبيعتها فيصور سحرها وجمالها خير تصوير .

والخلاصة ان كثيراً من معاني شعراء الطبيعة في عصر المرابطين موجودة في دواوين شعراء المشرق وآثار شعراء الأندلس السابقين ، فتأثروا بها تأثراً كبيراً وحكوهم في كثير من صورهم واستعاراتهم ، ويتضح هذا من خلال استقراء النصوص ومقارنتها ببعض ، ولا غرابة في ذلك كما قلنا من قبل لأن التراث مشترك واللغة بأفكارها ومجازاتها لا اقطاع فيها .

ولكن هل اكتفى شعراء العصر بالتقليد ؟ أم كان لهم في شعرهم ابتكار وتجدد ؟

جـ - الابتكار والتجديد :

لا أتوقع من شعراء عصر المرابطين أن يأتوا بما لم يستطعه الأوائل في مجال وصف الطبيعة ومظاهرها ، وما أقصده بالابتكار والتجديد هو الإزالة في الشعر وقدرته على تصوير بيئة الشاعر الطبيعية . بحيث ينشأ عن استعداد فطري عند الشاعر وموهبة حقيقية فيه ، فينقل تجربته الشعرية التي تعبر عن حالة انفعالية تجاه الطبيعة أو مظهر من مظاهرها ، وإن كان قد سبق في التعبير عن مثل ذلك المظهر لأن عدد التجربة وطريقة العرض وأسلوب التعبير تختلف من شاعر لآخر ، يقول الدكتور كمال نشأت : (١) لا يعيب شاعراً أنه تحدث عن تجربة شعورية معينة سبق لغيره أن تحدث عنها ، أو ذكر فكرة ذكرها شاعر قبله ، فإن العبرة هنا بطريقة العرض وأسلوب التعبير وزاوية الالتقاط .

فهل استطاع شعراء الطبيعة في عصر المرابطين أن يكونوا أوفياء لطبيعة بلادهم ؟ وهل كان شعرهم صادفاً أميناً في التعبير عنها ؟ وهل تعلق بها وداء عليها وتكون منها ؟ وهل كان لشعراء العصر في هذا المضمار شخصية واضحة لم تستطع طمسها المشابهة الشرقية ؟

يقول الدكتور سيد نوفل (٢) وانتقل العرب في الأندلس نقلة واسعة السدى ولم يكن بد أن يلتصقوا بصور الطبيعة في بيئتهم ، وأن يرفضوا التقليد ، وكان من عوامل التحرر التقليد ذاته ، فما داموا يقلدون المشرق وما دام المشرق قد تحرر أو تحرر شامه ، فليتحروا مثله لينسجوا على منواله .

وهذا الشعر الذي بين أيدينا يكشف عن هيأة الشعراء ببلد هم وحبهم لوطنهم وحنينهم إلى ديارهم ، يمثل هذا الشعر أصيل بحق إذ يدل على أنهم ينشدونه من أعماق وجدانهم ويعبرون بواسطته عن صادق انفعالهم ، فهو شعر (٣) يقدم لنا لوحات ، تنم عن امتزاج الشاعر بالطبيعة وصدق عاطفته نحوها ، وتشخيص

(١) في النقد الأدبي ، دراسة وتطبيق ٢٥ .

(٢) شعر الطبيعة في الأدب العربي ٢٥٨ .

(٣) في الأدب الأندلسي

لها حتى أصبحت لسان نجواه وخفقة قلبه (فقد كان شعراء الأندلس بحكم البيئة أكثر تجاوباً من معظم شعراء المشرق مع مشاهد الطبيعة التي حفلت بها بلادهم^(١) .

فالشاعر ابن خفاجة يخاطب القمر المؤلف في الشعر العربي بخلاف ما عهدناه عند المشاركة ، فلم ينظر اليه في اكتماله فيراه قرصاً من لجين ، ولم ير شحوبه قبل المحاق فيراه حسناً مريضة ، ولم يتذكر طفولته وهو هلال فيجده زورقا من فضة أثقلته حمولة من عنبر ، أما ينصت الى مواعظه ويصيح الى مناجاته ويتمنى محادثته في سمائه لبيته شجونه وأحزانه ، متاعبه وهمومه ، ويقول انه لو تحدث لحاز الجمالين من خبر وخبر ، وهو وان كان ساكتا فهو في سكوته بليغ واعظ ، يقول ابن خفاجة^(٢) :

لقد أصختُ الى نجواك من قصرٍ	ويت أدلجُ بين الوعي والنظر
لا أجتلي لمحا حتى أعي ملحا	عدلا من الحكم بين السمع والبصر
وقد ملأت سواد العين من وضح	فقرط السمع قرط الانس من سمر
فلو جمعت الى حسن محاوره	حزت الجمالين من خبر ومن خبر
وان صمتت ففي مرآك لي عظمة	قد أفصحت لي منها السن العبر
تمر من ناقص كحورا ومكتمل	كورا ومن مرتق طورا ومنحدر

ومن مظاهر التجديد في شعر الطبيعة قوة التشخيص حيث يخلع الشاعر صفات الاشخاص على بعض مظاهر الطبيعة ، وخير مثال على هذا قصيدة ابن خفاجة في الجبل ومطلعها^(٣) :

بعيشك هل تدري أهوج الجنائب تخب برحلي أم ظهور النجائب

ان نرى القصيدة صورة من الشاعر نفسه كما يقول الاستاذ احسان عباس^(٤) :

(ونرى ان انسانية الجبل تتزايد تدريجياً في القصيدة ، فاذا هو يمثل صورة أخرى من وقفة الشاعر او هو الشاعر نفسه ، وهو لا يعبر عن طول الصمود ولذة الخلود

(١) ملاح الشعر الاندلسي ٢٠٧ . (٢) الديوان ١٣٠ .

(٣) الديوان ٢١٥ .

(٤) الأرب الاندلسي — عصر المرابطين — ٢٠٩ — ٢١٠ .

وانما يعبر عن استثقالة للحياة ، ووحدته بعد زهاب اخوانه ، وكأنه بذلك يمسّر
عن قيمة الموت ، أى يَهَوِّنُ وقعته على نفس الشاعر التي تفرق من الموت وتحاول الهروب
من شبحه المخيف ، وارتاح الشاعر حين بكى ووجد في أخيه أو عنوه الجبل عزاء
وودّعه وهو أقوى نفساً على مواجهة مصيره .

وهذا مما لم نعهده في شعرنا العربي ، إذ بلغ ابن خفاجة في تشخيصه الجبل
الى الذروة حيث استطاع في قصيدته هذه ان يناجي الطبيعة على نسق جديد لسم
يعهده الشعر العربي القديم (١) فأشرك النفس الانسانية بسر الطبيعة وأدرك
ما يسمى عند الفرنجة بحسن الطبيعة .

ويعلق الاستاذ محمد رجب بيومي على القصيدة بقوله (٢) : (لو ذهب جميع
ما قاله ابن خفاجة لبقيت وحدها لكانت معجزة ابداعه وذليل تفوقه) .

ومن مظاهر الابتكار والتجديد عند شعراء فترتنا انهم كانوا يصوغون الشئ
المواحد مرّات عدة بطرق مختلفة ، وهذا دليل القدرة الفنية ، كما صنع ابن صبرة
الشتري في وصف النار وأبو القاسم ابن العطار في وصفه الانهار ، فقد تخيّل
ابن صبرة النار ملابس ثقيه عبارة البرد ، ودثاراً يمنحه الدفء وتصور كأنونها رحيقاً
يعب الشرب منه أو أماً تدني رضيعها منها ثم تغطمه ، وكلها صور جميلة ، يقول (٣) :

باتت النار ورياقاً وقد جعلت	عقارب الليل تحت النار تلسعنا
زهراء قدّت من دفئها لحفاً	لم يعلم البرد فيها اين موضعنا
لها حريق بكانون نطيف به	كمثل جام رحيق فيه مكرعننا
تبيحنا قربها حيناً وتبعدنا	كالأم تغطسنا حيناً وترضعننا

وكقوله فيها أيضاً (٤) :

جاءتك في تنورها المسجور	زهراء في حُللٍ من الدّيجور
-------------------------	----------------------------

- (١) في الادب الاندلسي ١٠٨ .
- (٢) الادب الاندلسي بين التأثر والتأثير ٧٨ .
- (٣) الخريدة ٤: ٢٦١ ، القلائد ٢٦٥ .
- (٤) الخريدة ٤: ٢٦٠ ، القلائد ٢٦٥ .

لما تهلّل في الظلام جبينها
يا حسننها وقد ارتمت جنباتها
والجمر في خلل الرماد كأنه
في ليلة خلنا دجاءها اثمداً
ليس الظلام بها علالة نـسـور
شرراً كمثّل العسجد المنشور
ورد عليه ذريعة الكافـسـور
ونجومها مرضى عيون الحـسـور

وتصوير النهر عند ابن الططار نحو قوله فيه (١)

مررنا بشاطئ النهر بين حدائق
بها حدق الزهار تستوقف الخديق
وقد سحبت كف النسيم مفاضة
عليه وما غير الحباب لها حلق

وقوله (٢) :

هبت الريح بالعشي فحاكت
وانجلي البدر بعد هذه نحاكت
زرداً للغدير ناهيك عنه
كفه للقتال منه أسنه

وقوله فيه (٣) :

ركبنا على اسم الله نهراً كأنه
والأحسام جال فيه فرسده
حباب على عافيه وشي حباب
له من مديد الظل أي قراب

إنها قدرة على تلوين الصورة وإيراد الموضوع نفسه في صور متباينة وهذا دليل على
قدرة فنية عالية.

ومن مظاهر التجديد مناخاة ابن خفاجة وردة صغيرة ذكرته بعهد عباسه
فأرسل اليها نظرة حانية أفصحت عما يضر لها من حب ، وما يكن لها من ولا ، وتخيّل

-
- (١) القلائد ٢٨٤ ، النفح ١٧٤ : ٢ : ٤ ، الخريدة ٥٨٦ : ٢ : ٤
(٢) الخريدة ٥٨٦ : ٢ : ٤ ، النفح ٣٠ : ٢ : ٤ ، القلائد ٢٨٤
(٣) المغرب ٢٥٩ : ١ ، الخريدة ٥٨٥ : ٢ : ٤ ، القلائد ٢٨٣

فيها حنين الربيع اليه على النوى وتحياته على البعاد ، فكأنهما يتبادلان الحب والشوق واليهام كما يقول الدكتور سعد شلبي (١) ، يقول ابن خفاجة (٢) :

وَعَرِيَّةٌ هَشَّتْ أَلْيَّ غَرِيْرَةٍ	فَوَدِدْتُ لَوْ نُسِجَ النَّيَّاءُ ظَلَامًا
طَلَعْتُ عَلَيَّ مَعَ الْمَشِيبِ تَشَوُّفِي	شَيْخًا كَمَا كَانَتْ تَشَوُّقُ غُلَامًا
مَقْبُولَةٌ أَقْبَلْتُهَا عَنْ لَوْعَةٍ	نَظَرًا يَكُونُ إِذَا عَتَبْتُ كَلَامًا
عَذَرْتُ وَقَدْ أَجَلَّلْتُهَا عَنْ نَشَوِّ	كِبَرًا وَأَوْسَعَتْ الزَّمَانَ مَلَامًا
عَيْقَتْ وَقَدْ حَنَّ الرَّبِيعُ عَلَى النَوَى	كَرَمًا فَأَهْدَاهَا أَلْيَّ سَلَامًا

ومن صور التجديد والابتكار عند شعراء فترتنا قول ابن الزقاق البلنسي فسي رياض شقائق النعمان (٣) :

ورِياضٍ مِنَ الشَّقَائِقِ أَضْحَتْ	يَتَهَادَى فِيهَا نَسِيمُ الرِّياحِ
زُرْتُهَا وَالْفُغَامُ يَجْلِدُ مِنْهَا	زَهْرَاتِ تَرَوْقُ لَوْنِ السَّرَّاحِ
قُلْتُ : مَا ذَنْبُهَا ؟ فَقَالَ مَجِيبًا	سَرَقَتْ حُمْرَةَ الْخُدُودِ الْمَلَّاحِ

فالشاعر صوّر الفُغَامَ يجلد تلك الشقائق الحمراء ، فيسأله عن فعلته تلك فتكون الاجابة ما يريد الشاعر ، انها سرقت من الخدود حمرتها ، وقريب من هذه الصورة قول ابن خفاجة (٤) :

وَكأنما زنت البسيطة تحتَه	فَأَكْبَ يَرْجِمُهَا الْفُغَامُ الْحَاصِبُ
---------------------------	--

ومن مظاهر التجديد أيضا قول ابن صارة الشنتريني في نزهة في نهراش بادية حيث ألهمه الجو والنهر والمركب هذه الأبيات الرقيقة (٥) :

تأمل حالنا والجو طلق	محياء وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء حبل	تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوشرى	تعبس وجهها فيه السما

- (١) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ١١٤ . (٢) الديوان ١٤٦ .
 (٣) الديوان ١٢٥ . (٤) الديوان ٧٦ .
 (٥) النسخ ٣ : ٣١٨ ، عيون التواريخ ١٢ : ١٤٩ ، البدائع ٣٧٦ .

وقد أكثر الشعراء من وصف الطبيعة بكل مظاهرها وأجزائها بحيث ارتبط شعر الطبيعة بالاندلس، وما بين أيدينا من نصوص كثيرة يؤكد ذلك، فقد فاقوا المشاركة في هذا المضمار كما وكيفاً، وتوسّعوا ونوّعوا في الموضوعات توسّعاً وتنوعاً فاق كل اعتبار، وكانوا أكثر براعةً وإبتكاراً وتجديداً ودقةً تصويراً.

فابن خفاجة ينزل روضة فيحاء، فتذكره عهد الأنس مع حبيبة فقيدة ودّعت الحياة، فإذا به لا يشم في النسائم ما كان يشم أيام اللهب والأنس من طيب الريح وذكي النثر، فقد فقدت العبق الذي كان يجده، وافتقرت إلى النثر الذي كان ينعمشه، وعند ما سحبت الشمس ذيلها وأوشكت على المغيب، وعلت وجه النهار كآبةً حزينة، تذكر مغيب محبوبته.

فالتبيعة عنده ذات روح، فالأيكّة والريح والنشر ومغيب الشمس كل ذلك ممتزج بعاطفة أخرى تهز كيانه الشاعر وتثير عاطفته وتقوده قسراً إلى الظلام، فيصرخ صرخة يائسة متسائلاً عن اللقاء الموعود متى وأين؟ يقول (١):

وَقَدْ أَذْكَرْتَنِي الْعَهْدَ بِالْأَنْسِ أَيْكَةً
وَأَكْبَيْتُ أَبْكَى بَيْنَ وَجْدٍ أَظْلَمَنِي
وَأَنْشَقُّ أَنْفَاسَ الرِّيحِ تَعْلُلاً
وَلَمَّا عَلَتْ وَجْهَ النَّهَارِ كَابَّةً
عَطَفْتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ أَجْهَشُ تَارَةً
وَقُلْتُ لِمُغْفٍ لَا يَهْبُ مِنَ الْكَرَى
لَقَدْ صَدَعَتْ أَيْدِي الْحَوَادِثِ شَمْلَنَا
وَأَنْ تَكُ لِلْخَلِيلِينَ ثُمَّ التَّقَاةُ

فَأَذْكَرْتُهَا نَوْحَ الْحَمَامِ الْمُطَرِّقِ
حَدِيثٍ وَعَهْدٍ لِلشَّيْبَةِ مُخْلِيقِ
فَأَعْدَمُ فِيهَا طَيْبَ ذَاكَ التَّشْقِيقِ
وَدَارَتْ بِهِ لِلشَّمْسِ نَظَرَةٌ مُشْفِقِ
وَأَلْتِمُ طَوْرًا تَرْبِيًا مِنْ تَشْقِيقِ
وَقَدْ بَتَّ مِنْ وَجْدٍ بَلِيسَلِ الْمَوْرِقِ
فَهَلْ مِنْ ثَلَاثٍ بَعْدَ هَذَا التَّفَرُّقِ
فِيَا لَيْتَ شَعْرَى أَيْنَ وَكَيْفَ نَلْتَقِي

ومن التجديد عندهم تصوير حالهم من خلال الطبيعة وعناصرها سافحين عليها مشاعرهم وأحاسيسهم، كما في قول ابن الزقاق (٢):

(١) الديوان ٢٢٦.

(٢) الديوان ٢١٨-٢١٩.

ما أنسَ لا أنسَ لهم وقفةً
 ما أدرعَ الليلَ بظلماته
 فأنجفت أنجمه فاشتكى
 وانتبه الصبح بعيث الكرى
 ورجع المكاء تحنينه
 في روضة علم أغصانها
 هبت بها ريح الصبا سحرة
 كالشهر والعلم عند المذاق
 حتى كساه الصبح منه رواق
 للبعض منها البعض وشك الفراق
 كذي هوى من غشية قد أفاق
 حتى حسبناه حليف اشتياق
 أهل الهوى العذرى كيف العناق
 فالتفت الأشجار ساقاً بساق

أو بتصويرها من خلال تفسير بعض مكونات الطبيعة كالزهرة مثلاً ، فابن خفاجة
 يخلع عليها صفات انسانية ويتخيلها فتاة تلبس الثياب الخضراء وتزين بالحللى الحمراء
 وريق الغمام يسيل لها فضة حتى اذا ما استقر في جوانبها تحول الى ذهب (١) :
 ومياسة تزهى وقد خلع الحيسا
 عليها حللى حمراً وأردية خضراً
 يذوب لها ريق الغمامة فضة
 ويجمد في أعطافها ذهباً نضراً

ومن الصور الجديدة والمبتكرة عندهم ، تشبيههم الرياض حولها جدول الماء
 بخصر حسناء شدته بزئار (٢) :
 وكأنها وكأن جدول مائهما
 حسناء شد بخصرها زئار

وقد ترشقت الصلة بين شعراء فترتنا وبين طبيعة بلادهم حتى ابن خفاجة يتخيل
 نفسه موجوداً من موجوداتها كما يقول الدكتور سيد نوفل (٣) ، فهو يصور نفسه
 حمامة يسط عليها الغراب جناحيه ، ويتخيل أن بين جنبيه بحراً مائجاً ، يقول (٤) :

- (١) الديوان ٦٩ .
- (٢) ديوان ابن خفاجة ٣٩ .
- (٣) شعر الطبيعة في الادب العربي ٢٢٩ .
- (٤) الديوان ٢١٨ .

كَأَنِّي وَقَدْ طَارَ الصَّبَاحُ حَمَاسَةً يَدُّ جَنَاحَيْهِ عَلَيَّ غُـسْرَابُ
وَقَدْ جَاشَ بَحْرُ بَيْنَ جَنْبَيَّ مَائِجٌ لَهُ زَخْرَةٌ فِي وَجْنَتِي وَعُبَابُ

فقد أحس الشعراء بانتما حقيقي لبلادهم لما منحتهم من العطف والحنان وكانوا صادقين معها ، فجاء شعرهم معبراً عن خلجات نفوسهم وخفقات قلوبهم واهتزاز مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه تلك الطبيعة الفاتنة التي كان يعز على الواحد منهم مفارقتها ، يقول أبو الحسن بن جودي المتوفي سنة ٥٣٠ هـ (١) :

يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَ مَوْطِنَنَا بِهِ الرُّوضُ طَلَقٌ وَالْمَقِيلُ ظَلِيلُ

وتبقى الموشحات الأندلسية قمة الابتكار وذروة التجديد ، ويكفيهم فضلاً أنهم مخترعوها وأول من أوجد لها في الشعر العربي .

وما قد مناه بعضاً من صور التجديد والابتكار لدى شعراء العصر ، عبّروا فيها عن حقيقة مشاعرهم وصادق تجاربهم ، فامتزجوا بها امتزاجاً كاملاً . وبلغ التشخيص عند بعضهم أن حولها إلى صدر أم حنون أو حضن حبيبة دافئ أو إلى واعظ مفكر يفلسف الأمور ويعطي الرأي الذي أنضجته التجربة وحوادث الأيام وصروف الدهر .

وقد انعكست الحالة النفسية للشاعر الأندلسي على المنظر الطبيعي الذي يصفه وعلى مادة فنه ، فجاءت الطبيعة ضاحكة طروباً في ساعات أنسهم ولهوهم ، باكية حزينة تنوح ورقها وتصوح غصونها في أوقات حزنهم وألمهم .

كما اتسم شعرهم في الطبيعة — كما لاحظنا — بالفزارة والكثرة واستقلالهم بمقطوعات خالصة لوجه الطبيعة ، وهذه ميزة لشعراء الأندلس ، إذ غالباً ما كان وصف الطبيعة يعيش على هامش الموضوعات الأخرى .

ويبقى التمييز بين عناصر الصور الجديدة المبتكرة والأخرى المقلدة المتأثرة ، مهمة شاقة شائكة جداً كما يقول غرسيا غومسان (٢) لا يمكن أن نحلل هذا الشعر إلى

(١) المطمح ٢٢١ .

(٢) الشعر الأندلسي ٢٨ .

مواده الاولى ونقول : هذا أخذه من تراث أجداده العرب القدماء ، وذلك ابتكره
بنفسه واستوفى فيه طبيعة الاندلس لأن العنصرين متداخلان متشابكان تشابك
اللحمة مع السدى . ولا يعيب الشاعر أن يتأثر بسابقة طالما هو صادق في
التعبير الفني عن تجربته الشعرية وإحساسه الشخصي .

خاتمة البحث

=====

الأندلس بلاد جميلة خلابة، فيها من السهول الخضراء والحدائق الغنّساء والجيال الشاهقة، والأشجار الجارية، والأشجار الباسقة، والأزهار المتنوعة الشذى العبقّة النضر، والورق النائحة والطيور المغرّدة ما يخلب اللب ويهيج النفس ويشرح الصدر، فقد منحها الله سبحانه وتعالى من النضرة والخضرة ما شاء .

وكان لها شعراؤها الذين تعلقوا بها وعبروا عن فتنها وبهاثها وخلودها في قصائد هم وموشحاتهم، حيث انطلقت ألسنتهم بوصف كل ما يقع أمام أنظارهم ويهزّ مشاعرهم ويهيج وجدانهم ويثير عواطفهم فرسموا طبيعة بلادهم بأشعارهم في لوحات رائعة الجمال .

وقد قصرت البحث على شعر الطبيعة في الأندلس في عصر المرابطين وشعر الطبيعة فن من فنون الشعر الكثيرة عند العرب، وأنما قصرت البحث على هذا الفن لتكون الصورة أكثر وضوحا وجلالة، تمكن الباحث من كشف أحد جوانب العصر الأدبية بشكل يدعو إلى الاطمئنان .

وخلاصة البحث أن عصر المرابطين لم يكن عصر انحطاط فكري واضمحلال ثقافي وتخلّف للغة العربية وتقهر للشعر العربي، أنما كان على الخلاف من ذلك عصر ازدهار فكري وتقدم حضاري وابداع ثقافي، ويكفي أن نستعرض المصنفات وكتب التراجم لنرى كثرة العلماء والمفكرين الذين أبدعوا في شتى صنوف المعرفة،

كما تحرّر كثير من شعراء العصر من قيود بلاطات السلاطين والحكام، فتمتعوا بحرية كافية أتاح لهم الانطلاق لكي يعبروا عما يختلج في نفوسهم ويعتدل فسي صدورهم، فجاء شعرهم بعيدا عن الزيف والنفاق، ممثلا تعلق أصحابه ببلادهم وبيئاتهم التي عاشوا فيها، وتغيثوا ظلالها، واستمتعوا برحلاتهم ونزهاتهم فسي رياضها وحدائقها، وبلغ تعلق بعضهم - ابن خفاجة - درجة رأى فيها أن الأندلس جنة الخلد .

وقد شمل شعرهم في الطبيعة ، وصف الطبيعة الأندلسية بشقيها الصامت والصائت بكل مظاهرها وظواهرها كما خلقها الله ، فهم يصفون رياضها وبساتينها وزهورها وأشجارها ، كما يصفون سماها وأرضها ونجومها وأفلاكها وأنهارها وطيرها وحيوانها .

وقد انعكست الحالة النفسية للشاعر على المنظر الطبيعي ، فهي ضاحكة طروب في أوقات السرور والبهجة ، باكية حزينة في أوقات الألم والشدة ، وإن كانت السفة الأولى هي الغالبة عليها في أشعارهم وموشحاتهم .

ووصف الطبيعة عند شعراء العصر مرتبط بالفضل والخمر . ولا غرابة فسي ذلك ، فهذه الموضوعات الثلاثة وثيقة الصلة ببعضها ، فهم يخرجون إلى الحدائق والبساتين فيعقدون مجالسهم ويسمعون ، فيدور عليهم الفلمان بالقداح وتغنيهم القيان ، فتعمل الخمرة في النفوس فعلتها ، فينتشون ويطربون ، فيأخذون في وصف مكان مجلسهم والتفرّج بالفلمان والقيان ونعت الزاح .

كما أن الصلة وثيقة بين المرأة والطبيعة ، إذ كثيرا ما نجد المرأة ماثلة في وصفهم الطبيعة ، كما نجد الطبيعة ماثلة في غزلهم بالمرأة ، فهم في غزلهم كما يقول المقرئ في النفح : " انهم اذا تفرّجوا صاغوا من الورود خدودا ومن النرجس عيوناً ومن الآس أصداء ومن السفرجل نهوداً ومن قصب السكر قدوداً ومن قلوب اللوز وسرر التفاح مباسم ومن ابنة العنب رضاباً " .

وقد عني بعض الشعراء بتشخيص الطبيعة ومناجاتها ، وانفاء الحياة عليها كما فعل ابن خفاجة في بعض قصائده فاستلهمها الحكمة واستنطقها العظة والعبرة . وكان شعرهم صادقا وجاء معبرا عما في نفوس أصحابه حيال بيئتهم الطبيعية ، فكانت الأصالة بحق عندما استطاعوا أن يرسموا لنا بلادهم في لوحات رائعة الجمال أبقتها ماثلة أمام نواظرنا وتميش في وجداننا .

كما أن شعراء الطبيعة في عصر المرابطين لم يقتصروا على تقليد اخوانهم المشاركة والاحتذاء بهم والاكتار من الوصف والتقليد ، إنما تجاوزوا ذلك إلى التجديد والابتكار في كثير من الصور الشعرية ، كصياغة الشيء الواحد مرات كثيرة بطرق مختلفة وتصوير حالهم من خلال الطبيعة ، وقوة التشخيص ، ويبقى الموشح قمة التجديد والابتكار عند الأندلسيين ، ويكفيهم فخرا أنهم أول من اخترعه ونظم فيه .

وختاماً أرجو أن أكون قد أصبت الهدف وحقق الغرض من هذا البحث فيكون قد كشف بعضاً من جوانب الحقيقة ومهد السبيل أمام بحوث أخرى أكثر انصافاً وشمولاً ، وإن كان خلاف ذلك فعذري أنني طالب مبتدئ في أول الطريق ومن الله التوفيق وعليه التكال .

ابن خفاجة :

ابراهيم بن أبي الفتح بن عبيد الله بن خفاجة الاندلسي أبو اسحاق ، من أعيان جزيرة شقر من أعمال بلنسية ، من أبرز الشعراء الذين وصفوا الطبيعة في الاندلس ، مزج الرثاء بالوصف ، وكان من فحول شعراء الاندلس لما في الآداب ، صدرا في البلغاء ، متقدما في الكتاب والشعر ، لم يتكسب بشعره مات ولم يتزوج قط .

ولد سنة خمسين وأربعمائة وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة .

المصادر :

الخريدة ٤: ٢: ١ ، ٢٦٥ ، الذخيرة ٣: ٢: ٥٤١ ، القلائد ٢٣٠ ، المغرب ٢: ٣٦٧ ، الوافي بالوفيات ٦: ٨٣ ، التكملة لكتاب الصلة ١: ١٤٣ ، وفيات الأعيان ١: ٥٦ ، المطرب ١١٢ ، بغية الملتبس ٢١٦ ، معجم الصدف ٨٠ ، الرايات ١٢١ ، الصلة ١: ٩٩ ، النفح : صفحات متفرقة . ديوانه بتحقيق الدكتور سيد غازي .

النوالة :

ابراهيم بن عبيد الله ابو اسحق المعروف بالنوالة ، كان أدبيا وافر الآداب جاء في المغرب ، بحر أدب ليس له ساحل وافق رياسة قد زينته الله بنجوم المكارم والفضائل ، كانت له خزائن كتب عظيمة وبلغ في دولة المرابطين من الجاه والمال والذكر بقرطبة ما لم يبلغه أحد .

المصادر :

المغرب ١: ٧١ .

ابن وضاح :

أحمد بن مسلمة بن محمد بن وضاح القيسي الشاعر أبو جعفر ، من أهل مرسية كان من جلة الأدباء ومجودى الشعراء ، جاء في معجم الصدف أن له ديوانا صغيرا . عرف بالتنقيح والتعبير ، توفي سنة ثلاثين وخمسمائة .

المصادر :

معجم الصدفى ٨ ، المطمح ٢٥٨ .

الاعنى التطيلي :

أحمد بن عبد الملك بن هريرة الاعنى التطيلي يكنى أبا جعفر، قال فيه ابن بسام في الذخيرة " له أدب بارع ونظر في غامضه واسع، وفهم لا يجارى ونظم كالسحر الحلال ونثر كالماء الزلال " وله موشحات دي دار الطراز ووجه من التوشيح، جمعها الدكتور احسان عباس وألحقها ديوانه، توفي سنة خمس وعشرين وخمسائة للهجرة .

المصادر :

الذخيرة ٢: ٢: ٧٢٨، القلائد ٢٧٣ ، المغرب ٢: ٤٥١، الرايات ١٢٤ جيش التوشيح ١٦ ، بغية الملتص ١٨٧ ، أخبار وتراجم أندلسية للسلفي ١٦ ، ذكره صاحب الروض المعطار في حديثه عن مدينة طليطلة ١٣٣ ، وذكره صاحب بدائع البدائة ٢٤٦، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٤ ، أزهار الرياض ٢: ٢٠٨، ٢٠٩ .
وصفحات متفرقة من النفح .
حقق ديوانه الدكتور احسان عباس .

أبو عامر بن الجد :

أحمد بن عبد الله بن الجد ، يكنى أبا عامر، شاعر أديب ، لما بدأت الفتنة بين المرابطين في آخر دولتهم والموحدين قصد لبله فأخرج منها وقتل ظلماً وذلك في حدود سنة خمسين وخمسائة للهجرة .

المصادر :

المغرب ١: ٣٤٢ ، النفح ٣: ٤٤٤ ، ٧١: ٤ .

ابن وضاح :

أحمد بن مسلمة بن محمد بن وضاح القيسي ، يكنى أبا جعفر، من أهل مرسية كان من جملة الأديباء ومجودى الشعراء، له كتابة رائعة وديوان صغير، توفي سنة ثلاثين وخمسائة للهجرة .

المصادر :

معجم الصدفى ٨ ، المطمح ٢٥٨ ، الخريدة ١٤٥:٢:٤ .

أبو الصلت الحكيم :

أمية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الحكيم ، جاء في تاريخ الحكماء " واحد عصره وفريد دهره ، والمتفرد بفرائد نظمته ونثره " تأدب في الاندلس وطوف في البلاد ودخل مصر ، وصنف كتاب " الحديقة " على أسلوب " يتمية الثعالبي " وكان له حظ في فن الحكمة فكان يعرف بالأديب الحكيم ، وشعره كثير جيد جمعه وحققه وقدم له محمد المرزوقي .
توفي سنة تسع وعشرين وخمسائة .

المصادر :

تاريخ الحكماء ٨ ، وفيات الاعيان ٢٤٣:١ ، المغرب ٢٥٦:١ ، المطرب ١١٢
معجم الادباء ٥٢:٧ ، النفح ١٠٥:٢ ، ديوانه جمع وتحقيق محمد المرزوقي .

أبو الحسن بن الحاج :

جعفر بن الحاج يكنى أبا الحسن ، شاعر أديب ناشر وكان مقدماً في النشر والنظم من أهل لوزقة ، وعدا له في روءساء الأديباء .

المصادر :

المغرب ٢: ٢٧٧ ، القلائد ١٣٩ ، المطرب ١٦٢ ، بغية الملتبس ١٧٥٧
معجم الصدفى ٧٠ .

أبو الفضل بن شرف :

جعفر بن ابي عبد الله محمد بن ابي سعيد بن شرف القيرواني ، أبو الفضل ، قال فيه ابن بشكوال " كان من جلة الادباء وكبار الشعراء " له تواليف حسان وقد أخذ الناس عنه .

أصله من القيروان وفيها ولد سنة اربع وأربعين وأربعمائة وخرج منها ميكراً واستوطن بركة من ناحية المربة . وتوفي سنة أربع وثلاثين وخمسائة .

المصادر:

الخريدة ٤: ٢: ٢٣ ، المغرب ٢: ٢٣٠ ، القلائد ٢٥١ ، الذخيرة ٣: ٢: ٨٦٧
الصلة ١: ١٣٠ ، المطرب ٧٧ ، بغية الملتبس ٢٥٦ ، جيش التوشيح ٥٧
وصفحات متفرقة من النفح .

الأعلم الشنتمري:

جعفر بن محمد بن يوسف بن سليمان بن عيسى العلم الشنتمري ، يكنى
أبا الفضل ، من أهل شنتمرية الغرب وسكن مدينة أشبيلية ، وكان فقيهاً
شاعراً ولي قضاء لبلة . له أدب واسع ومعرفة بشتى الفنون وتقدم في ميدان
الأدب . توفي سنة سبع وأربعين وخمسمائة ومولده سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

المصادر:

الخريدة ٤: ٢: ٤٩٣ ، المغرب ١: ٣٩٦ ، المطمح ١٥٨ ، الرقيات ٦٣
بغية الملتبس ٢٥٦ ، التكملة ١: ٢٤١ ، أخبار وتراجم أندلسية ١١٧ ، ١١٨ .

أبو عامر بن المرباط:

ظافر بن إبراهيم بن أحمد بن أمية بن أحمد المرادي من أهل أوريوليه
اشتهر بابن المرباط ، شاعر أديب كان يبتعد في شعره عن الأغراب والتخميم
من أصحاب القاضي أبي علي الصدفني .

المصادر:

الخريدة ٤: ٢: ٦٠١ ، القلائد ٢٩٣ ، التكملة ١: ٣٤٧ .

ابن عطية المحاربي:

القاضي عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ، من أهل
غرناطة كان فقيهاً حافظاً ، أدبياً بارعاً شاعراً ، متبحراً في العلوم ، ألف كتاب
" الوجيز في التفسير " وولي قضاء المرية سنة ٥٢٩ هـ .

مولده سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وتوفي بمدينة لورقة سنة إحدى وأربعين
 وخمسمائة للهجرة .

المصادر :

الخريدة ٤: ٢: ٥٢٩ ، القلائد ٢٠٧ ، المغرب ٢: ١١٧ ، الصلة ٢: ٣٨٦
تاريخ قضاة الاندلس ١٠٩ ، بغية الملتبس ٣٨٩ ، معجم الصدفسي ٢٦٩
الريات ٨٥ ، المطرب ٩٤ .

أبو الاصبع :

عبد العزيز بن فاتح القرطبي أبو الاصبع ، كان من عمال قرطبة في مدة
الملثمين ، حيث اختص بأميرها الزبير بن عمر المثلث وناممه ، وكان عارفاً
بالفناء .

المصادر :

المغرب ١: ١٠٢ .

ابن الشد البطليوسي :

أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، من شلب . كان أديباً
بارعاً متبحراً في علوم العربية ، كاتياً مجيداً يقارن بالجاحظ في الشرق ، علم
العربية والنحو في حلقات دروسه ، صنف كتباً منها " الاقتضاب في شرح أدب
الكتاب " و " التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة " وله شرح كتاب
الجمال وكتاب في شرح الموطأ .
مولده سنة أربع وأربعين وأربعمائة وتوفي سنة إحدى وعشرين وخمسائة .

المصادر :

الذخيرة ٣: ١: ٨٩٠ ، المغرب ١: ٣٨٥ ، الخريدة ٤: ٢: ٥٠٩ ، القلائد ١٩٢
الصلة ١: ٢٩٢ ، وفيات الأعيان ٣: ٩٦ ، بغية الوعاة ٢: ٥٥ ، أخبار وتراجم
أندلسية ٢٤ ، ٩٧ ، أزهار الرياض ٣: ١٠١ ، شذرات الذهب ٤: ٦٤
غاية النهاية ١: ٤٤٩ ، بغية الملتبس ٣٣٧ ، عيون التواريخ ١٢: ٢٩٩
المطرب ٢٠٤ ، معجم البلدان ، بطليوس ، النفح صفحات كثيرة متفرقة .

ابن سارة الشنتريني :

أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكري الشنتريني ، من أهل شنترين
مدينة من أعمال باجة في غرب الاندلس ، سكن مدينة أشبيلية واحترف الوراق
مدة . كان أديباً شاعراً ، قال فيه الفتح في القلائد " نادرة الدهر وزهرة
الأيام " وجاء في الشذرات أن له ديوان شعر أكثره جيد .

أكثر من الوصف وخاصة وصف النار فأبدع فيها .

توفي بمدينة المرية سنة سبع عشرة وخمسمائة .

المصادر :

الذخيرة ٢: ٢ : ٨٣٤ ، الخريدة ٤: ٢ : ٢٥٦ ، المفرب ١ : ٤١٩ ،
القلائد ٢٥٨ ، شذرات الذهب ٤ : ٥٥ ، أخبار وتراجم أندلسية ١٥
بغية الملتمس ٣٣٨ ، وفيات الأعيان ٣ : ٩٣ ، المطرب ٨٢ ، التكملة ٢ : ٨١٦
الرايات ٦٤ ، بغية الوعاة ٢ : ٥٧ ، زاد المسافر ١٠٩ ، أزهار الرباع ٣ : ٨٨
النفح صفحات متفرقة .

أبو مروان بن أبي الخصال :

عبد الملك بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي يكنى أبا مروان ، من
الكتاب المرموقين في بلاط المرابطين ، نغم عليه علي بن يوسف بن تاشفين
حينما كلفه بكتابة رسالة عتاب لجنود المرابطين في بلنسية لتخائنهم فأغلظ
في كتابته وشتيمهم في رسالته ، توفي شهيداً بمدينة مراكش سنة تسع وثلاثين
 وخمسمائة .

المصادر :

الخريدة ٤: ٢ : ٤٦٣ ، المفرب ٢ : ٦٨ ، المعجب ٢٣٧ ،
بغية الملتمس ٣٨٢ .

ابن الزقاق البلنسي :

علي بن ابراهيم بن عطية البلنسي المعروف بابن الزقاق ، يكتنى أبا الحسن
ابن أخت ابن خفاجة ، كان متقدماً في الشعراء وطلب العلم في بلنسية ومن
أساتذته ابو محمد بن السيد البطليوسي ، حققت ديوانه عفيفة ديرانسي
توفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة للهجرة .

المصادر :

المغرب ٣٢٣:٢ ، المطرب ١٠١ ، ١٠٣، ١٠٧ ، فوات الوفيات ١٢٥:٢
الرايات ١١٦ ، شذرات الذهب ٨٩:٤ ، الخريدة ٦٤٧:٢:٤ ، ٦٦٥ .
صفحات كثيرة في النفح .

ابن أضحى :

القاضي علي بن أضحى الهمداني ، يكتنى ابا الحسن ، من بيت علم وأدب
ولي قضاة المرية سنة ٥١٤ هـ . وثار بفغرناطة لما ضعف شأن المرابطين سنة
٥٣٩ هـ ودعا لنفسه فيها . وكان أدبياً شاعراً ، منيراً في نظمه ونثره .

المصادر :

الخريدة ٥٤١:٢:٤ ، القلائد ٢١٥ ، المغرب ١٠٨:٢ ، الرايات ٨٤
المطرب ١٩٤ .

ابن جودي :

علي بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن جودي السعدي ، يكتنى
أبا الحسن ، أصله من سرقسطة ، تجول ببلاد الاندلس وسكن غرناطة ، كان من
أهل المعرفة بالعلوم القديمة وله أدب واسع ، قال في معجم الصدي ان له
ديواناً مستملاً بأيدي الناس . توفي في حدود سنة ثلاثين وخمسمائة .

المصادر :

المغرب ١٠٩:٢ ، المطمح ٢١٦ ، معجم الصدي ٢٩٠ ، الاحاطة ١٥٩:٤
الخريدة ٢٥٢:٢:٤ ، النفح ٣٣٤:٣ ، ٥٧:٧ .

القاضي عياض :

القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي من أهل سبتة . قدم الاندلس طالباً للعلم ، وولي القضاء بالاندلس والمغرب ، كان فقيهاً أصولياً عالماً باللغة الآداب ، شاعراً مجيداً ، كاتباً بارعاً ، له توالييف وكتب المقرئ عنه كتابه أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، ومن مصنفاته — هو كتاب "الالمام الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" ولي قضاء غرناطة سنة ٥٣٠ هـ .

مولده سنة ست وسبعين وأربعمئة وتوفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة — بمدينة مراكش .

المصادر :

الخريدة ٤: ٢: ٥٥٠ ، القلائد ٢٢١ ، الصلة ٢: ٤٥٣ ، تاريخ قضاة الاندلس المطرب ٦٠ ، بغية الملتبس ٣٧ ، معجم الصدفي ٣٠٦ ، الرايات ١٠٨ ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، وصفحات كثيرة متفرقة في النفح .

أبو بكر بن عطية :

غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي ، شيخ العلم البار في الشعر والنثر وكان من أهل الدراية والرواية ، طوف في الآفاق ورجل السبيل المشرق حاجاً ، أخذ الناس عنه كثيراً .

مولده سنة احدى واربعين واربعمئة وتوفي سنة ثمانى عشرة وخمسمائة — للهجرة .

المصادر :

الخريدة ٤: ٢: ٥٤٦ ، القلائد ٢٠٥ ، المطرب ١٩٣ ، بغية الملتبس ٤٤ ، الصلة ٢: ٤٥٧ ، النفح ٢: ٥٢٣ وصفحات أخرى متفرقة .

الاعشى المخزومي :

أبو بكر محمد الاعشى المخزومي ، من حصن المدور ، شاعر هجاء كثير التسلط على الاعراض ، أطال الإقامة في مدينة غرناطة وقرأ بقرطبة . قال فيه ابن سعيد " بشار الإندلس انطباعاً ولسناً وأداةً وهو الذى أحيا سيرة الحطيئة بالاندلس فمقت وكان لا يسلم من هجوه أحد .
توفي سنة احدى وأربعين وخمسمائة .

المصادر :

زاد المسافرين ١١٧ ، الوافي بالوفيات ١٢٦: ٧ ، القلائد ٢٧١ ، المغرب ٢٢٨: ١
الخريدة ١٥٤: ٢: ٤ .

ابن رحيم :

محمد بن رحيم ، يكنى ابا بكر ، صاحب الوزارتين ، وصاحب الديوان بمدينة أشبيلية ، من بيت رئاسة وسيادة ، وله شعر في مدح الأمير ابراهيم بن يوسف ابن تاشفين ، جاء في بغية الملتبس " أديب بليغ شاعر من أهل بيت وزارة " .
توفي سنة عشرين وخمسمائة .

المصادر :

الخريدة ٣٦٩: ٢: ٤ ، المحمدون ٧٩ ، المغرب ٤١٧: ٢ ، بغية الملتبس ٥
النفح ٦٧٣: ١ ، جيش التوشيح ١٢٠ ، القلائد ١١٤ .

أبو بكر الأبيض :

محمد بن احمد بن محمد الانصارى الأشبيلي المعروف بالأبيض ، تأدب بأشبيلية وقرطبة ، شاعر مشهور وشاح هجاء ، لكن موشحاته ضاعت فيما ضاع من تراث السلف ، أكثر من هجاء الزبير المثلث صاحب قرطبة وأمير العربطين فيها توفي بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

المصادر:

الخريدة ٤: ٢: ١٦٠، ٦٧٠، المغرب ٢: ١٢٧، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٢٠،
المقدمة ١١٤١، المطرب ٨١، جيش التوشيح ٢٣٤، أزهار الرياض ٢: ٢٠٨،
زاد المسافر ١٠٨ وفيه أحمد بن محمد، النفح ٣: ٢٨٧، وصفات أخرى متفرقة.

ابن القصيرة :

محمد بن سليمان الكلاعي المعروف بابن القصيرة، يكتنى أبا بكر، رأس أهل
البلاغة في عصره، كان من أهل التفنن في العلوم، سافر رسولا للمعتمد بن
عباد أكثر من مرة. ولله يوسف بن تاشفين أمر كتابته، كان شاعراً ناشئاً
فصيحاً بليغاً.

توفي سنة ثمان وخمسمائة للهجرة.

المصادر:

الذخيرة ٢: ١: ٢٣٩، المغرب ١: ٣٥٠، الخريدة ٤: ٢: ٣٤٢، الوافي
بالوفيات ٣: ١٢٨، القلائد ١٠٣، النفح ٤: ٣٦١، ٣٦٥، ٧: ٣٠،
الصلة ٢: ٥٦٩، أعتاب الكتاب ٢٢٢، المحمدون من الشعراء ٣٥٨، المطرب ٨١،
المعجب ٢٢٧، الاحاطة ٢: ٥١٦.

ابن عائشة البلنسي :

أبو عبد الله محمد بن عائشة البلنسي، كان كاتباً لأمير المسلمين علي بن
يوسف بن تاشفين، صاحب أعمال بلنسية، له من الأدب حظ وافر وله صلة
بالشاعر ابن خفاجة.

المصادر :

الخريدة ٤: ٢: ٩٨، ٦٧١، المغرب ٢: ٣١٤، الذخيرة ٣: ٢: ٨٨٧،
المطمح ٢٠١، النفح ٤: ١٤، ٥٣، ١٥٧.

ابن اللوشي :

محمد بن عبد الرحمن المذحجي ، يكنى ابا عبد الله ، أصله من لوشة وهي
حاضرة من حواضر غرناطة ، كان فقيهاً مشاوراً .
توفي قبل سنة اربعين وخمسمائة للهجرة .

المصادر :

الفوائد ٢١٨ ، الخريدة ٤ : ٢ : ٥٤٦ ، التكملة ١ : ٤٤٤ ، النفح ٥ : ١٢ ،
١٤٧ : ٧ ، ١٦٦ .

ابن زهر :

محمد بن ابي مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر الايادي الاشبيلي
وزير أشبيلية وعظيمها وشاعرها المشهور ، كان متمكناً من اللفة ويحفظ شعر
ذي الرمة ، اشتهر بالفلسفة والحكمة والطب ، وأبدع في التوشيح .
مولد سنة سبع وخمسمائة وتوفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة .

المصادر :

المغرب ١ : ٢٩٦ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤٣٤ ، زاد المسافرين ٧١ ، المعجب ١٤٥
عيون الالباء ٥٢١ ، النفح ٢ : ٢٤٧ ، معجم الادباء ١٨ : ٢١٦ ، الواقي
بالوفيات ٤ : ٣٩ ، عبر الذهبي ٤ : ٢٨٨ ، شذرات الذهب ٤ : ٣٢٠ ،
المطرب ١٨٥ ، أعمال الاعلام ٣ : ٥٠ ، الرايات ٤١ ، جيش التوشيح ١٩٦
أزهار الرياض ٢ : ٢١٠ ، وله موشحات في دار الطراز .

ابن المرخي :

محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين النخعي الاشبيلي
يكنى أبا بكر ، سكن قرطبة وأخذ عن ابي الحسين بن سراج ، اخص بأمر
قرطبة المرابطي محمد بن الحاج داود اللمتوني . ولما توفي يوسف بن تاشفين
رفض ابن الحاج مبايعة ولده علي بن يوسف ، ولما فشلت خطته هرب ابو بكر الى

شرق الأندلس حتى إذا رضي علي علي ابن الحاج عاد أبو بكر وبقي بصحبته
في ولايته على سرقسطة وبلنسية ، كان حافلاً بالأدب ، كاتباً بليغاً مجيداً عالماً
بالعربية ومعاني الشعر .

في الصلة ومعجم الصدفى أنه توفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة وفي الخريدة :
توفي سنة أربعين وخمسمائة .

المصادر :

الذخيرة ٢: ٢: ٥٣٣ ، المغرب ١: ٣٠٧ ، الصلة ٢: ٥٨٧ ، المعجم ١٣٢
بغية الملبس ١٠٣ ، القلائد ١٦٢ ، الخريدة ٤: ٢: ٤٣١ ، النفح ٣: ٥٨: ٥٧٠٤ .

ابن الجد ، الأحذب :

محمد بن عبدالله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهرى المعروف بالأحذب
يكنى أبا القاسم ، شلبي الأصل ، كان مستبحراً في العلوم مقدماً في الأدب
والبلاغة ، كتب لأبي الحسن علي بن يوسق بن تاشفين ، وفي الخريدة أنه
كان يشتغل بالتدريس ، توفي سنة خمس عشرة وخمسمائة .

المصادر :

الخريدة ٤: ٢: ٣٥٧ ، القلائد ١٠٩ ، الأعلام بمن حل مراكش من الأعلام
٣٧٧ ، المغرب ١: ٣٤١ ، الذخيرة ٢: ١: ٢٨٥ ، الصلة ٢: ٥٧٤ ، المطرب
١٧٤ ، المعجب ٢٣٧ ، أحكام صنعة الكلام ١٨٥ ، النفح ٦: ٢٦١ .

ابن غالب الرصافي :

محمد بن غالب الرصافي يكنى أبا عبد الله ، سكن غرناطة وأمدح واليهما ولم
يتكسب بشعره ، شاعر الأندلس في أوانه ، وقيل فيه ابن رومي الأندلسي لحسن
اختراعه وتوليده . توفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة فهو شاعر مرابطي موحدى .

المصادر :

المغرب ٢: ٣٤٢ ، المعجب ٢٨٦ ، شذرات الذهب ٤: ٢٤١ ، ديوانه ،
جمع وتقديم الدكتور احسان عباس .

ابن أبي الخصال :

الوزير الكاتب الشاعر محمد بن مسعود بن أبي الخصال الفافقي ، يكنى
أباعد الله . أصله من شقورة وسكن قرطبة ، كان متقدماً في اللغة والأدب
والكتابة والخطابة والشعر ، وزير لأبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين
له عدة مؤلفات ذكرها ابن دحية .

استشهد رحمه الله سنة أربعين وخمسمائة .

المصادر :

الخريدة ٤: ٢: ٤٥٩ ، المغرب ٢: ٦٨ ، الذخيرة ٣: ٢: ٧٨٦ ، القلائد ١٧٤
بغية الملتبس ١٣١ ، الصلة ٢: ٥٨٨ ، المطرب ١٧١ ، المعجب ٢٣٧ ،
الرايات ١٠٥ ، معجم الصوفي ١٢٩ ، أعمال الاعلام ٣: ٥ ، صفحات متفرقة
في النفح .

ابن باجة :

محمد بن يحيى بن الصائغ التجيبي السرقسطي ، يكنى أبا بكر ، فيلسوف
الأندلس وأماها في الألفان ، كانت معاداة بينه وبين الفتح بن خاقان
فلذلك هجاه في القلائد بما نصه " هو رمد جفن الدين وكمد نفوس المهتدين"
اشتهر الى جانب الفلسفة بالأدب ، وزير للأمير علي بن يوسف بن تاشفين .
مات مسوماً سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقيل سنة خمس وثلاثين وخمسمائة
للهجرة .

المصادر :

الخريدة ٤: ٢: ٢٨٣ ، الوافي بالوفيات ٢: ٢٤١ ، ٥: ١٩٦ ، المغرب ٣: ١٠٩
القلائد ٢٩٨ ، وفيات الاعيان ٤: ٢٩٩ ، تاريخ الحكماء ٦: ٤٠٦ ، عيون الألباء
٥١٥ ، معجم الادباء ٦: ١٠٩ ، شذرات الذهب ٤: ١٠٣ ، تاريخ ابن
خلدون ١: ٥١٩ ، بغية الوعاة ١: ٤٧٥ ، المطمح ٢٥٦ ، أزهار الرياض ٢: ٢٠٨
جيش التوشيح ٢٥٦ ، النفح صفحات كثيرة متفرقة .

ابن نيق :

محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة بن نيق ، يكنى أبا عامر ، اتصل بأديب
قرطبة وشعرائها ومال الى علوم اللغة والأدب وبلغ درجة عالية في الشعر
والبلاغة ، اتصل بالطبيب أبي العلا بن زهر وأخذ الطب عنه ، جاءه في
بغية الوعاة ان له مصنفًا في الحماسة وآخر في ذكر ملوك الاندلس .
ولد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة وتوفي سنة سبع وأربعين وخمسائة .

المصادر :

الخريدة ٤: ٢: ٤٨٤ ، معجم الصدفى ١٦٢ ، المغرب ٢: ٣٨٨ ، الوافى
بالوفيات ٥: ١٩٦ ، التكملة ٢: ٤٧٩ ، جيش التوشيح ١٨٢ ، القلائد ١٨٥
النفح ٥: ١٣٣ ، ١٦١ .

اليكبي :

يحيى بن عبد الجيل بن سهل اليكبي ، يكنى أبا بكر ، من يكة حصن في
شرق الاندلس بشمال مرسية ، شاعر مشهور باللهجاء مغرط في الاقذاع فيه .
توفي سنة ستين وخمسائة .

المصادر :

الخريدة ٤: ٢: ٦٦٩ ، المغرب ٢: ٢٦٦ ، المطرب ١٢٥ ، بغية الملتبس ٥٠٢
زاد المسافر ١١٩ ، معجم البلدان يكة ٤٤٠ وفاس ٢٣٠ .

ابن بقل :

يحيى بن عبد الرحمن بن بقل ، يكنى ابا بكر ، أصله من سرقسطة ، وتأدب
بأشبيلية ، كان آية في النشر والنظم ، بارعًا في نظم الموشحات ، مجيدًا فيها
قليل ان له ما ينيف على ثلاثة آلاف موشحة ومثلها قصائد ومقطعات منقحة .
توفي بوادى أش سنة أربعين وخمسائة .

المصادر:

الخريدة ٤: ٢: ١٣٠ ، ٦٦٧ ، الذخيرة ٢: ٢: ٦١٥ ، القلائد ٢٧٨
المغرب ٢: ١٩ ، المطمح ٢٦٦ ، أزهار الرياض ٢: ٢٠٨ ، وفيات الاعيان
٦: ٢٠٢ ، معجم الادباء ٢٠: ٢١ ، المطرب ١٨١ ، الاعلام ٩: ١٨٨ ،
أخبار وتراجم أندلسية للسلفي ٥٠ ، مقدمة ابن خلدون ١١٣٩ ، تاريخ
ابن خلدون ١: ٥١٩ ، جيش التوشيح ٢ ، النجوم الزاهرة ٥: ٢٧٧ ، صلة
الصلة ١٧٤ ، الرايات ٧٩ ، صفحات كثيرة متفرقة في النفح .

ابن الصيرفي :

ابو بكر يحيى بن الصيرفي المورخ الفرناطي ، من أهل غرناطة ، شاعر
مشهور ووشاح كبير ، من أهل المعرفة بالعربية والآداب واللغات والتاريخ
كتب عن الأمير أبي محمد تاشفين ، له تاريخ مقيد قصره على الدولة اللمتونية
جاء في صلة الصلة ، أنه ألف كتاباً في تاريخ الاندلس وأمرائها ضمنه عجائب
وأجاد فيه كل الاجادة ، بلغ فيه الى سنة ٥٣٠ هـ .

توفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

المصادر:

المغرب ٢: ١١٨ ، الاعلام ٩: ٢٠٨ ، صلة الوصل ١٨٣ ، جيش التوشيح ١٢٠
الاحاطة ١: ٤٦١ .

ابن عبد الصمد :

يوسف بن ابي القاسم خلف بن احمد بن عبد الصمد ، يكتنى ابا بحر ، أديب
شاعر رثى المعتمد بن عباد ومدح يحيى بن فانو ابن أخت علي بن يوسف بن
تاشفين ، جده الاول السمح بن مالك أحد أمراء الاندلس وأصلهم من اقليم
الشتبان من كورة جيان .

المصادر:

الذخيرة ٣: ٢: ٨٠٩ ، المغرب ٢: ٢٠٣ ، النفح ٤: ٢٥٩ .

أبو القاسم بن السقاط:

كان كاتباً لأبي محمد عبد الرحمن بن مالك المتوفي سنة ٥٣٠ هـ أحد عمال يوسف بن تاشفين في غرناطة ، وكان أبو القاسم أدبياً كاتباً ، توفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة .

المصادر:

الخريدة ٤: ٢: ٤٤٩ ، القلائد ١٧٠ ، المغرب ١: ٤٢٨ .

أبو القاسم بن العطار:

أحد نحاة أشبيلية وأدبائها وظرفائها ، اشتهر بالوصف وخاصة وصف الأنهار ، حيث كان مولعاً بارتياحها وقضاء الأيام على شطآنها الحالية بالأزهار في مح ولهو ، قال عنه الفتح في القلائد " لا يصرح إلا على ضفة نهر ولا يلهج إلا بقطعة زهر " .

المصادر:

الخريدة ٤: ٢: ٥٨٥ ، القلائد ٢٨٣ ، المغرب ١: ٢٥٩ ، الرايات ٤٤٠ .

المنشئي:

أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنشئي نسبة إلى منش من قسرى أشبيلية المعروف بمصا الأعى لأنه كان يقود الأعى التطيلي ، كان شاعراً أدبياً بليفاً .

المصادر:

جيش التوشيح ١٠٩ ، المغرب ١: ٢٨٩ ، المطرب ١٠٨ ، المطمح ٢١٠ .

النقح ٥٣: ٧ .

بنو القبطرنة :

أبو محمد وأبو بكر وأبو الحسن بنو القبطرنة بيت فضل وإحسان ، أبناء
سعيد بن عبد العزيز ، كانوا عيوناً من عيون الأدب والشعر ، قال صاحب الخريدة
" لهم النظم الفائق والنشر الشائع السابق " .

المصادر :

المغرب (١ : ٣٦٧ ، الذخيرة ٢ : ٢ : ٧٥٣ ، أحكام صنعة الكلام ١٣٧ ،
القلائد ١٤٨ ، المطرب ١٧٠ ، الخريدة ٤ : ٢ : ٤١٢ ، الرايات ٥٩ ،
صفحات متفرقة في النفح .

ابن عبد الففور :

أبو محمد بن عبد الففور ، كاتب علي بن يوسف بن تاشفين ، مدح الأمير
أبا بكر بن سير المرابطي ، من بيت علم وأدب ، حمل عليه الفتح في القلائد
شاعر مجيد .

المصادر :

الخريدة ٤ : ٢ : ٤٢٤ ، القلائد ١٥٩ ، المطرب ١٨٢ .

- ١ — الاحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ م.
- ٢ — أحكام عنمة الكلام ، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦ م.
- ٣ — أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي المتوفي سنة ٥٧٦ هـ. أعدها وحققها الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٣ م.
- ٤ — أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، بطرس البستاني ، دار المكشوف ودار الثقافة ، بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٦٨ م.
- ٥ — الأديب الأندلسي ، أحمد بلا فريج ، عبد الجليل خليفة ، مطبعة الوحدة المغربية ، المغرب ، تطوان ، ١٩٤١ م.
- ٦ — الأديب الأندلسي بين التأثير والتأثير ، الدكتور محمد رجب بيومي — أشرفت على طباعته ونشره ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، مطابع جامعة محمد بن سعود الاسلامية ١٩٨٠ م.
- ٧ — الأديب الأندلسي في عهد المرابطين ، الدكتور مصطفى عوض الكريم — مطبعة مصر ١٩٦٨ م.
- ٨ — الأديب الأندلسي : موضوعاته وفنونه ، الدكتور مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٧٥ م.
- ٩ — الأديب الأندلسي والمغربي ، الدكتور محمد رضوان الداية ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ١٩٨١ م.
- ١٠ — الأديب العربي في الاندلس ، الدكتور عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٦ م.

- ١١- أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجرى ، الدكتور عبد الحكيم بليغ ، مكتبة نهضة مصر بالجيزة ، القاهرة .
- ١٢- أدب المغاربة والاندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية ، محمد رضا الشبيبي ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالمية ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- ١٣- أزهار البساتين في أخبار الاندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين تأليف جان خيروم طارو ، ترجمة وتعليق أحمد بلا فريج ومحمد الفاسي ، المطبعة الوطنية ، الرباط ١٣٤٩ هـ .
- ١٤- أزهار الرياض في أخبار عياض ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، تحقيق الدكتور عبد السلام هراس ، سعيد أحمد عراب ، اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية . ١٩٨٠ م .
- ١٥- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، أحمد بن محمد التلمساني المقرئ تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شليبي ، مطبعة لجنسة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة . ١٩٤٠ م .
- ١٦- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري ، تعليق وتحقيق ولدي المؤلف الاستاذ جعفر الناصري والاستاذ محمد الناصري ، مطبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٥٤ م .
- ١٧- الاسلام عبر التاريخ ، انتصارات وانتكاسات ، عبد الغني سعيد : دار القاهرة للثقافة العربية ، مصر .
- ١٨- الاسلام في المغرب والاندلس ، ليقي بروفنسال ، ترجمة الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مراجعة الدكتور لطفي عبد البديع سلسلة الألف كتاب رقم ٨٩ ، مطبعة نهضة مصر بالجيزة ، القاهرة .

- ١٩- الأسلوب ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السادسة
١٩٦٦ م.
- ٢٠- أشبيلية في القرن الخامس الهجري ، الدكتور صلاح الدين خالص ، دار
الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ م.
- ٢١- أصول النقد الادبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة
السابعة ١٩٦٤ م.
- ٢٢- الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى ، الدكتور
عبد المنعم ماجد وعلي البنا ، مطبعة دار الفكر العربي ١٩٦٠ م.
- ٢٣- أفتاب الكتاب لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاة
المعروف بابن الأبار المتوفي سنة ٦٥٨ هـ . حققه وعلق عليه وقدم له الدكتور
صالح الأشر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، الطبعة الاولى ١٩٦١ م.
- ٢٤- الاعلام ، خير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة .
- ٢٥- الاعلام بمن حلّ مراكز وأغماث من الاعلام ، تأليف العباس بن إبراهيم ،
المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٧٤ م .
- ٢٦- أعمال الاعلام ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق الدكتور أحمد مختار
العبادي والأستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٦٤ م.
- ٢٧- أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، مكتبة النهضة
مصر بالجالة ١٩٥٨ م.
- ٢٨- أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، ابراهيم محمد حسن الجمل ، مطبوعات
الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٦ م.

- ٢٩- الأندلس في عصر الموحدين ، الدكتور حكمة الاوسي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٦م .
- ٣٠- الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تأليف علي بن عبد الله بن ابي زرع الفاسي المتوفي سنة ٧٤١هـ . دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، المغرب .
- ٣١- بدائع البدائ ، علي بن ظافر الازدي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م .
- ٣٢- البديع في وصف الربيع ، ابو الوليد اسماعيل بن عامر الحميري المتوفي سنة ٤٤٤هـ . تقريبا ، نشر هنري بيرس ، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية ، المطبعة الاقتصادية بالرباط ، ١٩٤٠م .
- ٣٣- بطلا الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، سعيد حوى ، دار الاندلس ، حماة ، سوريا .
- ٣٤- بغية الطمس في تاريخ رجال أهل الاندلس ، أحمد بن يحيى النسي المتوفي سنة ٥٩٩ هـ . دار الكتاب العربي ١٩٦٧م .
- ٣٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الاولى ١٩٦٤م .
- ٣٦- بلاغة أرسطوبين العرب واليونان ، ابراهيم سلامة ، الطبعة الثانية ، القاهرة .
- ٣٧- بلاغة العرب في الاندلس ، احمد ضيف ، مطبعة مصر ، مصر ، الطبعة الاولى ١٩٢٤م .

- ٣٨- بنوعباد بأشبيلية ، الدكتور عبد السلام احمد الطود ، مطبعة كريماديس ، تطوان ، المغرب ١٩٤٦ م .
- ٣٩- البيئة الاندلسية وأثرها في الشعر ، عصر ملوك الطوائف ، الدكتور سعد اسماعيل شلبي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة .
- ٤٠- البيان الصغرى في أخبار الاندلس والمغرب ، ابن عذارى المراكشي ، كتب التعليقات الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٧ م .
- ٤١- تاج المروس ، للامام السيد محمد مرتضى الزبيدي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ليبيا .
- ٤٢- تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، الدكتور احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٢ م .
- ٤٣- تاريخ الادب العربي في الاندلس ، ابراهيم علي ابو خشب ، دار الفكر العربي ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- ٤٤- تاريخ ابن خلدون ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ١٩٦٨ م .
- ٤٥- التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، الدكتور أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م .
- ٤٦- تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، الدكتور علي محمد حمودة ، دار الكتاب العربي ، مصر ، الطبعة الاولى ١٩٥٢ م .
- ٤٧- تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، يوسف أشياخ ، ترجمة محمد عبدالله عنان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٨ م .

- ٤٨ — التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، الدكتور عبدالرحمن الحبيبي
دار القلم ، بيروت ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الاولى ١٩٧٦ م .
- ٤٩ — تاريخ التمدن الاسلامي ، جورجى زيدان ، الجزء الرابع ، طبعة جديدة
راجعها الدكتور حسين مؤنس ، دار الهلال .
- ٥٠ — تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المقطعات من
كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، جمال الدين ابو الحسين علي بن يوسف
القفطي ، مكتبة المثنى ببغداد ، ومؤسسة الخانجي بمصر .
- ٥١ — تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ابو عبدالله محمد بن ابراهيم
الزركشي ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، الطبعة الثانية
١٩٦٦ م .
- ٥٢ — تاريخ الشعر العربي ، الدكتور محمد عبدالعزيز الكفراوى ، مطبعة
الرسالة ١٩٦٤ م .
- ٥٣ — تاريخ الفكر الاندلسي ، آنجل جنتال بالنتيا ، ترجمة الدكتور حسين
مؤنس ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٥٤ — تاريخ قضاة الاندلس ، ابو الحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي
المالقي ، نشر ليثي بروفنسال ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، الطبعة
الاولى ١٩٤٨ م .
- ٥٥ — تاريخ النقد الادبي في الاندلس ، الدكتور محمد رضوان الداية ، مؤسسة
الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ م .
- ٥٦ — ابن تاشفين ، عبدالحق حموش ، دار الكتاب ، الدار البيضاء .
- ٥٧ — التجديد في شعر المهجر ، أنس داود ، دار الكتاب العربي للطباعة
والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ م .

- ٥٨- التفسير النفسي للادب ، الدكتور عز الدين اسماعيل ، دار المعارف بمصر .
١٩٦٣ م .
- ٥٩- التكملة لكتاب الصلة ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاة
المعروف بابن الأبار المتوفي سنة ٦٥٨ هـ . نشر السيد عزت العطار الحسيني
١٩٥٦ م .
- ٦٠- توشيح التوشيح ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفي سنة
٧٦٤ هـ . تحقيق ألبير حبيب مطلق ، دار الثقافة ، الطبعة الاولى ١٩٤٨ م .
- ٦١- الشفر الأعلى الاندلسي ، دراسة في احواله السياسية ، خليل ابراهيم
صالح السامرائي ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٧٦ م .
- ٦٢- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس ، للحميدي ، أبي عبد الله محمد
ابن فتوح الميروي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٦٣- جولات في تاريخ المغرب ، عبد القادر الصحراوي ، دار الكتاب ، الدار
البيضاء ، الطبعة الاولى ١٩٦١ م .
- ٦٤- جيش التوشيح ، لسان الدين بن الخطيب المتوفي سنة ٧٧٦ هـ . تحقيق
هلال ناجي ومحمد ماضور ، مطبعة المنار ، تونس .
- ٦٥- الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف
البيروني حبيب مطلق ، المكتبة المصرية ، بيروت ١٩٦٧ م .
- ٦٦- حضارة العرب في الاندلس ، ليفي بروفنسال ، ترجمة دوقان قرقوط ،
منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- ٦٧- الحلة السيرة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاة
المعروف بابن الأبار المتوفي سنة ٦٥٨ هـ . تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٦٣ م .

- ٦٨- التحليل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية ، الأثير شكيب أرمسان ،
المطبعة الرحمانية ، مصر ، الطبعة الاولى ١٩٣٦ م .
- ٦٩- الحلل الموشية في ذكر الأخبار السراكشية ، للمؤلف أندلسي مجهول .
تحقيق الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمانة ، نشر وتوزيع دار الرسالة
الحديثة ، الدار البيضاء ، الطبعة الاولى ١٩٧٩ م .
- ٧٠- حياة وأثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة ، محمدان حجاجي ، الشراكسية
الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، مصر .
- ٧١- خريدة القصر وجزيرة العصر ، الصمد الأصفهاني ، القسم الرابع -
تحقيق عمر الدسوقي وتلي عبد العظيم ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، مطبعة
الرسالة ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- ٧٢- ابن خفاجة الأندلسي ، عبد الرحمن جبير ، دار الأفاق الجديدة للطبع والنشر
الطبعة الاولى ١٩٨٠ م .
- ٧٣- دار الطراز في حلل الموشحات ، ابن سناء الملك ، تحقيق الدكتور
جودة الركابي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .
- ٧٤- دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، الدكتور محمد اسماعيل قنديل ، دار
نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة .
- ٧٥- دراسات في الأدب الأندلسي ، الدكتور سامي مكي ، الثاني ، نشر
بمساعدة الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٧٨ م .
- ٧٦- دراسات في تاريخ الأدب العربي ، أغناطيوس كرا تشكوفسكي ، دار النشر
علم ... موسكو ١٩٦٥ م .
- ٧٧- دفاعا عن الثقافة المغربية ، الحسن السائق ، دار الكتاب ، الدار
البيضاء ، المغرب ، الطبعة الاولى ١٩٦٨ م .

- ٧٨— الدولة الموحدية في المغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، الدكتور
عبد الله علام ، دار المعارف بمصر .
- ٧٩— دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، محمد عبد الله عنان ،
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ م .
- ٨٠— ديوان الاعشى الكبير ، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسن ، مكتبة
الآداب بالجمهورية - مصر .
- ٨١— ديوان الاعشى التطيلي ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ،
بيروت ١٩٦٣ م .
- ٨٢— ديوان البحري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر ،
الطبعة الثالثة .
- ٨٣— ديوان ابي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبد العزيز ،
دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م .
- ٨٤— ديوان الحكيم ابي الصلت أم بن عبد العزيز الداني المتوفي سنة ٢٥٠ هـ .
جمع وتحقيق وتقديم محمد المرزوقي ، دار الكتب الشرقية : تونس .
- ٨٥— ديوان ابن خفاجة ، تحقيق الدكتور سيد غازي ، الناشر منشأة المعارف ،
بالاسكندرية ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م .
- ٨٦— ديوان ابن دراج القسطلي ، حققه وعلق عليه د . محمود علي مكسي ،
المكتب الاسلامي ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ م .
- ٨٧— ديوان ابن الرومي ، ابا الحسن علي بن العباس بن جريج ، تحقيق
الدكتور حسين نصار ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٣ م .

- ٨٨- ديوان الرصافي البيلنسي ، ابي عبدالله محمد بن غالب المتوفي سنة ٥٧٢ هـ . جمعه وقدم له الدكتور حسين عباس ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٠ م .
- ٨٩- ديوان ابن الزقاق البيلنسي ، تحقيق عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة بيروت ، لبنان .
- ٩٠- ديوان ابن زيدون ، شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وابولاده ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٥ م .
- ٩١- ديوان الشريف الرضي ، محمد بن الحسين ، شرح وتعليق وتقديم كامل سليمان ، مكتبة العرفان ، بيروت ١٩٥٦ م .
- ٩٢- ديوان الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي ، تحقيق وشرح رشيد الصفار ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٩٣- ديوان ابن شهيد الاندلسي ، جمعه وحققه يعقوب زكي ، راجعه الدكتور محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .
- ٩٤- ديوان الصنوبري ، احمد بن محمد بن الحسن الضبي ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، نشر وتوزيع الثقافة بسيرت ١٩٧٠ م .
- ٩٥- ديوان ابي فراس ، رواية ابي عبدالله الحسين بن خالويه ، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦١ م .
- ٩٦- ديوان الفرزدق ، دار عادر ، دار بيروت للطبع والنشر ١٩٦٦ م .
- ٩٧- ديوان كشاجم الرملي ، تحقيق وشرح وتقديم خيرية محمد محفوظ ، وزارة الاعلام ، مديرية الثقافة العامة ، مطبعة دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠ م .

- ٩٨- ديوان المتنبي ، شرح عبدالرحمن البرقوقي ، الناشر دار الكتاب العربي
بيروت .
- ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦١ م .
- ٩٩- ديوان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية ، جمعه وحققه احمد احمد بدوي
حامد عبدالمجيد ، أشرف عليه وراجعته الدكتور طه حسين ، المطبعة الاميرية
بالقاهرة ١٩٥١ م .
- ١٠٠- ديوان مهيار الديلمي ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة - مصر
الطبعة الاولى ١٩٢٥ م .
- ١٠١- ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتحقيق كرم البستاني ، دار صادر
دار بيروت ، بيروت ١٩٦٠ م .
- ١٠٢- ديوان ابن هاني ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، مكتبة صادر ، بيروت
١٩٥٢ م .
- ١٠٣- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتري ، المتوفي سنة
٥٤٢ هـ . تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩ م .
- ١٠٤- رايات المبرزين وغايات المميزين ، ابن سعيد المغربي ، أبو الحسن علي
ابن موسى ، تحقيق الدكتور النعمان عبدالمتعال القاضي ، لجنة احياء التراث
الاسلامي ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- ١٠٥- الروض الممطر في خبر الاقطار ، محمد بن عبدالمنعم الحميري ، المتوفى
سنة ٧٢٧ هـ . تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٥ م .
- ١٠٦- الزلافة بقيادة يوسف بن تاشفين ، شوقي أبو خليل ، دار الفكر ، دمشق
الطبعة الاولى ١٩٧٩ م .

- ١٠٧ — ابن زيدون عصره حياته أدبه ، الدكتور علي عبدالعظيم ، مكتبة الانجلو
المصرية ، مطبعة الرسالة ١٩٥٥ م ؛
- ١٠٨ — السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، الشيخ
محمد بن محمد بن عبدالله المبارك المراكشي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده ، مصر ، ١٣٤١ هـ .
- ١٠٩ — سقط الزند ، ابو العلا المصري ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٩٦٣ م .
- ١١٠ — سقوط دولة الموحدين ، الدكتور مراجع عقيلة الغناني ، منشورات جامعة
بنغازي ، الطبعة الاولى ١٩٧٥ م .
- ١١١ — سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، ألقاها ليقي بروفستال
عام ١٩٤٧-١٩٤٨ م ، ترجمها الدكتور محمد عبدالهادي شعيرة ، راجعها
عبد الحميد العبادي بك ، مطبوعات كلية الآداب بجامعة فاروق الاول بالاسكندرية
المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٥١ م .
- ١١٢ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أبو الفلاح عبدالحى بن العماد
الحنبلي المتوفى سنة ٨٠٩ هـ . مركز الموسوعات العالمية ، المكتب التجارى
للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
- ١١٣ — شرح المعلقات السبع ، للإمام الاديب القاضي المحقق أبي الحسين بن
أحمد بن الحسين الزوزني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٨ م .
- ١١٤ — شروح سقط الزند ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٦ هـ . —
١٩٤٧ م . تحقيق مصطفى السقا ، عبدالرحيم محمود ، عبدالسلام هارون ،
ابراهيم الابيارى ، حامد عبدالحميد ، اشراف الدكتور طه حسين ، الجمهورية
العربية المتحدة .

- ١١٥- الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي ، الدكتور عبده بدوي
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، جمهورية مصر العربية ، وزارة الثقافة والاعلام
١٩٧٣ م.
- ١١٦- الشعر الاندلسي ، بحث في تطوره وخصائصه ، اميليو غرسيا غومس ،
ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية
١٩٥٦ م.
- ١١٧- شعر الطبيعة في الادب العربي ، الدكتور سيد نفيل ، دار المعارف
بمصر ، الطبعة الثانية .
- ١١٨- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ، الدكتور محمد مجيد
السعيد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد
للنشر ، ١٩٨٠ م.
- ١١٩- الشعر والبيئة في الاندلس ، الدكتور ميشيل عاصي ، منشورات المكتب
التجاري ، بيروت ، ١٩٧٠ م.
- ١٢٠- صفة جزيرة الاندلس ، منتخبة من كتاب الروض الماطر في خبر الاقطار ،
أبو عبد الله بن عبد المنعم الحميري المتوفي سنة ٨٦٦ هـ . نشر ليفي بروفنسال
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ م.
- ١٢١- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذ من كتاب نزهة
المشتاق في اختراق الافاق ، تأليف الشريف الادريسي ، طبع في مدينسة
ليدن ١٩٦٨ م.
- ١٢٢- الصورة الادبية ، الدكتور مصطفى ناصر ، دار مصر للطباعة ، الطبعة
الاولى ١٩٥٨ م.

- ١٢٣- الطبعة عند المتنبي ، الدكتور عبدالله الطيب ، الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام ١٩٧٧م .
- ١٢٤- الطبعة في الشعر الاندلسي ، الدكتور جودة الركابي ، مطبعة الترقى ،
دمشق ، الطبعة الثانية ١٩٧٠م .
- ١٢٥- الطبعة في الشعر الجاهلي ، الدكتور نوري حمودي القيسي ، دار الرشاد
للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٠م .
- ١٢٦- ظهر الاسلام ، احمد أمين ، الجزء الثالث ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٢م .
- ١٢٧- عبدالله بن ياسين ، مؤسس دولة المرابطين ، عبدالله كنون ، دار الكتاب
الليثاني ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧١م .
- ١٢٨- العبر في خبر من غبر ، الحافظ الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨هـ . تحقيق
فؤاد سيد ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ١٩٦١م .
- ١٢٩- العرب في الاندلس ، جورج غريب ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية
١٩٧٨م .
- ١٣٠- عيار الشعر ، محمد بن احمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق وتعليق الدكتور
طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية ، القاهرة ١٩٥٦م .
- ١٣١- عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تأليف موفق الدين ابي العباس أحمد
ابن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة
شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥م .
- ١٣٢- عيون التواريخ ، محمد بن شاكر الكتيبي ، تحقيق الدكتور فيصل السامر و
نبيلة عبد المنعم داود ، وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، الجزء الثاني عشر
١٩٧٧م .

- ١٣٣- غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد
ابن الجزري المتوفي سنة ٨٣٣هـ . الجزء الاول ، عني بنشره برجستراسر ، مكتبة
الخانجي بمصر ١٩٣٢م .
- ١٣٤- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، علي بن طاهر الأزدى المصرى :
تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ، الدكتور الصاوى الجويني ، دار المعارف ،
بمصر .
- ١٣٥- فصول في الشعر ونقده ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر
١٩٧١م .
- ١٣٦- فن التوشيح ، الدكتور مصطفى عوض الكريم ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة
الاولى ١٩٥٩م .
- ١٣٧- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ، ايليا حاوى ، دار الكتاب اللبناني
بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م .
- ١٣٨- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف
مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٦٠م .
- ١٣٩- فوات الوفيات ، محمد بن شاكر بن احمد الكتبي ، تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١م .
- ١٤٠- في الأدب الاندلسي ، الدكتور جودة الركابي ، دار المعارف بمصر
١٩٦٠م .
- ١٤١- في تاريخ المغرب والاندلس ، الدكتور احمد مختار العبادى ، دار النهضة
المصرية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٨م .
- ١٤٢- في النقد الادبي ، دراسة وتطبيق ، كمال نشأت ، مطابع النعمان ، النجف
الاشرف ١٩٧٠م .

- ١٤٣ — القرآن الكريم .
- ١٤٤ — قصة الادب في الاندلس ، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، المطبعة
المنيرية بالأزهر .
- ١٤٥ — قضايا أندلسية ، الدكتور بدير متولي حميد ، دار المعرفة ، المطبعة
الاولى ١٩٦٤ م .
- ١٤٦ — فلائد المقيان في محاسن الاعيان ، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله
القيسي ، القاهرة ١٢٨٤ هـ .
- ١٤٧ — الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، دار صادر ، دار بيروت للطباعة
والنشر ١٠ بيروت ١٩٦٦ م .
- ١٤٨ — كتاب التراث ، اعداد الدكتور محمود عبد الله والدكتور بهجت عبد الفتاح
دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٧٩ م .
- ١٤٩ — كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس ، تأليف الشيخ أبي عبد الله
محمد بن الكتاني الطبيب ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة
بيروت .
- ١٥٠ — كتاب الصلة ، ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك المتوفي سنة
٥٧٨ هـ . الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م .
- ١٥١ — كتاب صلة الصلة ، أبو جعفر احمد بن الزبير ، مكتبة خياط ، بيروت ،
لبنان .
- ١٥٢ — كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد البجاوي ، محمد
أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٢ م .

- ١٥٣ — لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار
صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٦ م .
- ١٥٤ — مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ، عبد الكريم الثواني ، نشر
وتوزيع مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء ، الطبعة الاولى ١٩٦٧ م .
- ١٥٥ — المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم
القيرواني ، المعروف بابن أبي دينار ، تحقيق وتعليق محمد شمام ، الناشر
المكتبة المتينة ، تونس ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ .
- ١٥٦ — المحمدون من الشعراء وأشعارهم ، علي بن يوسف القفطي المتوفى
سنة ٦٤٦ هـ . ، تحقيق حسن معمرى ، راجعه حمد جاسر ، منشورات دار
البيامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- ١٥٧ — محنة العرب في الاندلس ، الدكتور اسعد حومد ، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٠ م .
- ١٥٨ — مختارات من الشعر الاندلسي ، الدكتور محمد رضوان الداية ، المكتب
الاسلامي للطباعة والنشر .
- ١٥٩ — مذكرات الأمير عبد الله ، المسماة بكتاب التبيان ، تحقيق ليقي بروفنسال
دار المعارف بمصر ، ذخائر العرب رقم ١٨ .
- ١٦٠ — المرابطون ، تاريخهم السياسي ، الدكتور محمد عبد الهادي شميرة ،
مكتبة القاهرة الحديثة ، الطبعة الاولى ١٩٦٩ م .
- ١٦١ — مشكلات المضمون والشكل في العمل الأدبي ، تأليف اي اي فينو
غرادوف ، ترجمة هشام الدجاني .
- ١٦٢ — المطرب في أشعار أهل المغرب ، لابن دحية ، تحقيق الدكتور مصطفى
عوض الكريم ، الخرطوم ، مطبعة مصر ١٩٥٤ م .

- ١٦٣- مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، تأليف ابن خاقان ،
دراسة وتحقيق محمد علي الفاضل الشوابكة ، رسالة ماجستير ، مصرية على
الآلة الكاتبة ، بإشراف الدكتور عبد الكريم خليفة ، الجامعة الاردنية ، كلية
الآداب .
- ١٦٤- المعتمد بن عباد ، علي أدهم ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والطباعة والنشر ، مطبعة دار مصر للطباعة ، القاهرة .
- ١٦٥- المعتمد بن عباد الملك الجواد ، الشاعر المرزأ ، الدكتور عبد الوهاب
عزام ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٩ م .
- ١٦٦- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي المتوفي سنة
٦٤٧ هـ . ، تحقيق الاستاذ محمد سعيد الصريان ، المجلس الاعلى للشئون
الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- ١٦٧- معجم الأدياء ، ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦ هـ . مطبعة المأمون
١٣٩٨ هـ .
- ١٦٨- معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، المستشرق
زامبارو ، أخرجه الدكتور زكي محمد حسن بك وحسن احمد محمود ، مطبعة
جامعة فؤاد الاول ١٩٥١ م .
- ١٦٩- معجم البلدان ، للإمام شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله
الحموي ، دار بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٧ م .
- ١٧٠- المعجم في أصحاب القاضي الامام ابي علي الصديقي ، محمد بن عبد الله
ابن ابي بكر القضاعي المعروف بابن الآزار ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
القاهرة ١٩٦٧ م .

- ١٧١- مع شعراء الاندلس والمنتخبين ، اميليو غرسيا غومس ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، مطابع سجل العرب ، الطبعة الاولى ١٩٧٤ م .
- ١٧٢- المغرب العربي ، تاريخه وثقافته ، راجح بونار ، الشركة الوطنية للتشريع والتوزيع ، الجزائر ١٩٦٨ م .
- ١٧٣- المغرب في حلي المغرب ، ابن سميد المغربي ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الجزء الاول الطبعة الثالثة والجزء الثاني الطبعة الثانية .
- ١٧٤- المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالك ، تأليف أبي عبيد البكري ٤٨٧ هـ . ، مكتبة المثنى ، بغداد ، العراق .
- ١٧٥- مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، المجلد الاول ، الطبعة الثالثة ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٧ م .
- ١٧٦- المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ابن الآبار ، مجلة المشرق ، المجلد الرابع ، الاربعون ، نشر الفريد البستاني .
- ١٧٧- ملاح الشعراء الاندلسي ، الدكتور عمر الدقاق ، منشورات دار المشرق ، بيروت ١٩٧٤ م .
- ١٧٨- ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام ، دوزي ، ترجمة كامل كيلاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٣٣ م .
- ١٧٩- مهيأ الديلمي وشعره ، علي علي الفلال ، الناشر دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد ، مصر .
- ١٨٠- الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية ، عبد العزيز بن عبد الله . مطبوعات وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، المغرب ١٩٧٧ م .

- ١٨١- موسيقى الشجر ، الدكتور ابراهيم أنيس ، القاهرة .
- ١٨٢- الموشحات الاندلسية ، محمد زكريا عناني ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٠ م .
- ١٨٣- موشحات ابن بقي السليلي وخصائصها الفنية ، عدنان محمد آل طعمة ، وزارة الثقافة والفنون ، العراق ١٩٧٩ م .
- ١٨٤- الموشحات والازجال ، اعداد وتقديم جلول يلس والحفناوى امقران ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٥ م .
- ١٨٥- نباتات الزينة وطرق تنسيقها في الحدائق ، الدكتور عزالدين فسراج وصبحي نجيب ، المكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- ١٨٦- النبوغ المغربي في الادب العربي ، عبدالله كنون ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦١ م .
- ١٨٧- النشر الفني وأثر الجاحظ فيه ، الدكتور عبد الحكيم بلبع ، الطبعة الثانية طبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- ١٨٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تأليف جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتاكي المتوفي سنة ٨٧٤ هـ . ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٥ م .
- ١٨٩- النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين ، ابراهيم حركات ، منشورات مكتبة الوحدة المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب .
- ١٩٠- نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ، كامل كيلاني ، مطبعة المكتبة التجارية ١٩٢٤ م .

١٩١ - نظم الجمان ، ابن القطان ، ابوالحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتاني الفاسي ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، منشورات كليسة الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، المغرب .

١٩٢ - نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك ، عبد العزيز الملزوزي المتوفي سنة ٦٩٧ هـ ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٦٣ م .

١٩٣ - نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، احمد بن محمد المقرئ التلمساني تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٨ م .

١٩٤ - نهاية الأرب في فنون الأثب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهساب النويري ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

١٩٥ - الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي ، باعتناء مجموعة من العلماء والباحثين ، عن جمعية المستشرقين الالمانية ، دار النشر فرانز شتايز بقسبادن .

١٩٦ - الوصف ، سامي الدهان ، دار المعارف بمصر .

١٩٧ - وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي ، السباعي بيومي ، محمد خلف الله ، عمر الدسوقي ، شوقي ضيف ، أحمد أحمد بدوي ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩٥٧ م .

١٩٨ - الوصف في الشعر العربي ، عبد العظيم علي قناوى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الاولى ١٩٤٩ م .

- ١٩٩- وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الروان من البقاع ، تأليف الامام
أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، المتوفي سنة ٣٢١ هـ . ، تحقيق
عزالدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، دمشق ١٩٦٣ م .
- ٢٠٠- وصف النهر والبحر في الشعر العربي ، الدكتور حسين عطوان .
- ٢٠١- وفيات الاغنياء وأبناء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد
ابن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، دار بيروت
للطباعة والنشر .
- ٢٠٢- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد
ابن اسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفي سنة ٤٢٩ هـ . ، تحقيق محمد
محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الثانية
١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- ٢٠٣- يحيى بن بقی ، حياته وأدبه ، صلاح محمد محمود جرار ، رسالة
ماجستير ، مخروبة على الآلة الكاتبة ، اشراف الدكتور عبد الكريم خليفة ، الجامعة
الاردنية - كلية الآداب ١٩٧٧ م .

الدوريات :

- ١ - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلدان السابق والثامن ١٩٥٩-١٩٦٠ ، مقال الدكتور محمود علي مكي ، وثائق تاريخية جديدة في عصر المرابطين .
- ٢ - صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، المجلد الرابع ، ١٩٥٤م مقال الدكتور حسين مؤنس " سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس " .
- ٣ - مجلة آداب المستنصرية ، تصدرها كلية الآداب بالجامعة المستنصرية العدد الثالث ١٩٧٨م ، مطبعة المعارف ، بغداد ، مقال الدكتور سامي مكي العاني " الموشحات الأندلسية " .
- ٤ - مجلة كلية الآداب ، جامعة فوهاد الأول ، المجلد الحادي عشر ١٩٤٩م مقال الدكتور حسين مؤنس " الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين " .

فهرس المحتسوى

=====

الصفحة

مقدمة .

التمهيد :

٦٠ - ٥

٦

— نشأة المرابطين وقيام دولتهم

١٧٠

— الوضع في الاندلس قبيل دخول المرابطين

٢٤

— جوازهم الاندلس وبسط النفوذ

٣٦

— سقوط الدولة المرابطية

٣٨

— الحياة الثقافية في الاندلس — عصر المرابطين —

٤٤

— البيئة الطبيعية الاندلسية

٤٨

— شعر الطبيعة

٥١

— بواعث شعر الطبيعة في الاندلس

٥٥

— بواكير شعر الطبيعة في الاندلس

الفصل الاول

١٩٧-٦١

الطبيعة في شعر القصيد :

٦٢

أ — الطبيعة الصامتة :

٦٦

— الروضيات

٨٦

— الزهرينات

٩٩

— الثمرات والشجريات

١١٠

— المائيات والثلجيات

١٣٠

— أوصاف أخرى

١٥٣

ب — الطبيعة الصائتة :

١٥٤

— الفرس

١٧١

— الذئب والكلب

١٧٧

— الطير

١٨٨

— أحياء أخرى

الصفحة

٢٢٠ - ١٩٨	الفصل الثاني الطبيعة في الموشحات
٢٧٥ - ٢٢١	الفصل الثالث الخصائص الفنية :
٢٢٤	- النسيج اللغوي
٢٤٧	- التأثر بالمشارقة
٢٦٧	- الابتكار والتجديد
٢٧٦	الخاتمة
٢٧٩	ملحق تراجم الشعراء ومصادر دراستهم
٢٩٧	ثبت المصادر والمراجع
٣٢١	فهرس المحتسوى

themes and pictures . They also produced variations upon the one single theme where differences existed merely in the treatment of the theme. The poets of nature also expressed their feelings and grievances through their description of nature and through the excessive use of personification .

The muwashshah and Zajal arts are truly the peak of the Andalusian and inventions in the subject of nature's description . It is enough boast for them to be the first nation to invent these arts .

Finally , I hope my aim in this thesis would be realized , and some sides of the truth would be discovered . I hope also this work would light the way for other scholars to carry out other researches.

treated as a part of that magnetic nature . We also find the description of nature in the love poetry . Referring to the Andalusians , Al-Maqqari says in his book Nafh .

Tib : " If they write love poetry they liken cheeks to roses, eyes to daffodills, cheektemples to myrtles , female breasts to quinces , bodies' statures to sugar canes , mouths to almond cores and to apple front parts, and saliva to wine " .

Some poets had displayed much interest in the personification of nature by adderessing it and picturing it as a human being , as Ibn Khafaja has done in some of his poems . He portrayed nature as a human source of wisdom and admonition. Such poetry was a sincere expression of its authors , and accurate reflection to their feelings and attitudes towards nature . Originlity is also obvious in the poems which draw fantastic , lively and eternal pictures of nature in Andalusia.

The poets of nature in Andalusia in the Almaravid era did not restrict themselves to the immitation of their counterparts in the Arabic East , but they went beyond that to the renewal and invention of many poetic

and fruitful trees . They also described the sky of Andalusia, and the country's stars , land , birds and animals.

The psychological experience of the Andalusian poets this genre is seen to be reflected on the natural scenes they describe . Happiness and delight are to be seen in these scenes if the poets were happy. Yet sadness and grief are noticeable prevailing the scenes they describe in cases of distress and unease . But in most cases these poems reflected happiness.

The description of nature in the Almaravid era is observed to be combined or interrelated with the love poetry that describes the wine parties . The Andalusians used to carry out trips to gardens and river banks for entertainment and fun . Such trips were spent in drinking wine, singing and dancing , and they were accompanied by female slaves and young boys to serve the wine . The Andalusians enjoyed these trips , the wine they drank , the scenes of nature they viewed , and the service they found , the matter which stimulated their poetical talents and abilities . They described the parties , the place in which they were held , the boys and the girls and the wine .

The relationship between the Andalusian woman and the Andalusian nature was tight, since we often find woman

One can conclude from this research that the Almaravid era was not , as some scholars would think, period of decline and retreat in the cultural, scientific , intellectual and literary fields, but on the contrary it was a period of progress and prosperity in all civilizational fields .

It would be sufficient , to prove that, to survey the compilations and biographies in order to find out how many intellects had lived in Andalusia in the period and took part in all activities of knowledge and learning.

It is worth mentioning also that many poets of the era under discussion had freed their poetry from the conventional styles practised in the Kings' and rulers' courts . They enjoyed a great deal of freedom that allowed them to express themselves honestly and sincerely . The works of these poets appeared therefore free of hypocrisy and falsehood. One would find example of these poets who devoted themselves to their country , in Ibn Khafaja who likened Audalusia to the Pavadise of Heavens.

The Poetry which dealt with the luature of andalusia comprises the description of all elements of that nature, both the silent and the vigorous . The Andalusian poets described the gardens and farms and their flowery plants

Conclusion

Andalusia is a beautiful and charming country . It is characterised by its green and fertile orchards , delightful gardens , lofty mountains , highly and thickly growing trees, fragrant plants and flowers, wailing pigeons and chanting birds. These elements are fantastic . They prosper souls , please hearts and stimulate minds. God has bestowed upon Andalusia a great lot of greenness , delight and beauty . It had its own poets who loved and adored it . They expressed their love of the country in many poems and muwashshahs , in which they eternalized the beauty and charm of Andalusia. They described every thing they caught sight of , especially those scenes of nature which excited their feelings and stimulated their innermosts. They thus drew highly admired pictures of the elements of nature of Andalusia.

This thesis is confined to the poetry that describes the nature of Andalusia in the Almaravid era . Although this genre is only but one of several genres practised in Arabic literature, I concentrated on this particular subject in order to keep myself in a limited space, the matter which allows me to shed light on the subject and deal with it with safety and concentration .